

البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الْمَوْلَفِ

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد الدهر ، وفريد العصر ، جامع أشات الفضائل ، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي ، بقله الله منه ما يرجوه :

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب ، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب ، فأعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت حكمته الحكماء ، وأبكت فصاحته الخطباء .

أحمده أن جعل الحمد فاتحة أسرارهِ ، وخاتمة تصاريفهِ وأقداره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى ، ونبية المرتضى ، الظافر من المحامد بالتخلص^(١) ، الظاهر بفضله على ذوى الفضل . معلم الحكمة ، وهادى الأمة ، أرسله بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار .

أما بعد ؛ فإن أولى ما أعملت فيه القرائح ، وعَلِمَتْ به الأفكار اللواقح ، الفحص عن أسرار التنزيل ، والكشف عن حقائق التأويل ، الذي تقوم به العالم ، وتثبت الدعائم . فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجة البالغة ، والدلالة الدامغة ، وهو شفاء الصدور ، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور ؛ وهو الكلام الجزل ، وهو الفضل الذي ليس بالهزل ؛ سراج لا يخبو ضياؤه ، وشهاب لا يحمَد نوره وسناؤه ، وبحر لا يَدْرِك غوره .

(١) الحصل هنا : البق والغلبة .

بهزت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته وإيجازه ، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه ، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ، ويقرط السامع ، من تجنيس أنيس ، وتطبيق لبيق ، وتشبيه نبيه ، وتقسيم وسيم ، وتفصيل أصيل ، وتبليغ بليغ ، وتصدير بالحسن جدير ، وترديد ماله مازيد ؛ إلى غير ذلك مما أجرى^(١) من الصياغة البديعة ، والصناعة الرفيعة ، فالآذان بأقراطه حالية ، والأذهان من أسماطه غير خالية ؛ فهو من تناسب ألفاظه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذات انساق ؛ ومن تبسم زهره ، وتنشيم نشره ، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق ؛ كل كلمة منه لها من نفسها طرب ، ومن ذاتها عجب ، ومن طلعتها غرّة ، ومن بهجتها دُرّة ، لاحت عليه بهجة قدره ، ونزل^(٢) « من له الأمر » ، فله على كل كلام سلطان وإمّره ، بهر تمكن فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع إشاراته ، وعجيب انتقالاته ؛ من قصص باهرة ، إلى مواعظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة ، وأدلة على التوحيد ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، ومواقع تعجب واعتبار ، ومواطن تنزيه واستغفار ؛ إن كان سياق الكلام ترجية بسط ، وإن كان تخويفا قبض ، وإن كان وعداً أبهج ، وإن كان وعيداً أزعج ، وإن كان دعوة حذب ، وإن كان زجرة أربع ، وإن كان موعظة أقلق ، وإن كان ترغيباً شوق .

هذا ، وكم فيه من مزايا وفي زواياه من خبايا
ويطعم الحبر في التقاضي فيكشف الخبر عن قضايا
فسبحان من سلكه يتابع في القلوب ، وصرفه بأبداع معنى وأغرب أسلوب ،

(١) كذا في ط . وفي حاشيتها : « كذا بخط المصنف ، ولعله : احتوى » . وفي ت ، م : « احتوى » .

(٢) (٢ - ٢) ط : « ونزل بأمر من له الأمر »

لا يستقصى معانيه فهم الخلق ، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق ، فالسعيد من صرف همته إليه ، ووقف فكره وعزمه عليه ، والموفق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكركه ، فهو يرتع منه في رياض ، ويكرع منه في حياض .

أندى على الأكباد من قطر الندى والد في الأجفان من سِنَّة الكرى
يملاً القلوب بشراً^(١) ، ويبعث القرائح عييراً ونشراً ، يحيي القلوب بأوراده ، ولهذا سماه الله رُوحاً ؛ فقال : ﴿ يُبْلِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٢) ، فسماه روحاً لأنه يؤدي إلى حياة الأبد ، ولولا الروح لمات الجسد ، فجعل هذا الروح سبباً للاقتدار ، وعلماً على الاعتبار .

يزيدُ على طولِ التأمل بهجةً كأن العيونَ الناظراتِ صياقلُ

وإنما يفهم بعض معانيه ، ويطلع على أسرارهِ ومبانيهِ ؛ مَنْ قَوِيَ نظره ، واتسع مجاله في الفكر وتدبره ؛ وامتد باؤه ، ورقت طباعه ؛ وامتد في فنون الأدب ، وأحاط بلغة العرب .

قال الحرالي^(٣) في جزء سماه : « مفتاح الباب المغفل ، لفهم الكتاب المنزل » :
لله تعالى مواهب ، جعلها أصولاً للمكاسب ، فمن وهبه عقلاً يسر عليه السبيل ، ومن ركب فيه خرقاً نقص ضبطه من التحصيل ، ومن أيده بتقوى الاستناد إليه في جميع

(١) م : « بشرى »

(٢) سورة غافر ١٥

(٣) الحرالي ؛ يفتح الحاء والراء المهملتين ويبد الألف لام مشددة مكسورة ، نسبة إلى حرالة ؛ قرية من أعمال مرسية ؛ وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي ، صاحب التفسير العظيم ؛ اعتمد عليه البقاعي في تفسيره . وله أيضاً شرح الوطأ والشفاء وفتح الباب المغفل وغيرها . توفي سنة ٦٣٧ . (شذرات الذهب ٥ : ١٨٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٧ ، تاج العروس - حرل) .

أموره علمه وفهمه . قال : وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهما في كلامه ، ووعيا عن كتابه ، وتبصرة في الفرقان ، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن ، ففيه تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين ؛ إذ فيه كل العلوم .

وقال الشافعي رضي الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن . وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا - زاد غيره : وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم - وكما أنه أفضل من كل كلام سواه ، فعلومه أفضل من كل علم عداه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٢) . قال مجاهد ^(٣) : الفهم والإصابة في القرآن . وقال مقاتل ^(٤) : يعني علم القرآن .

وقال سفيان بن عيينة ^(٥) في قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(٦) ، قال : أحرمهم فهم القرآن . وقال سفيان الثوري ^(٧) : لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالخطام في قلب مؤمن أبداً .

(١) سورة الرعد ١٥

(٢) سورة البقرة ٢٦٩

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي ، مولى السائب ، أحد التابعين الثقات ، وأحد العلماء في القراءة والتفسير . توفي سنة ١٠٠ في إحدى الروايات . (تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤) .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، صاحب التفسير . توفي سنة ١٥٠ . (خلاصة تذهيب الكمال ٣٣١) .

(٥) هو سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ، وشيخ أهل الحجاز في الحديث والفقه والتفسير . توفي سنة ١٩٨ (تذكرة الحفاظ ١ : ٢٤٢) .

(٦) سورة الأعراف ١٤٦ .

(٧) هوسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، المسمى أمير المؤمنين في الحديث ؛ قالوا : كتب عنه ألف ومائة شيخ ، وتوفي سنة ١٦١ . (تذكرة الحفاظ ١ : ١٩٠ ، صفة الصفوة ٣ : ٨٢) .

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى^(١) : مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيلة سواه .

وقال ذو النون المصرى^(٢) : أبى الله عز وجل [إلا]^(٣) أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن .

وقال عز وجل : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) . وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^(٥) .

وقال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٦) قال : القرآن ، يقول : أرشدنا إلى علمه .

وقال الحسن البصرى^(٧) : علم^(٨) القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال . وقال الله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٩) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(١٠) ؛ يقول : إلى كتاب الله .

(١) عبد العزيز بن يحيى الكنانى ، تفقه بالشافعى ، وروى عن سفيان بن عيينة . توفى بعد سنة ٢٣٠ . (تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٤) .

(٢) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف ببنى النون المصرى . أحد المعروفين بالزهد والورع . وثد بأخيم ؛ وروى عنه الجنيد وغيره ، توفى سنة ٢٤٥ . (طبقات الصوفية لاسمى ١٥ ، حسن المحاضرة ١ : ٢١٨) .

(٣) زيادة يقتضها السياق ، وفى م : « أبى الله عز وجل أن يحرم قلوب البطالين مكنون القرآن »

(٤) سورة الأنعام ٣٨

(٥) سورة النساء ٨٢ ، محمد ٢٤

(٦) سورة الفاتحة ٦

(٧) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ؛ أحد سادات التابعين وكبرائهم ، توفى سنة ١١٠ (واضع ترجمته وأخباره فى ابن خلكان ١ : ١٢٨ ، وأمالى المرتضى ١ : ١٥٢) .

(٨) كلمة « علم » ساقطة من م

(٩) سورة النساء ٥٩

(١٠) سورة الشورى ١٠٠ .

وكل علم من العلوم منتزع من القرآن ، وإلا فليس له برهان . قال ابن مسعود :
من أراد العلم فليثور ^(١) القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين . ^(٢) رواه البيهقي في
المدخل وقال : أراد به أصول العلم ^(٣) .

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم علماء ؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم
كعلی رضى الله تعالى عنه بالقضاء ، وزيد بالفرائض ، ومعاذ بالحلل والحرام ، وأبى بالقراءة ،
فلم يسم أحد منهم بحراً ^(٤) إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل ؛ وقال
فيه على بن أبى طالب : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال فيه عبد الله بن مسعود :
نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ؛ وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين ؛ وعمر بعده
ابن عباس ستا وثلاثين سنة ؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ! نعم ؛ كان لعلی
فيه اليد السابقة قبل ابن عباس ؛ وهو القائل : لو أردت أن أُملى وقر بعير على
القائمة لفعلت .

وقال ابن عطية ^(٥) : فأما ^(٦) صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب ،
ويتلوه ابن عباس رضى الله عنهما ؛ وهو تجرد للأمر [وكملة] ^(٧) ، وتبعه العلماء عليه ؛
كمجاهد وسعيد بن جبیر وغيرها .

وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب الشعبي وغيرها يعظمون تفسير القرآن ،
ويتوقفون عنه تورعا واحتياطاً لأنفسهم ، مع ادراكهم وتقدمهم .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١ : ١٣٨) : « أى لينقر عنه ، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته » .

(٢ - ٣) « ليس في نسخة المصنف » - حاشية ط

(٣) كان يقال لابن عباس : « البحر ، والبحر » لعلمه . (تاج العروس - جبر) .

(٤) هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرؤوف المعروف بابن عطية ؛ وتفسيره هو المعروف بالحرر الوجيز
توفي بمدينة لوزقة سنة ٥٤٦ هـ (الديباج المذهب ١٧٤ - ١٧٥) .

(٥) المحرر الوجيز ١ : ٨ - ٩ (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٦٨ تفسير) .

(٦) من كتاب المحرر الوجيز .

ثم جاء بعدهم طبقة فطبعة : « اجتدوا واجتهدوا ؛ وكلٌ ينفق مما رزق الله ؛ ولهذا كان ^(١) سهل بن عبد الله يقول : لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفته . وكما أنه ليس الله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ؛ وإنما يفهم كلٌ بمقدار ما يفتح الله عليه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه في يوم محدثة مخلوقة .

ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالتقدير ^(٢) الممكن . ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعيونه ، وضمنته من المعاني الأنيقة ، والحكم الرشيقه ، ما يهزّ القلوب طرباً ، ويبهزّ العقول عجباً ؛ ليكون مفتاحاً لأبوابه ، عنواناً على كتابه ؛ معيناً للمفسر على حقائقه ، ومطلعا على بعض أسرارهِ ودقائقهِ ؛ والله الخالص والمعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته : « البرهان في علوم القرآن » . وهذه فهرست أنواعه :

- | | |
|--------|--------------------------------|
| الأول | : معرفة سبب النزول . |
| الثاني | : معرفة المناسبات بين الآيات . |
| الثالث | : معرفة القواصل . |
| الرابع | : معرفة الوجوه والنظائر . |
| الخامس | : علم المتشابه . |

(١) كلمة « كان » ساقطة من ط ، م وأتتبعها عن ت .

(٢) ت : « التقدير »

السادس	: علم المبهيات .
السابع	: في أسرار الفوائح .
الثامن	: في خواتم السور .
التاسع	: في معرفة المكي والمدني .
العاشر	: معرفة أول منازل .
الحادي عشر	: معرفة على كم لغة نزل .
الثاني عشر	: في كيفية إنزاله .
الثالث عشر	: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .
الرابع عشر	: معرفة تقسيمه .
الخامس عشر	: معرفة أسمائه .
السادس عشر	: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
السابع عشر	: معرفة ما فيه من لغة العرب .
الثامن عشر	: معرفة غريبه .
التاسع عشر	: معرفة التصريف .
العشرون	: معرفة الأحكام .
الحادي والعشرون	: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثاني والعشرون	: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
الثالث والعشرون	: معرفة توجيه القراءات .
الرابع والعشرون	: معرفة الوقف والابتداء .
الخامس والعشرون	: علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون	: معرفة فضائله .

- السابع والعشرون : معرفة خواصه .
- الثامن والعشرون : هل في القرآن شيء أفضل من شيء .
- التاسع والعشرون : في آداب تلاوته .
- الثلاثون : في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن .
- الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكائنة فيه .
- الثانى والثلاثون : معرفة أحكامه .
- الثالث والثلاثون : في معرفة جدله .
- الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
- الخامس والثلاثون : معرفة توهم المختلف .
- السادس والثلاثون : في معرفة المحكم من المتشابه .
- السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات .
- الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه .
- التاسع والثلاثون : معرفة وجوب تواتره .
- الأربعون : في بيان معاضدة السنة للكتاب .
- الحادى والأربعون : معرفة تفسيره .
- الثانى والأربعون : معرفة وجوب الخطابات .
- الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .
- الرابع والأربعون : في الكناية والتعريض .
- الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام .

السادس والأربعون : في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن .

السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه ، لاستفرغ عمره ،
ثم لم يُحكَمْ أمره ؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والزمنا إلى بعض
فصوله ؛ ^(١) فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ؛ وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير !

قالوا خذِ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ مَقْلَةٍ لَهُمْ

فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَظَرَ الْعَيْنَ

فصل

[في علم التفسير]

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وقد أكثر الناس فيه من اللوضوعات ؛ ما بين مختصر ومبسوط ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه ؛ فالزجاج^(١) والواحدى^(٢) في « البسيط » يغلب عليهما الغريب ، والثعلبي^(٣) يغلب عليه القصص ، والزمخشري^(٤) علم البيان ، والإمام^(٥) فخر الدين علم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية .

(١) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ؛ قال ياقوت : « قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتداء أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتلاثمائة » . وتوفي الزجاج سنة ٣١١ . (وانظر إنباه الرواة وحواشيه ١٦٣ : ١) .

(٢) هو علي بن أحمد الواحدى أبو الحسين . الإمام المصنف المفسر النحوى . قال القفطى : « وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط ، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة ، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية . وصنف الوسيط في التفسير ؛ وهو مختار من البسيط أيضاً ؛ غاية في بابه ، والوجيز وهو عجيب . مات بنبياور سنة ٤٦٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، صاحب التفسير الكبير المسمى الكشف والبيان ، والعرائس في قصص الأنبياء . توفي سنة ٤٢٧ (إنباه الرواة ١ : ١١٩) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، صاحب المقدم في الأدب واللغة والنحو والتفسير ؛ وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب . توفي سنة ٥٣٨ . (وانظر ترجمته وأخباره في إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٢٦٥) .

(٥) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي صاحب التفسير المسمى مفاتيح الغيب ، توفي سنة ٦٠٦ (ابن خلكان ١ : ٤٧٤) .

واعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ؛ وإنما احتيج إلى التفسير لما سذكّر ، بعد تقرير قاعدة ؛ وهى أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة :

أحدها : كمال فضيلة المصنّف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ؛ ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : [قد يكون] ^(١) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطاً ^(٢) اعتماداً على وضوحها ، أولاً لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .
وثالثها : احتمال اللفظ لمعان ثلاثة ؛ كما فى الجاز والاشتراك ^(٣) ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه . وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشيء ، وحذف المهم ؛ وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبية على ذلك .

* * *

وإذا علم هذا فنقول : إن القرآن إنما أنزل بلسان عربى مبين فى زمن أفصح العرب ؛ وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ^{وأحكامه} ؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الأكثر ؛ كسؤالهم لما نزل : ﴿وَأَمَّا يَلَيْسُوا إِيْمَانَهُمْ يَظُنُّمْ﴾ ^(٤) ، فقالوا : أينما لم يظلم نفسه ! فقسره النبى صلى الله عليه وسلم بالشرك ؛ واستدل

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) كذا فى ت ، م . وفى ط : « شرطاً » وفوقها واو ، وكلمة « لعل » لترجيحها .

(٣) حاشية ط : « س : المشترك »

(٤) سورة الأنعام ٨٢ .

عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) . وكسؤال عائشة - رضي الله عنها - عن الحساب اليسير فقال : « ذَلِكَ الْعَرْضُ ، وَمَنْ نَوَقَشَ الْحَسَابَ عُذِّبَ » . وكقصه عدى ابن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه ^(٢) . وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسيرُ القرآن وتأويله بجملة ؛ فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛ فنحن أشدَّ الناس احتياجا إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه ، ويرجع في تفسيره إليه ؛ من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها . وسياقه ، وظاهره وباطنه ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ، ويدق عنه الفهم .

بين أقداحهم حديث قصيرٌ هو سحرٌ ، وما سواه كلامٌ

وفي هذا تتفاوت الأذهان ، وتتسابق في النظر إليه مسابقة الزهان ، فمن سابق بفهمه ،

وراشق كبذ الرمية بسهمه ، وآخر رمى فأشوى ^(٣) ، وخبط في النظر خبط ^(٤) عشوا -

كما قيل : وأين الدقيق من الركيك ، وأين الزلال من الزعاق !

* * *

(١) سورة لقمان ١٣

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم في كتاب الصوم عن عدى بن حاتم : « لما نزلت : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ قال له عدى : يا رسول الله ، إنى أجعل تحت وسادتي غزالين : غزالا أبيض وغزالا أسود ، أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن وسادك لعريض ؛ إنما هو سواد الليل وبياض النهار » .

(٣) أشوى : أصاب شواه ، والشوى هنا : قطب الرأس .

(٤) كلمة « خبط » ساقطة من ط .

وقال القاضي شمس الدين الخوئي^(١) رحمه الله : علم التفسير عسير يسير ؛ أما عُشره فظاهر من وجوه ؛ أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ، ولا إمكان للوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ؛ فإن الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلم بأن يسمع منه ، أو يسمع من سمع منه ، أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يُعلم إلا بأن يُسمع من الرسول عليه السلام ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بآمارات ودلائل ، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه ؛ فلم يأمر نبيه بالتصيص على المراد ؛ وإنما هو عليه السلام صوب رأى جماعة من المفسرين ، فصار ذلك دليلاً قاطعاً على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله^(٢) .

قال : واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبتُ هذا وما طالعت شيئاً من الكتب ، ويظن أنه فخر ؛ ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ؛ فإنه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله فبماذا يفتخر ! ومع هذا ما كتبتُ شيئاً إلا خائفاً من الله مستعيناً به ، معتمداً عليه ؛ فما كان حسناً فمن الله وفضله^(٣) بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين^(٤) ، وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمانة بالسوء .

فصل

[في علوم القرآن]

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي^(٥) في كتاب « قانون التأويل » : إن علوم القرآن

(١) الخوئي ، بضم الحاء وفتح الواو وتشديد الباء ، هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخوئي الشافعي صاحب الإلمام بغير الدين الرزائي . كان فقيهاً مناظراً وأستاذاً في الطب والحكمة . توفي سنة ٦٣٧هـ ، ونسبته إلى خوي بمدينة أذربيجان . (شذرات الذهب : ١٨٣ : ٦ ، النجوم الزاهرة : ٣١٦ : ٦ ، تاج العروس - خوي) .
(٢) قتلة السيوطي في الإقتان في الباب السابع والسبعين .

(٣ - ٣) ساقط من م

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العافري ، المعروف بابن العربي ؛ أحد فقهاء إشبيلية وعلمائها ؛ وفي سبيل العلم رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب وتوفي سنة ٥٤٤هـ . (الصلة لابن بشكوال ٥٩٩هـ) .

خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضروبة في أربعة . قال بعض السلف : إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومقطع ^(١) ؛ وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه وما بينها من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل .

قال : وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد وتذكير وأحكام ؛ فالتوحيد تدخل فيه معرفة الخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير ، ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ؛ ومنها التكاليف كلّها وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهي والندب .

فالأول : ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ^(٢) ، فيه التوحيد كلّ في الذات والصفات والأفعال . والثاني : ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) . والثالث : ﴿وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾ ^(٤) ؛ ولذلك قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ^(٥) تعديل ثلث القرآن . يعني في الأجر ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقيل ثلثه في المعنى ؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا . وهذه السورة اشتملت على التوحيد .

ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة :

فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله : ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ^(٦) . وأما الأحكام فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ^(٧) ، وأما التذكير فمن قوله : ﴿أَهْدِنَا﴾ ^(٨) إلى آخرها ؛ فصارت بهذا أمّا ؛ لأنه يتفرع عنها كل بنت .

(١) كذا في الأصول . وفي الإتيان وحشية ط : «مطلع» .

(٢) سورة البقرة ١٦٣ (٣) سورة الذاريات ٥٥

(٤) سورة المائدة ٤٩ (٥) سورة الإخلاص ١

(٦) سورة الفاتحة ٤ (٧) سورة الفاتحة ٥

(٨) سورة الفاتحة ٦

وقيل : صارت أمثا لأنها مقدمة على القرآن بالقبليّة، والأم قبل البنت .

وقيل : سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها .

وقال أبو الحكم بن برّجان^(١) في كتاب " الإرشاد "،^(٢) : وجلة القرآن تشتمل على

ثلاثة علوم : علم أسماء الله تعالى وصفاته ، ثم علم النبوة وبراهينها ، ثم علم التكليف والحنة . قال : وهو أعسر لإغرابه^(٣) وقلة انصراف الهم إلى تطلبه من مكانه .

وقال غيره : القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم : أمر ، ونهى ، وخبر

واستخبار . وقيل : ستة - وزاد الوعد ، والوعيد .

وقال محمد بن جرير الطبري^(٤) : يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار

والديانات ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » .
وهذه السورة تشمل التوحيد كله .

وقال علي بن عيسى^(٥) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا : الإعلام ، والتنبيه ،

والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة ، والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله ، وصفاته [وأفعاله]^(٦) ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدّين ، والبيان عن الرغبة ، والرغبة ، والخير ، والشر ، والحسن ، والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ،

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برّجان اللخمي الإشبيلي ؛ حامل لواء اللغة بالأندلس في عصره . توفي سنة ٦٢٧ . (بنيّة الوعاة ٣٠٦ ، شذرات الذهب ٥ : ١٢٤) .

(٢) كتابه الإرشاد في تفسير القرآن ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو تفسير كبير في مجلدات ؛ ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن » .

(٣) ت : « لاغترابه » .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ؛ صاحب التفسير والتاريخ ، توفي سنة ٣١٠ . (وانظر ترجمته

وأخباره في إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٨٩) .

(٥) هو علي بن عيسى بن علي الرماني ؛ صاحب النصائيف المشهورة في التفسير والنحو واللغة . توفي

سنة ٣٨٤ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤) . (٦) تسكمه من الإقنان فيما نقله عن الرماني

ومدح الأبرار ، وذمّ القجار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتفريع ، والبيان عن ذم الإخلاف ، وشرف الأداء .

قال القاضي أبو المعالي عزيّزى^(١) : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلّها بل أضعافها ؛ فإن القرآن لا يُستدرَك ولا تُحصَى غرائبُه وعجائبُه ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) .

وقال غيره : علوم ألفاظ القرآن أربعة :

الإعراب ؛ وهو في الخبر .

والنظم ؛ وهو القصد ؛ نحو ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾^(٣) ، معنى باطن نُظِمَ بمعنى ظاهر . وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾^(٤) ؛ كأنه قيل : قالوا : ومن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ؛ لفظ ظاهر نُظِمَ بمعنى باطن .

والتصريف في الكلمة ؛ كاقسط : عدل ، وقسط : جار . وبُعد : ضد قرب ، وبُعد : هلك .

والاعتبار ؛ وهو معيار الأنحاء الثلاث ؛ وبه يكون الاستنباط والاستدلال ؛ وهو كثير ، منه ما يعرف بفحوى الكلام . ومعنى اعتبرت الشيء طلبت بيانه ، عبّرت الرؤيا بينتها ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾^(٥) بعد : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

(١) هو أبو المعالي عزيّزى بن عبد الملك الفقيه الشافعي المعروف بشيذة ؛ وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن . توفي سنة ٤٩٤ . (وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٤٠١ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) سورة الطلاق ٤ .

(٣) سورة الأنعام ٥٩ .

(٤) سورة الحشر ٢ .

(٥) سورة يونس ٣٤ .

الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿١﴾ دلّ على أن انتقاله بالخروج من الدار من أعظم الوجوه ،
و﴿أَوَّلَ الْحَشْرِ﴾ ﴿١﴾ دلّ ﴿٢﴾ على أن لها ﴿٣﴾ توابع ؛ لأن «أول» لا يكون إلا مع «آخر» ؛
وكان هذا في بنى النضير ثم أهل نَجْرَان . ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ ﴿١﴾ إلا ﴿٢﴾ بنياً ، وأنهم
يستقلون عدد مَنْ كان مع النبي صلى الله عليه وسلم . ﴿وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
الْجَلَاءَ﴾ ﴿٥﴾ فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشدة ؛ إذ جُعِلَ بدله .

وقد يتعدد الاعتبار ؛ نحو أتاني غير ﴿٦﴾ زيد ، أى أتياه ، أو أتاه غير زيد ، لا هو . لو شئتَ
أنت لم أفعل ، أى أنت أمرتني أو نهيتني ؛ قال الله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا﴾ ﴿٧﴾ ردّ
عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ؛ بدليل قوله : ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ﴿٨﴾ . ﴿وَإِذَا
حَلَّاسْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ ﴿٩﴾ ، فالاعتبار بإباحة .

ومن الاعتبار ما يظهر بآى آخر ؛ كقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ
بَصِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ ، فهذه تعتبر بآخر ﴿١١﴾ الواقعة ؛ من أن الناس على ثلاثة منازل ؛ أى أحلّ كل فريق
في منزلة له ، والله بصير بمنزلهم .

(١) سورة الحشرة ٢

(٢) ت : « دال »

(٣) ت : « له » .

(٤ - ٤) كذا وردت العبارة في جميع الأصول ، وفيها غموض .

(٥) سورة الحشر ٣

(٦) ت : « عين » تحريف

(٧) سورة النحل ٣٥

(٨) سورة الأعراف ٢٨

(٩) سورة المائدة ٢

(١٠) سورة فاطر ٤٥

(١١) إشارة إلى قوله تعالى في آخر سورة الواقعة : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَرِيمٍ . وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ .

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ ^(١) ،
بمعنى الحديث ^(٢) : إن اليهود قالوا : لو جاء به ميكائيل لاتبعناك ، لأنه يأتي بالخبر ، وجبريل
لم يأت بالخبر قط ، وأى خير أجل من القرآن !

ومن ضروب النظم قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَهُ ﴾ ^(٣) ، إن حمل على أن
يعتبر أن العزة له لم ينتظم به ما بعده ، وإن حمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم .

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) روى الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن أبي ليلى : « قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان
الذي ينزل عليكم لاتبعناكم ؛ فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، وهو لناعدو ،
قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ ﴾ . وانظر الجزء الأول ص ٣٧٧ وما بعدها .

(٣) سورة فاطر ١٠ .

النوع الأول

معرفة أسباب النزول



وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف ^(١) ؛ منهم علي بن
الدينى ^(٢) شيخ البخارى ، ومن أشهرها تصنيف ^(٣) الواحدى فى ذلك . وأخطأ من زعم
أنه لا طائل تحته ، لجريانه بتجرى التاريخ ، وليس كذلك ، بل له فوائد :
منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشبرى : بيان سبب النزول
طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز ؛ وهو أمر تحصل للصحابة بقرآن تحف
بالقضايا .

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ، ويقوم الدليل على التخصيص ؛ فإن محل السبب لا يجوز

(١) حاشية ط : « س : مصنفات » .

(٢) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر السعدى ، مولاه . توفى سنة ٢٣٤ . (وانظر ترجمته فى
تذكرة الحفاظ ٢ : ١٥ - ١٦)

(٣) طبع بمصر سنة ١٣١٥ هـ ، وعلى هامشه « كتاب النسخ والنسخ ، لأبى القاسم بن هبة الله بن سلامة
البغدادى التوفى سنة ٤١٠ . وذكر السيوطى فى الإقتان ١ : ٢٨ أن الجبرى اختصره ، غذف أسانيد
ولم يزد عليه شيئا ، ثم قال : « وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا لمات عنه مسودا فلم تقف
عليه كاملا . وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، سميت : باب القول فى
أسباب النزول » .

وقد طبع كتاب السيوطى بهامش تفسير الجلالين فى بولاق سنة ١٢٨٠ هـ .

إخراجه بالاجتهاد والإجماع ؛ كما حكاه القاضى ^(١) أبو بكر فى ” مختصر التقريب “ ؛ لأن دخول السبب قطعى . ونقل بعضهم الاتفاق على أن تقدم السبب على ورود العموم أثرا . ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين : أحدهما أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا يجوز . والثانى أن فيه عدولا عن محل السؤال ؛ وذلك لا يجوز فى حق الشارع ؛ لئلا يلتبس على السائل . واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية فى السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛ وتؤثر أيضا فيما وراء محل السبب ؛ وهو إبطال الدلالة على قول ، والضعف على قول .

ومن الفوائد أيضا دفع توهم الحصر ؛ قال الشافعى ما معناه فى معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ ^(٢) الآية : إِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وكانوا على المضادة والمحادثة جاءت الآية مناقضة لغرضهم ؛ فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ؛ ولا حرام إلا ما أحللتموه ؛ نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ؛ فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ؛ والغرض المضادة لا النقي والإثبات على الحقيقة ؛ فكأنه قال : لا حرام إلا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حل ما وراءه ؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل .

قال إمام الحرمين ^(٣) : « وهذا فى غاية الحسن ؛ ولولا سبق الشافعى إلى ذلك لما كنا

(١) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى التكمم المشهور ؛ وصاحب كتاب إنجاز القرآن وكتاب التقريب والإرشاد فى أصول الفقه . وقد عمل مختصرا له ، توفى سنة ٤٠٣ (ابن خلكان ١ : ٤٨١ ، الديباج المذهب ٢٧٦ ، شذرات الذهب ٢ : ٥٧) . وانظر مقدمة الأستاذ السيد أحمد صقر لكتاب إنجاز القرآن ص ٥٣ ، ٥٤ — طبعة دار المعارف .

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٣) هو أبو المالى عبد الملك بن أبى عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى العراقى ، شيخ الإمام الفزائى ، وأعلم التأخرين من أصحاب الشافعى ، توفى سنة ٤٧٨ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان ١ : ٢٨٧) .

نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعي أجراه مجرى التأويل . ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل .

وقد جاءت [آيات] ^(١) في مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ؛ كنزول آية ^(٢) الظهار في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية ^(٣) ، ونزول حد القذف في رمة عائشة رضي الله عنها ، ثم تعدى إلى غيرهم ، وإن كان قد قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْخُصَنَاتِ ﴾ ^(٤) ، فجمعها مع غيرها ؛ إما تعظيماً لها إذ أنها أم المؤمنين —

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وانظر الإتيان ١ : ٢٩ .

(٢) سورة المجادلة ١ — ٤ ، والخبر رواه ابن ماجة بسنده في كتاب الطلاق باب الظهار عن سلمة بن صخر قال : « كنت امرأً أستخدم من النساء ؛ لأرى رجلاً كان يصيب من ذلك ما أصيب ، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ؛ فيها مى تحدثنى ذات ليلة انكشفتل منها شيء ، فوثبت عليها فواقعتها ؛ فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبرى وقلت لهم : سلوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما كنا نفعل ؛ إذا ينزل الله فينا كتاباً أو يكون فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قول فيبقى علينا عاره ، ولكن سوف نملك بمجرى رتك ، اذهب أنت فاذكر شأنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجت حتى جئته فأخبرته الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بذلك ؟ فقلت : أنا بذلك ؛ وهأنا يا رسول الله صابر لحكم الله على . قال : فأعقت رقية ؛ قال : قلت : والذى بعثك بالحق ، ما أصبحت أملك إلا رقبتي هذه ؛ قال : فصم شهرين متتابعين ، قال : قلت : يا رسول الله ؛ وهل دخل على ما دخل من البلاء إلا بالصوم ؛ قال : فتصدق أو أطعم ستين مسكيناً ، قال : قلت : والذى بعثك بالحق ، لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء ؛ قال : فاذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق فقل له : فليدفعها إليك ؛ وأطعم ستين مسكيناً وانتفع بقيتها » . قال ابن كثير : إن الذى نزلت فيه آية الظهار هو أوس بن الصامت ؛ وأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه سبب النزول ؛ ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام أو الإطعام . (وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨ — ٣٢٢)

(٣) هو هلال بن أمية الخزاعي ؛ أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ؛ نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ ، [سورة النور ٦] . وانظر تفصيل الخبر في تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٥ وما بعدها ..

(٤) سورة النور ٤

ومن رمى أمّ قوم فقد رماهـ وإما للإشارة إلى التعميم ؛ ولكن الرماة لها كانوا
معلومين ، فتعدّى الحكم إلى مَنْ سواهم ؛ فمن يقول ببراءة حكم اللفظ كان الاتفاق
ها هنا هو مقتضى الأصل ، ومن قال بالقصر على الأصل خرج عن الأصل في هذه
الآية بدليل . ونظير هذا تخصيص الاستعاذة بالإناث في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ﴾^(١) ، لخروجه على السبب ؛ وهو أن بنات كَيْد سَحَرْنَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

كذا قال أبو عبيد ؛ وفيه نظر ؛ فإن الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم هو لييد^(٢)
ابن الأعصم كما جاء في الصحيح^(٣) .

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة ، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من
الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ؛ فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب
خاص للمناسبة ؛ إذا كان مسوقاً لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام ؛ أو كان
من جملة الأفراد الداخلة وضما تحت اللفظ العام ؛ فدلالة اللفظ عليه : هل هي كالسبب
فلا يخرج ويكون مراداً من الآيات قطعاً ؟ أو لا ينتهي في القوة إلى ذلك ؛ لأنه قد يراد
غيره ، وتكون المناسبة مشبهة به ؟ فيه احتمال .

(١) سورة الفلق ٣

(٢) حاشية ط : « وجه الجمع ظاهر إذ قد يكون هو الأمر ؛ ومن الفاعلات ، والله أعلم » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٢ : ٢٢٠) ولفظه فيه : « عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى
الله عليه وسلم حتى كان يحيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ؛ حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال :
أشعرت أن الله أتاني فيما فيه شفائي ، أتاني رجلان ، فقدم أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ؛ فقال
أحدهما الآخر : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لييد بن الأعصم ، قال : فيما ذا ؟
قال : في مشط ومشاقة وجف طلمة ذكر ؛ قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذروان ؛ فخرج إليها النبي صلى
الله عليه وسلم ثم رجع فقال لعائشة حين رجع : نخلها كأنه رؤوس الشياطين ، فقالت : استخرجته ؟ قال : لا ،
أما أنا فقد شفاني الله ؛ وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً ؛ ثم دفنت البئر » .

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق العموم المجرد ؛ ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَلَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ؛ فإن مناسبتها للآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّافُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ ^(٢) أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف ، كان قدِم إلى مكة وشاهد قتلى بدر وحرّض الكفار على الأخذ بثأرهم ، وغزو النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله : مَنْ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ؟ النبي صلى الله عليه وسلم ، أَوْهَمْ ؟ فقال : أَنْتُمْ - كذبا منه وضلالة - لعنه الله ! فتلك الآية في حقه وحق مَنْ شارَكَه في تلك المقالة ؛ وهم أهلُ كتابٍ يَحِدُّونَ عندهم في كتابهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقد أخذت عليهم الموائيقُ ألا يكتُموا ذلك وأن ينصروه ؛ وكان ذلك أمانة لازمة لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها ؛ وذلك مناسب لقوله : ﴿ إِنْ أَلَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن العربي ^(٣) في تفسيره : وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقولهم : إن المشركين أَهْدَىٰ سَبِيلًا . فكان ذلك خِيَانَةً منهم ؛ فانبجرت الكلام إلى ذكر جميع الأمانات ، . انتهى .

ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عَقِبَ بدر ، ونزول ﴿ إِنْ أَلَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ في الفتح أَوْ قَرِيبًا منها ؛ وبينهما ست سنين ؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ، ولا يشترط في المناسبة ؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها .

(١) سورة النساء ٥٨

(٢) سورة النساء ٥١

(٣) حاشية ط : « لعنه الإمام أبو بكر المالكي العالم الحبر الجليل » .

ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال ؛ ففي الصحيح^(١) عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمّد بما لم يفعل معذباً لنعذبنّ أجمعون ! فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ؛ ثم تلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾^(٣) . قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتّموه وأخبروه بغيره ؛ فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ؛ فاستحمدوا بذلك إليه ؛ وفرحوا بما أوتوا من كتابهم بما سألهم عنه . انتهى

قال^(٤) بعضهم : وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفي ؛ لأن اللفظ أعم من السبب ؛ ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبين »

(١) صحيح البخارى في باب التفسير ٣ : ١١٥ بسنده عن علقمة بن وقاص : « أن مروان قال لبوايه : اذهب يارافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمّد بما لم يفعل معذباً لنعذبنّ أجمعون ! فقال ابن عباس : وما لكم ولهذا ! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فألمهم شيء عن فكتّموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتابهم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، (وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٦ وما بعدها) .

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة آل عمران ١٨٨

(٤ - ٤) حاشية ط . « من قوله : قال .. إلى .. لا يكفي ، غير ثابت في النسخة التي بخط المصنف ، وفيها

بدله ، وهذا الجواب مشكل » .

زور^(١)»، وإنما الجواب أن الوعيد مرتبٌ على أثر الأمرين المذكورين؛ وهما الفرح وحبُّ الحمد؛ لا عليهما أنفسهما؛ إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف أمراً ولا نهياً.

قلت: لا يخفى عن ابن عباس رضى الله عنه أنَّ اللفظ أعْمُ من السبب؛ لكنه بينَ أن المراد باللفظ خاص؛ ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشُّرك فيما سبق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾^(٢) الآية؛ فحكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معديكرب أنها كانا يقولان: الحمر مباحة، ويحتجَّان بهذه الآية، وخفى عليهما سببُ نزولها؛ فإنه يمتنع من ذلك؛ وهو ما قاله الحسن وغيره^(٣): لما نزل تحريمُ الحمر، قالوا: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس! فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَدُسُّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ...﴾^(٤) الآية، قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة؛ وقد بينه سببُ النزول^(٥)؛ رُوى

(١) رواه البخارى في كتاب النكاح (٣ : ٢٦٣) بسنده عن هشام : «حدثني فاطمة عن أسماء أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن لي ضرة فهل على جناح إن تشبعت من زوجي غير الذى يعطيني ؟ فقال رسول الله صلى الله وسلم : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » .

(٢) سورة المائدة ٩٣

(٣) نقله ابن كثير في التفسير (١ : ٩٧) عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال : لما حُرمت الحمر قال ناس : يا رسول الله ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ! فأنزل الله : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى آخر الآية . وانظر أسباب النزول للواحدى ١٩٦ .

(٤) سورة الطلاق ٤

(٥) نقله ابن كثير في التفسير (٤ : ٣٨١) عن ابن جرير بسنده عن عمرو بن سالم قال : «قال أبو ابن كعب : يا رسول الله ، إن عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب : الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿وَاللَّائِي يَدُسُّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعَلَيْهِنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضُنَّ حَمْلَهُنَّ﴾» .

أَنْ نَاسًا قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ؛ قَدْ عَرَفْنَا عِدَّةَ ذَوَاتِ الْأَقْرَاءِ ؛ فَمَا عِدَّةُ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مِنْ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ؟ فَنَزَلَتْ ؛ فِهَذَا يَبَيِّنُ مَعْنَى : ﴿ إِنْ أَرْتَبْتُمْ ﴾ أَى إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ ، وَجَهَلْتُمْ كَيْفَ يَعْتَدْنَ ؛ فِهَذَا حُكْمُهُنَّ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ؛ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (١) ؛ فَإِنَّا لَوْ تَرَكْنَا مَدْلُولَ اللَّفْظِ لَاقْتَضَى أَنَّ الْمَصْلَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا ؛ وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ ؛ فَلَا يُفْهَمُ مَرَادُ الْآيَةِ حَتَّى يُعْلَمَ سَبَبُهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا نَزَلَتْ لَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلِهِ ؛ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ ؛ فَعَلِمَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَرَادُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ (٢) ؛ فَإِنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا أَنْ قَوْمًا أَرَادُوا الْخُرُوجَ لِلْجِهَادِ ؛ فَنَعَمَهُمْ أَرْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ؛ ثُمَّ أَنْزَلَ فِي بَقِيَّتِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَتَرْكِ الْمُواخَاظَةِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

فصل

[فِيمَا نَزَلَ مَكْرًا]

وَقَدْ يُنْزَلُ الشَّيْءُ مَرَّتَيْنِ تَعْظِيمًا لَشَأْنِهِ ، وَتَذَكِيرًا بِهِ عِنْدَ حَدُوثِ سَبَبِهِ خَوْفَ نَسْيَانِهِ ؛ وَهَذَا كَمَا قِيلَ فِي الْفَاتِحَةِ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً بِمَكَّةَ ، وَأُخْرَى بِالْمَدِينَةِ ؛ وَكَأَنَّ ثَبْتَ فِي

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١١٥

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٤

الصحيحين عن أبي عثمان التَّهْدِيَّ عن ابن مسعود^(١) : أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾^(٢) ، فقال الرجل : إلى هذا ؟ فقال :
بل لجميع أمتي . فهذا كان في المدينة ؛ والرجل قد ذكر الترمذى أو غيره أنه أبو اليسر .
وسورة هود مكية بالاتفاق ؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا
إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة .

ومثله ما في الصحيحين^(٣) عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٤)
أنها نزلت لما سأل اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أن هذه في سورة
﴿ سُبْحَانَ ﴾ ؛ وهي مكية بالاتفاق ؛ فإن المشركين لما سألوه عن ذى القرنين وعن أهل
الكهف قيل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجواب كما
قد بسط في موضعه .

وكذلك ما ورد في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ ^(٥) أَحَدٌ ﴾ أنها جواب للمشركين بمكة ، وأنها جواب
لأهل الكتاب بالمدينة .

(١) نقله ابن كثير في التفسير (٢ . ٤٢٦) .

(٢) سورة هود ١١٤ . قال ابن كثير : « طرفا النهار : الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة
أخرى ، وزلفا من الليل ؛ يعنى المغرب والمشاء » .

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخارى في كتاب التفسير (٣ : ١٥١ - ١٥٢)
عن عبد الله بن مسعود : « بينا أنا أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرت ، وهو متكئ على عسيب
إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما را بكم إليه ، وقال بعضهم : لا يستقبلنكم
بشيء نكرهونه ، فقالوا : سلوه ؛ فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم
شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامى ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ونقله ابن كثير أيضا في التفسير

(٣ : ٦٠) عن أحمد بسنده عن ابن مسعود .

(٤) سورة الإسراء ٨٥ . (٥) الإخلاص !

وكذلك ماورد في الصحيحين من حديث المسيب^(١) لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛
وتلکاً عن الشهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه» ،
فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾^(٢) ، وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾^(٣) ،
وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق ؛ وموت أبي طالب كان بمكة ؛ فيمكن أنها نزلت
مرة بعد أخرى ، وجعلت أخيراً في « براءة » .

والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثه تقتضي نزول
آية ؛ وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتودى تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه
وسلم تذكراً لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه ؛ والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر
أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة
قبل ؛ مع حفظه لذلك النص .

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب ؛
لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية

(١) وقله ابن كثير في التفسير (٢ : ٣٩٣) أيضاً عن أحد بسنده عن المسيب . ولفظ البخاري : « لما
حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ؛ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : أي عم ، قل : لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن
أمية : يا أبا طالب ، أرغب عن ملة عبد المطلب ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرنَّ لك ما لم
أُنه عنك ؛ فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولَىٰ قُرْبَىٰ ... ﴾ إلى ﴿ إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَرِيقُ ﴾ ، ورواه البخاري أيضاً في باب التفسير .

(٣ : ١٧٣) عن المسيب ..

(٢) سورة التوبة ١١٣ .

(٣) سورة القصص ٥٦ .

في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ؛ لأنَّ هذا كان السبب في نزولها . وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ؛ كما في قول ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ ﴾^(١) ؛ وأما الإمام أحمد^(٢) فلم يُدخله في المسند ؛ وكذلك مسلم^(٣) وغيره ، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ؛ لا من جنس النقل لما وقع .

فصل

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ؛ لينبّه على أن العبرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشري في نفس سورة الهمزة : يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ؛ ليتناول كلَّ مَنْ باشر ذلك القبيح ؛ وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ؛ فإنَّ ذلك أزجر له ، وأنكى فيه .

[تقدّم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾^(٤) ؛ فإنه يُستدلُّ بها على زكاة الفطر ؛ روى البيهقي بسنده إلى ابن عمر

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، صاحب كتاب المسند ؛ ولد سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ . (وانظر ترجمته وأخباره في تاريخ الإسلام للذهبي - وفیات ٢٤١) .

(٣) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صاحب الصحيح ، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، توفي سنة ٢٦١ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٩١)

(٤) سورة الأعلى ١٤ .

أنها نزلت في زكاة رمضان ؛ ثم أسند مرفوعاً نحوه . وقال بعضهم : لا أدري ماوجه هذا التأويل ! لأن هذه السورة مكية ؛ ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأجاب البغوي^(١) في تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ كما قال : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾^(٢) ؛ فالسورة مكية ، وظهر أثر الحل يوم فتح مكة ؛ حتى قال عليه السلام : « أَحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ » .

وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾^(٣) ، قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدري أي الجمع يهزم ؛ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .

فائدة

زوى البخارى^(٤) في كتاب ” الأدب المفرد “ ، في برِّ الوالدين عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل : كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب ، حتى أفارق^(٥) محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(٦) ، والثانية أنى كنت أخذت سيفاً فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله ، هب لى هذا ؛

(١) هو أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب مصابيح السنة في الحديث ، ومعام التنزيل في التفسير . توفي سنة ٥١٠ . (ابن خلكان ١ : ١٤٦) .

(٢) سورة البلد ١ ، ٢ .

(٣) سورة القمر ٤٥ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ، الإمام ، عالم الحديث وصاحب الجامع الصحيح ، توفي سنة ٢٥٦ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٥) في الأصول : « تفارق » ، وما أثبتته عن كتاب الأدب المفرد .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(١) ، والثالثة أنى كنت مرضت ، فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إني أريد أن أقسم مالى [أفأوصى] ^(٢) بالنصف ؟ فقال : لا ، فقلت : الثالث ؟ فسكت ؛ فكان الثالث بعد جائزاً ^(٣) . والرابعة أنى شربت الخمر مع قوم من الأنصار ، فضرب رجل منهم أنفى [بلحى جمل] ^(٤) ؛ فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله [عز وجل] ^(٥) تحريم الخمر ^(٦) .

وأعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث : أيتما أولى البداءة به : بتقدم السبب على المسبب ؛ أو بالمناسبة ، لأنها المصححة لنظم الكلام ؛ وهى سابقة على النزول ؟

والتحقيق التفصيل ؛ بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآلية السابقة فى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(٥) ، فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب ؛ لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ؛ وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة .

(٣) فى الوصية نزل قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨ : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ أَنْ تَرَكْ خَيْرًا لِّلْوَالِدَيْنِ وَلِلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٤) سورة المائدة ٩٠ ، وانظر ص ٢٦ . (٥) سورة النساء ٥٨ .

النوع الثاني

معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١)؛ شيخ الشيخ أبي حيان. وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك^(٢).

واعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزّر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول .
والمناسبة في اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلانا ، أى يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب
الذى هو القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم ^(٢) ونحوه ؛ وإن كانا متناسبين بمعنى رابط
بينهما ، وهو القرابة . ومنه المناسبة في العلة في باب ^(٣) القياس : الوصف المقارب للحكم ؛
لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ؛ ولهذا قيل ؛
المناسبة أمر معقول ؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وكذلك المناسبة في فوائح الآى
وخواتمها ؛ ومرجمها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما : عام أو خاص ، عقلى أو
حسى أو خيالى ؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات . أو التلازم الذهنى ؛ كالسبب والمسبب ،
والعلة والمعلول ، والنظيرين ، والضدين ، ونحوه . أو التلازم الخارجى ؛ كالترتب على ترتيب

الوجود الواقعي من طرف المظهر

بريبي سور البران ٥٠٠ و٥٠٠ ٨٠٠ (واحد رجب في البرز الكائن ٣ : ٨٤ - ٨٩).

(٢) ومن ألف في هذا الموضوع أيضاً الشيخ برهان الدين الجناح في كتاب سماه: "نظم الدرر في تناسب الآيات والصور"، ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية.

(۳-۳) ساقط من م.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ،
ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ؛ ومن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازى
وقال فى تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً .

وهذا^(١) النوع يهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة . قال القاضى أبو
بكر بن العربى فى : " سراج المريدين " : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض^(٢) حتى تكون
كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى ، منتظمة المباني علم ، عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد
عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ؛ فلما^(٣) لم نجد له حكمة ، ورأينا الخلق
بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهابانى^(٤) : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن
سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابورى^(٥) ؛ وكان غزير العلم فى الشريعة
والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب
هذه ؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء
بغداد لعدم علمهم بالمناسبة . انتهى .

(١ - ١) ساقط من ت ، م .

(٢) فى الأصول : « أنا » ، وصوابه من كتاب الإقتان (٢ : ١٠٨) ، فيما نقل عن ابن العربى .

(٣) منسوب إلى شهابان ؛ قرية شرق بغداد ينسب إليها كثير من العلماء .

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن محمد زياد النيسابورى الفقيه الشافعى الحافظ ، رحل فى طلب العلم إلى العراق
والشام ومصر ، وقرأ على المزنى ، ثم سكن بغداد ، وصار إماماً لشافعية العراق ، وتوفى سنة ٣٢٤ . (الباب

٣ : ٢٥٢ ، طبقات القراء ١ : ٤٤٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٠٢) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) : المناسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يسان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ؛ كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة . وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها . انتهى .

قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ؛ فالمصحف كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف . وحافظ القرآن العظيم^(٢) لو استفتى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ماسئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ، ولا كما نزل مفزاً ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٣) . قال : والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكاملة لما قبلها ، أو مستقلة . ثم المستقلة ؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم ؛ وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له .

(١) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعزيز ، ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ . (وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ٥ : ٨٠ - ١٠٧) .

(٢) ت : « الجيد » . (٣) سورة هود ١ .

قلت : وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفى ؛ وهذا الراجح كما سيأتى ، وإذا
اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ؛ ثم هو يخفى
تارة ويظهر أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختم سورة المائدة من
فصل القضاء ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) . وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿ الْحَمْدُ ﴾ أيضاً ؛ فإنه مناسب لختم ما قبلها
من قوله : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) ؛
وكما قال تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . وكافتتاح
سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختم سورة الواقعة ، من الأمر به ^(٤) . وكافتتاح سورة
البقرة بقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٥) إشارة إلى ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ فى قوله :
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٦) ؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم :
ذلك الصِّرَاطُ الذى سألتم الهداية إليه هو الكتاب .

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ؛ وهو يراد سؤال الزمخشري
فى ذلك .

وتأمل ارتباط سورة ﴿ لِيلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ ^(٧) بسورة الفيل ؛ حتى قال الأخفش :
اتصالها بها من باب قوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٨) .

(٢) سورة سبأ ٥٤

(١) سورة الزمر ٧٥

(٣) سورة الأنعام ٤٥

(٤) إشارة إلى ختم سورة الواقعة بقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ . وافتتاح سورة الحديد

بقوله سبحانه : ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الفاتحة ٦

(٥) سورة البقرة ١

(٨) سورة القصص ٨

(٧) سورة قريش ١

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافقَ بأمر أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ؛ فذكر هنا في مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ^(١) أى الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة « فَصَلِّ » أى دُم عليها ؛ وفي مقابلة الرياء ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ ، أى لرضاء لالناس ، وفي مقابلة منع الماعون : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ ؛ وأراد به التصديق بلحم الأضاحى ؛ فاعتبر هذه المناسبة العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدّمٌ على التحميد ؛ يقال : سبحان الله ، والحمد لله .

وذكر الشيخ كال الدين الزمكاني ^(٢) في بعض دروسه مناسبة أستفاحتها بذلك ما ملخصه : إن سورة بنى إسرائيل أفتتحت بحديث الإسراء ؛ وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسولٌ من عند الله ، والمشركون كذبوا ذلك وقالوا : كيف يسير في ليلةٍ من مكة إلى بيت المقدس ! وعادوا وتعنتوا وقالوا : صِفْ لنا بيت المقدس ؛ فرُفع له حتى وصفه لهم . والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ، ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات ؛ فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادّعاه ؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناد ، فزّنه نفسه قبل الإخبار بهذا الذى كذبوه . وأما الكهف فإنه لما احتبس الوحى ، وأرجف الكفار بسبب ذلك ، أنزلها الله ردّاً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل أنعم عليه بإنزال الكتاب ، فناسب أفتاحتها بالحمد على هذه النعمة . وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور ، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ! بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالقلم الواحدة .

(١) سورة الكوثر ١

(٢) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد الزمكاني الشافعى صاحب كتاب البرهان في إيجاز القرآن ، توفى سنة ٧٢٧ . (وانظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٧٤ - ٧٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٦٦) .

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عُدنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض ؛ فنقول :
 ذكر الآية بعد الأخرى ؛ إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعينه ببعض
 وعدم تمامه بالأولى فواضح ، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير ،
 أو الاعتراض والتشديد ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .
 وإما ألا يظهر الارتباط ؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف
 النوع المبدوء به . فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في
 الحكم ، أولا . :

القسم الأول أن تكون معطوفة ؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق
 تقسيمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْسِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
 السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .
 وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشركيين .

وقد تكون العلاقة بينهما المُضادة ؛ وهذا كنسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ،
 والرغبة بعد الرهبة . وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ؛
 ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق ؛ ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ؛ ليعلم عظم الأمر
 والنهي . وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها وبشكل وجه الارتباط ؛ فتحتاج إلى شرح ؛
 ونذكر من ذلك صوراً يلتحق بها ما هو في معناها :

فمنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ، وَلَيْسَ
 الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . . . ﴾ ^(٣) الآية ؛ فقد يقال : أي رابط بين أحكام
 الأهلة وبين حكم إتيان البيوت ؛ والجواب من وجوه :

أحدها كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها : معلوم أنّ كلّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ، ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ؛ مما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّاً .

الثاني أنه من باب الاستطراد ؛ لما ذكر أنها مواقيت للحج ؛ وكان هذا من أفعالهم في الحج ؛ ففي الحديث : أنّ ناساً من الأنصار كانوا إذا أحرّموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ؛ فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ؛ منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ ف قيل لهم : ليس البرّ بتخرجكم من دخول الباب ؛ لكن البرّ برّ من اتقى ما حرّم الله ؛ وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة . ونظيره في الزيادة على الجواب قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المتوضّئ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحلّ ميتته » ^(١) .

الثالث أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه ؛ من تعكيسهم في سؤالهم ؛ وأنّ مثلهم كمثل من يترك باباً ويدخل من ظهر البيت ؛ ف قيل لهم : ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ؛ ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، أى باشروا الأمور من وجوها التي يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا . والمراد أن يصمّم القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه ؛ وأنه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ^(٢) فإن في السؤال اتّهما .

ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الضهارة (١ : ١٣٦) بسنده عن أبي هريرة ؛ يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ؛ أفنتوضأ من ماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

(٢) سورة الأنبياء ٢٣ .

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ... ﴿١﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ﴿٢﴾ فَإِنَّهُ
قد يقال : أى رابط بين الإسراء ، و﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ ؟ ووجه اتصالها بما قبلها أن
التقدير : أطلعناه على الغيب عياناً ، وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا ، لتقوم أخباره على معجزته
برهاناً ؛ أى سبحانه الذى أطلعك على بعض آياته لتقصّها ذكراً ، وأخبرك بما جرى
لموسى وقومه فى الكرتين ؛ لتكون قصتهما آية أخرى . أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما
أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب . ثم ذكر بعده : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ﴿٣﴾ ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديماً ؛
حيث نجّاهم من الفرق ؛ إذ لو لم ينجّ أباهم من أبناء نوح لما وجدوا . وأخبرهم أنّ نوحاً كان
عبداً شكوراً ؛ وهم ذرّيته ، والولد سرّ أبيه ؛ فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم ؛ لأنه
يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا .

وتأمل كيف أثنى عليه ، وكيف تليق صفته بالفاصلة ، ويتمّ النظم بها ، مع خروجها
مخرج المرور من الكلام الأول إلى ذكره ومدحه بشكره ، وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه
إياهم من الطوفان بما حملهم عليه ، ونجّاهم منه ؛ حين أهلك من عادهم . وقد عرفهم أنه إنما
يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قتلهم . ثم عاد عليهم بالإحسان والإنفضال ؛
كى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذى ولّاهم ذرّيته ؛ فلما صاروا إلى
جهالتهم وتمردوا عاد عليهم التعذيب .

ثم ذكر تعالى فى ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة ، بكلمات قليلة العدد ، كثيرة
الفوائد ؛ لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير والكلام الطويل ، مع ما اشتمل عليه من
التدريج العجيب ، والموعظة العظيمة بقوله : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفَسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

فَلَهَا^(١)، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام، إلى أن خرج إلى قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾^(٢)، يعني إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو. ثم خرج خروجا آخر إلى حكمة القرآن؛ لأنه الآية الكبرى. وعلى هذا قس الانتقال من مقام إلى مقام؛ حتى ينقطع الكلام.

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلص^(٣). وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامى^(٤) وقال: ليس في القرآن الكريم منه شيء، لما فيه من التكلف. وليس كما قال.

ومن أحسن أمثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾^(٥) الآية، فإن فيها خمسَ تخلصات: وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلُ سَائِلٌ بِمَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾^(٦) الآية؛ فإنه سبحانه ذكر أولا عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله؛ ثم تخلص إلى قوله: ﴿تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٧) بوصف ﴿الله ذي المارج﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٨)،

(١) سورة الإسراء ٧ (٢) سورة الإسراء ٨

(٣) ذكره ابن الأثير في الباب (٣ : ٢٦٦)، وقال: «كان من فضلاء عصره، وشعره مشهور؛ وهو من شعراء نظام الملك».

(٤) انظر الكلام عليه في كتاب المثل السائر لابن الأثير ٢ : ٢٦٦ وما بعدها.

(٥) سورة النور ٣٥ (٦) سورة المارج ١

(٧) سورة المارج ٤ (٨) سورة الشعراء ٦٩، ٧٠

إلى قوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنفْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ؛ وتمت الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول ؛ وهذا تخلص عجيب .

وقوله : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَأَنتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ^(٢) . وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال : إن أولئك لي أعداء إلا الله ، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى في سورة الصافات ^(٤) : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ ؛ وهذا من بدیع التخلُّص ؛ فإنه سبحانه خلص من وصف الخلقين وما أعدَّ لهم ، إلى وصف الظالمين وما أعدَّ لهم .

ومنه أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام ، فقال في آخرها : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ .. ﴾ ^(٥) إلى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ، وهو من بدیع التخلُّص .

(١) سورة الشعراء ١٠٢ (٢) سورة الشعراء ٧٢ - ٧٨

(٣) سورة النمل ٢٣ - ٢٦

(٤) آية ٦٢

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ .

واعلم أنه حيث قصد التخلص فلا بدّ من التوطئة له ؛ ومن بديعه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَصَصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام . فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة ؛ يشير إليها بهذه النكته من باب الوحي والرمز . وكقوله سبحانه موطناً للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ... ﴾ ^(٢) الآية .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ؛ فإنه قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ ^(٤) الآية ؟ قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره : سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أي فلا يحرمكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ... ﴾ ^(٥) الآية ؛ فإنه يقال : ما وجه الجمع بين الإبل والسما والجال والأرض في هذه الآية ؟ والجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر ؛ فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب ؛ وذلك بنزول المطر ؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء ؛ ثم لا بدّ لهم من مأوى يؤويهم ، وحصن يتحصنون [به] ؛ ولا شيء في ذلك كالجال ؛ ثم لا غنى لهم - لتدّ طول مكثهم في منزل - عن التثقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة ^(٦) فيه على الترتيب المذكور .

(٢) سورة آل عمران ٣٣ .

(١) سورة يوسف ٣ .

(٤) سورة البقرة ١١٤ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٦) في الأصول : « خاص » تحريف .

(٥) سورة الفاشية ١٧ ، ١٨ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَدَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ ^(١) ، فيقال : أى ارتباط بينهما ؟ وجوابه أن المبتدأ وهو ﴿ مَنْ ﴾ خبره محذوف ، أى أفن هو قائم على كل نفس تترك عبادته ؟ أو معادل الممزة تقديره : أفن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم ؛ ووجه العطف على التقديرين واضح . أما الأول فالمعنى : أنت ترك عبادة من هو قائم على كل نفس ، ولم يكف الترك حتى جعلوا له شركاء ! وأما على الثانى فالمعنى : إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوى حكم المساوى ! .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ ^(٢) عطف قصة على قصة ؛ مع أن شرط العطف المشاكلة ، فلا يحسن فى نظير الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ . ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمنزلة : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم ؟ وإنما كانت بمنزلة لأن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ولذلك يحجب ببلى ، والاستفهام يعطى النفي ، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم ؛ ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفي ، ونفى النفي إيجاب ، فصار بمثابة « رأيت » غير أنه مقصود به الاستفهام ، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده فى اللفظ ؛ فلذلك أعطى معنى : هل رأيت .

فإن قلت : من أين جاءت « إلى » ورأيت يتعدى بنفسه ؟ أجب لتضمنه معنى « تنظر » .

القسم الثانى ألا تكون من قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والادون مزج ليطى : ، وهذا مزج معنوى ؛ فمثل الثانى من الأولى منزلة جزئها الثانى ، وله أسباب .

أحدها التنظير؛ فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء؛ ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٢) فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضى لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون؛ وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال ، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه؛ فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل ، فأنزل الله هذه الآية ، وأنفذ أمره بها ، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شئ ما ، بعد أن كانوا مؤمنين. ووصف المؤمنين؛ ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ ، يريد أن كراهتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك .

وقيل : معناه أولئك هم المؤمنون حقا؛ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق؛ كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ^(٣) .

وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر؛ وتأويله : أفعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر، وإن كره القوم ذلك؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتي عليكم؛ فنبههم ككراهتهم لرسول الأنفال وقصتها بالكرهية في خروجه من بيته .

والكلام في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا

(١) سورة الأنفال ٥

(٢) سورة الأنفال ٥١

(٣) سورة البقرة ١٥١

(٤) سورة الحجر ٩٠

النَّذِيرُ الْمُبِينُ^(١) فَإِنْ فِيهِ مُحَذِّفٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ، عِقوبة أو عذاباً، مثل ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢) وقد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(٣). وقوله: ﴿كَلَّا بَلَى يُبْشِرُ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٤)؛ فهذا من باب قولك للرجل، وأنت تتحدثه بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل على واسمع ما أقول، وافهم عني، ونحو هذا الكلام؛ ثم تصل حديثك؛ فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول؛ فاطعاً له؛ وإنما يكون به مشوقاً للكلام. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرك لسانه بذكر الله، فقيل له: تدبّر ما يوحى إليك، ولا تتلقفه بلسانك؛ فإتما نجمعه لك ونحفظه عليك.

ونظيره قوله في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ يَأْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥)، فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولاً: ﴿ذَلِكَ فِسْقٌ﴾^(٥)، ووسط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً في قبول هذه الأحكام، والعمل بها، والحث على مخالفة الكفار وموت كلهم وإكمال الدين. ويدل على اتصال ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾^(٥) بقوله: ﴿ذَلِكَ فِسْقٌ﴾ آية الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِياً أُوحَى إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ لَغْوًا لِمَنْ أَشْطَرُّ﴾^(٦).

(٢) سورة القيامة ١٦.

(١) سورة الحجر ٨٩.

(٤) سورة القيامة ٢٠، ٢١.

(٣) سورة القيامة ١٤، ١٥.

(٦) سورة الأنعام ١٤٥.

(٥) سورة المائدة ٣.

الثاني المضادة ؛ ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) الآية ، فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم ، وأن من شأنه كَيْتَ وَكَيْتَ ، وأنه لا يهدى القوم الذين من صفاتهم كَيْتَ وَكَيْتَ . فرجع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أكله عَقَبَ بما هو حديث عن الكفار ؛ فبينهما جامع وهى بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول ، كما قيل :

* وَبُضِدَ هَاتَيْنِ الْأَشْيَاءُ *

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأن كونه حديثاً عن المؤمنين ، بالعرض لا بالذات ، والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن الكتاب ، لأنه مفتتح القول . قلنا : لا يشترط فى الجامع ذلك ، بل يكفى التعلق على أى وجه كان ، ويكفى فى وجه الربط ما ذكرنا ، لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ ^(٢) الآية . فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣) . قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها ؛ إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العُرْيِ وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى . وجعل القاضى أبو بكر فى كتاب ” إيجاز القرآن “ من الاستطراد قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ

(٢) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة البقرة ٦

(٣) سورة الأعراف ٢٦ .

يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ .
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿١﴾ .
وقال : « كأن المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص »^(٢) . انتهى ، وفيه نظر .

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرُنَا وَإِنَّا لَلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾^(٣) ، فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْرِ ، لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعا آخر ، وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال : ﴿ هَذَا ذِكْرُنَا ﴾ ؛ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة ، تقول : أشير عليك بكذا ، ثم تقول بعده : هذا الذي عندي والأمر إليك . وقال : ﴿ وَإِنَّا لَلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ، كما يقول المصنف : هذا باب يشرع في باب آخر . ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّا لِلطَّاعِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾^(٤) .

فصل

[في اتصال اللفظ والمعنى على خلافه]

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾^(٥) ؛ فقوله : ﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾^(٦) ؛ لأنه موضع الشماتة .
وقوله : ﴿ كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾^(٧) ؛ فإنه متصل بقوله : ﴿ وَإِنْ

(٢) ص ١٥٩ (طبعة المعارف)

(٤) سورة ص ٥٥

(٦) سورة النساء ٧٢

(١) سورة النحل ٤٨ ، ٤٩

(٣) سورة ص ٤٩

(٥) سورة النساء ٧٣

(٧) سورة الأنفال ٦

فريقاً من المؤمنين لكارهون . كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ ^(٢) جواب الشرط قوله تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) داخل في الشرط .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) . فقوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ متصل بقوله : ﴿ لَعَلَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٧) . ومثل بقوله : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ^(٨) . على تأويل : ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلاً ممن لم يدخله في رحمته ، واتبعوا الشيطان ، لاتبعم الشيطان .

ومما يحتمل الاتصال والاقطاع قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(٩) ؛ يحتمل أن يكون متصلاً بقوله : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ ^(١٠) ، أى المصباح في بيوت ، ويكون تامه على قوله : ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(١١) و ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ ﴾ صفة للبيوت . ويحتمل أن يكون منقطعاً ، واقعاً خبراً لقوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ ﴾ ^(١٢) .

ومما يتعين أن يكون منقطعاً قوله : ﴿ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴾ إلا في كتاب ^(١٣) مستأنف ، لأنه لو جعل متصلاً « بيعزب » لاختل المعنى ، إذ يصير على حد قولك : ما يعزب عن ذهني إلا في كتاب ، أى استدراكه .

وقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١٤) ، منهم من قضى باستثنائه على أنه مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل ﴿ فِيهِ ﴾ خبر ﴿ لَا ﴾ ، و ﴿ هُدًى ﴾ نصب على الحال في تقدير « هادياً » .

(١) سورة الأنفال ٥ ، ٦ (٢) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة النساء ٨٣ (٤) سورة النور ٣٦

(٥) سورة النور ٣٥ (٦) سورة النور ٣٧

(٧) سورة يونس ٦١ (٨) سورة البقرة ٢

ولا يخفى انقطاع ﴿الذين يحملون العرش﴾^(١) عن قوله : ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ﴾^(٢) .

وكذا ﴿فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٣) عن قوله سبحانه : ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا
يُعلنُونَ﴾^(٤) .

وكذلك قوله : ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(٥) عن قوله : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى
بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾^(٥) .

(٢) سورة غافر ٦

(٤) سورة المائدة ٣١

(١) سورة غافر ٧

(٣) سورة يس ٧٦

(٥) سورة المائدة ٣٢

النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي



وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقريئة السجع .

وقال الداني^(١) : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبري^(٢) : وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه^(٣) بـ ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾^(٤) ، و ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾^(٥) ، وليساً رأس آي ؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية ؛ ويلزم أبا عمرو^(٦) إمالة ﴿مَنْ أَعْطَى﴾^(٧) لأبي عمرو .

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني . انتهى .

وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي ، قال : أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك

(١) هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني ؛ أحد الأئمة في القرآن الكريم وروايته ، وصاحب كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة ، والمفهم في الرسم ، والاكتفاء في الوقف والابتداء ؛ وغيرها من الكتب التي تتعلق بالقراءة والقرآن . توفي سنة ٤٤٤ . (وانظر ترجمته ومراجعتها في إنباه الرواة ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢) .
(٢) هو العلامة إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري ؛ الملقب بإبراهيم الدين ؛ صاحب شرح الناطية المسمى كنز المعاني ، وكتاب عقود الجنان ، وروضة الضرائف في رسم المصاحف ، وغيرها . توفي سنة ٧٣٢ . (الدرر الكامنة ١ : ٥٠)

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩ (٤) سورة هود ١٠٥

(٥) سورة الكهف ٦٤

(٦) يريد أبا عمرو الداني المذكور . (٧) سورة الليل ٧ . ويريد أبا عمرو بن العلاء صاحب القراءات النسوية إليه .

الفواصل يكنّ رؤوس آيٍ وغيرها . وكلّ رأس آية فاصلة ، وليس كلّ فاصلة رأس آية ؛
فالفاصلة تعمّ النوعين ، وتجمع الضربين ؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في
تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ - وهما غير رأس آيتين بإجماع - مع ﴿إِذَا
يَسْرِي﴾^(١) ؛ وهو رأس آية باتفاق . انتهى .

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهي الطريقة التي يبين
القرآن بها سائر الكلام . وتسمّى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر
الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسمّوها أسجعا .

فأما مناسبة فواصل ، فلقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٢) . وأما تجنب أسجاع ،
فلأن أصله من سَجَعَ الطيرُ ، فشَرَّفَ القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظٌ هو أصلُ
في^(٣) صوت الطائر ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم
السَّجْعِ الواقع في كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه
بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ؛ ثم فرقوا بينهما فقالوا : السَّجْعُ هو الذي يُقَصَّدُ
في نفسه ثم يحيل المعنى عليه ، والفواصل التي تتبّع المعاني ، ولا تكون مقصودةً في نفسها .
قاله الرماني في كتاب " إعجاز القرآن " ،^(٤) وبنى عليه أن الفواصل بلاغة والسجع
عيب ، وتبعه القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب " إعجاز القرآن " ،^(٥) ونقل عن الأشعرية
امتناع كون في القرآن سجعا . قال :^(٥) « ونصّ عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري^(٦) في
غير موضع من كتبه » .

(١) سورة الفجر ٤

(٢) سورة فصلت ٣ . (٣) ت : « لصوت »

(٤ - ٤) ساقط من م

(٥) ص ٨٦ وما بعدها (٦) الإعجاز : « وذكره الشيخ أبو الحسن » .

قال : « وذهب كثير من مخالفينهم إلى إثبات السَّجْع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما تبين فيه فضلُ الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس ، والالتفات ونحوها » ^(١) . قال : « وأقوى ^(٢) ما استدلوا به الاتفاق ^(٣) على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام ، ولما كان ^(٤) السَّجْع قيل في موضع : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٥) ولما كانت القواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ موسى وهارون ﴾ ^(٥) . قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصودٍ إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ، وذلك القدر يتفق وجوده من المُفَحِّم ^(٦) كما يتفق وجوده في الشعر . وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصودٍ إليه » .

قال : « وبنوا ^(٧) الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ؛ قال أهل اللغة : هو موالة الكلام على وزن ^(٨) واحد . قال : ابن دريد : « سجت الحماة : رددت صوته » ^(٩) .

قال القاضي : وهذا [الذي يزعمونه] ^(١٠) غير صحيح ؛ ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إيجاز ، ولو جاز أن يقال ^(١١) : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف ! والسجع مما كانت

(١) الإيجاز : « وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة » .

(٢ - ٢) الإيجاز : « وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل » .

(٣) في الإيجاز : « ولما كان » (٤) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الشعراء ٤٨

(٦) كذا في إيجاز القرآن ، وفي الأصول : « العجم » .

(٧) الإيجاز : « وبينون الأمر » . (٨) م : « على روى » .

(٩) جبهة اللغة ٢ : ٩٣ (١٠) تكملة من إيجاز القرآن

(١١) الإيجاز : « أن يقولوا » .

كُفَّانِ العرب تألفه ؛ ونفيهِ من القرآن أَجْدَرُ بأن يكون حجة من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تخالف النبوات ؛ بخلاف الشعر^(١) .

وما توهموا^(٢) أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو^(٣) ؛ لأن السجع [من الكلام]^(٤) يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ؛ وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى^(٥) السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى . وفرق^(٦) بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ؛ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى انتظم^(٧) المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى . قال : و [أما]^(٨) ما ذكره فى تقديم موسى على هارون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لأجل^(٩) السجع ، ولتساوى مقاطع الكلام فردود^(١٠) ، بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً^(١١) ، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتقوى البلاغة ، ولهذا أعيدت كثير من القصص [فى مواضع كثيرة مختلفة]^(١٢) على ترتيبات متفاوتة ؛ تنبيهاً^(١٣) بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله ، مبتدأً به ومكرراً .

(١) الإيجاز : « وليس كذلك الشعر » .

(٢ - ٣) الإيجاز : « والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مقال السجع وإن لم يكن سجعاً ؛ لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض » .

(٤) من إيجاز القرآن . (٥) الإيجاز : « فى تقدير السجع » .

(٦) الإيجاز : « وفصل » . (٧) كذا فى الإيجاز وفى الأصول : « ارتبط » .

(٨) تكلمة من كتاب إيجاز القرآن .

(٩) الإيجاز : « لمكان » .

(١٠) الإيجاز : « فليس بصحيح » .

(١١) ت : « إلى معنى واحد » . (١٢) الإيجاز : « ونهبوا بذلك » .

ولو أمكنهم^(١) المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها [وجعلوها بإزاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما حكي وجاء به . وكيف وقد قال لهم : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾^(٢)]
فعلى هذا يكون المقصد - بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها - إظهار الإعجاز [على الطريقين جميعا]^(٣) دون السجع [الذي توهموه]^(٤) .

إلى أن قال : « فبان [بما قلنا]^(٥) أن الحروف الواقعة^(٦) في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدها ، ولا يدخلها في باب السجع . وقد بينّا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض مصاريعه كلمتين ، وبعضها يبلغ^(٧) كلمات ، ولا يرون ذلك فصاحة ، بل يرونه عجزاً ،^(٨) فلو فهموا اشتغال القرآن على السجع^(٩) لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فنزيد في الفصاحة على طريق القرآن ، [وتتجاوز حده في البراعة والحسن]^(١٠) . انتهى ما ذكره القاضي والرماني .

ردّ عليهما الخفاجي^(١١) : « في كتاب سر الفصاحة » ، فقال : «^(١٢) وأما قول الرماني إن السجع عيب ، والفواصل [على الإطلاق]^(١٣) بلاغة فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة ، والفواصل مثله . وإن أراد^(١٤) به ما تقع المعاني تابعة له ، وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب ، والفواصل مثله » .

(١) الإعجاز : « ولو كان فيهم » .

(٢) ما بين العلامتين تكملة من كتاب إعجاز القرآن .

(٣) سورة الطور ٣٤ . (٤) الإعجاز : « التي وقعت » .

(٥) الإعجاز : « يبلغ أربع كلمات » .

(٦ - ٦) الإعجاز : « فلو رأوا أن ما نلّ عليهم من القرآن سجعا .. »

(٧) من إعجاز القرآن .

(٨) هو الأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الأديب الشاعر . توفي سنة ٤٦٦ هـ .

(٩) وانظر ترجمته في فوات الوفيات ١ : ٤٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٦ .

(١٠) سر الفصاحة ١٦٦ وما بعدها (١٠) من سر الفصاحة .

(١١) سر الفصاحة : « وإن كان يريد بالسجع ... » .

قال : « وأظن أن الذى دعاهم^(١) إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسئوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ما قلناه^(٢) » .

ثم قال : «^(٣) والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل^(٤) .

فإن قيل^(٥) : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلاً ورد القرآن كله مسجوعاً ! وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟ قلنا^(٥) : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان^(٦) الفصح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً^(٦) لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع ، لاسيما فيما يطول من الكلام ، فلم يرد كله مسجوعاً جبراً منه على عرفهم فى اللطيفة^(٧) العالية من كلامهم ، ولم يخل من السجع ؛ لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة^(٨) ، [وعليها ورد فى فصح كلامهم ، فلم يحز أن يكون عالياً فى الفصاحة وقد أدخل فيه بشرط من شروطها]^(٩) . فهذا هو السبب فى ورود بعضه كذلك وبعضه بخلافه » .

وخصت فواصل الشعر باسم القوافى لأن الشاعر يقفوها أى يتبعها فى شعره ، لا يخرج عنها ، وهى فى الحقيقة فاصلة ، لأنها تفصل آخر الكلام ، فالقافية أخص فى الاصطلاح ، إذ كل قافية فاصلة ، ولا عكس .

ويمتنع استعمال القافية فى كلام الله تعالى ، لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب

(١) سر الفصاحة : « دعا أصحابنا » . (٢) سر الفصاحة : « وأما الحقيقة فما ذكرناه » .

(٣ - ٣) لم ترد هذه العبارة فى النسخة التى بين أيدينا من كتاب سر الفصاحة .

(٤) سر الفصاحة : « فإن قال قائل » . (٥) سر الفصاحة : « قيل » .

(٦ - ٦) سر الفصاحة : « وكان الفصح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً » .

(٧) سر الفصاحة : « الطيقة » .

(٨) سر الفصاحة : « على الصفة التى قدمناها » . (٩) من سر الفصاحة .

سلبُ القافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصةً به في الاصطلاح . وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تتعداه .

قيل : وقد يقع في القرآن الإيطاء^(١) ، وهو ليس بقبیح فيه ، إنما يقبح في الشعر ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) . ثم قال في آخرين : ﴿ لو كانوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) ، ثلاث فواصل متوالية « يعلمون » يعلمون ، [يعلمون] ، فهذا لا يقبح في القرآن قولاً واحداً .

قيل : ويقع فيه التضمين^(٤) ، وليس بقبیح ، إنما يقبح في الشعر ، ومنه سورتنا الفيل وقریش ، فإن اللام في ﴿ لا يَلَا فِ قُرَيْشٍ ﴾^(٥) قيل : إنها متعلقة بـ ﴿ جَعَلَهُمْ ﴾^(٦) في آخر الفيل .

وحكى حازم^(٧) في " منهاج البلغاء " خلافاً غريباً فقال : وللناس في الكلام المنشور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في الكمية ، وتناسب مقاطعها على ضرب منها ، أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، في كل ضرب

(١) الإيطاء في الشعر أن يبقی بكلمة ، ثم يبقیها في بيت آخر ، كتكرار كلمة « لنا » في قول ابن مقبل :
أو كاهتزازِ رُدِّيْنِي تداوَلُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لِنَا
ثم قال في موضع آخر :

نَا زَعَ أَلْبَابَهَا لُبِّي بِمَعْتَصِرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ حَتَّى زِدْتَنِي لِنَا

(٢) سورة البقرة ١٠١ - ١٠٣ وانظر الموشح للعرزباني ١٥

(٣) التضمين في الشعر هو بيت بين على كلام يكون معناه في بيت يتلو من بعده مقتضياً له ؛ كقول الفائق :

وسعدٌ فساثلهم والرباب وسائل هوازن عتاً إذا ما
لقيناهم كيف نعلم بواتر يفرين أيضاً وهاما

وانظر (الموشح ٢٥)

(٤) سورة الفيل ٥

(٥) سورة قریش ١

(٦) هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي ، الأنصاري القرطبي ، شيخ البلاغة والأدب ، وأوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض والبيان ، توفي سنة ٦٨٤ (بنية الوعاة ٢١٤)

ضربٌ منها أو يزيد على الازدواج ، ومن جهة ما يكون غير مقطع ، إلى مقادير بقصد تناسب أطرافها ، وتقارب ما بينهما في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة في انطول والقصر لما فيه من التكلف ، إلا ما يقع به الإلمام في النادر من الكلام .

والثاني أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكدٌ جدا .

والثالث - وهو الوسط - أن السَّجْع لما كان زينةً للكلام ، فقد يدعو إلى التكلف ، فرئى ألا يستعمل في جملة الكلام ، وأن لا يُخَلَّى الكلام بالجملة منه أيضا ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفوا ، بخلاف التكلف ، وهذا رأى أبو الفرج قدامة^(١) .

قال حازم : وكيف يعاب السَّجْع على الإطلاق ! وإنما نَزَلَ القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب ، وإنما لم يحىء على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد ، لما فيه من التكلف ، ولما في الطبع من الملل عليه . ولأن الافتتان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

[إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكدا جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع :

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر ، ذكر ابن الجوزى أنه توفي سنة ٣٣٧ (وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ١٢) .

أحدها زيادة حرفٍ لأجلها ، ولهذا ألحقت الألف بـ « الظنون » في قوله تعالى : ﴿ وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ^(١) ، لأن مقاطعَ فواصل هذه السورة أَلِفَاتٌ منقلبة عن تنوين في الوقف ، فزيد على النون أَلِفٌ لتساوى المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل ، ومثله : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَطَعْنَا الرُّسُولَا ﴾ ^(٣) .

وأنكر بعض المقاربة ذلك وقال : لم تُزد الألفُ لتتناسب رموس الآي كما قال قوم ، لأن في سورة الأحزاب : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ^(٤) وفيها : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ^(٥) ، وكل واحد منها رأسُ آية ، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك في الثاني دون الأول ، فلو كان لتتناسب رموس الآي لثبت من الجميع .

قال : وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين ، واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك . وكذلك لحاق هاء السكت في قوله : ﴿ مَا هِيَ ﴾ ^(٦) في سورة القارعة ، هذه الهاء عدلت مقاطعَ الفواصل في هذه السورة ، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثيرٌ عظيم في الفصاحة .

وعلى هذا - والله أعلم - ينبغي أن يُحمل لحاق النون في المواضع التي قد تكلم في لحاق النون بإياها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ فِي فَلَكَ يُسَبِّحُونَ ﴾ ^(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ ﴾ ^(٨) فإن من مآخذ الفصاحة ومذاهبها أن يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأنحاء للآي راجح الأصالة في الفصاحة ، لتكون فواصل السور الوارد فيها ذلك قد استوثق فيما قبل حروفها المتطرفة ، وقوع حرفي المد واللين .

(٢) سورة الأحزاب ٦٧

(١) سورة الأحزاب ١٠

(٤) سورة الأحزاب ٤

(٣) سورة الأحزاب ٦٦

(٦) سورة يس ٤٠

(٥) سورة القارعة ١٠

(٧) سورة البقرة ٦٥

وقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ ^(١) وهو طورُ سَيْنَاءَ ؛ لقوله : ﴿ وَشَجَرَةَ تَنْجُوتٍ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) كرر «لعلّ» مراعاة لقواصل الآي ، إذ لو جاء على الأصل لقال : لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ فَيَعْلَمُوا ؛ بحذف النون على الجواب .

السّاني حذف همزة أو حرفٍ اطراداً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ ﴾ ^(٤) .

الثالث الجمع بين المجزئات ؛ وبذلك يُجَاب عن سؤال في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ ^(٥) فإنه قد توالّت المجزئات بالأحرف الثلاثة ، وهى اللام في ﴿ لَكُمْ ﴾ والباء في ﴿ بِهِ ﴾ و «على» في ﴿ عَلَيْنَا ﴾ وكان الأحسن الفصل .
وجوابه أنّ تأخر ﴿ تَبِيعاً ﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط ، وكذلك الآيات التى تتصل بقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ ، فإن فواصلها كلها منصوبة منصوّة ، فلم يكن بدّ من تأخير قوله : ﴿ تَبِيعاً ﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبةً لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة .

الرابع تأخير ما أصله أن يقدّم ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(٦) ، لأن أصلَ الكلام أن يتصل الفعلُ بفاعله ويؤخرَ المفعول ، لكن آخرَ الفاعل ، وهو «موسى» لأجل رعاية الفاصلة .

قلت : للتأخير حكمة أخرى ، وهى أن النفس تتشوق لفاعل ﴿ أَوْجَسَ ﴾ ، فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع .

(١) سورة البقرة ٢ (٢) سورة المؤمنون ٢٠ (٣) سورة يوسف ٤٦
(٤) سورة الفجر ٤ (٥) سورة الإسراء ٦٩ (٦) سورة طه ٦٧

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ^(١)
 فإن قوله : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ ولهذا رفع . والمعنى : ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ في التأخير ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ لكان العذاب لازما . لكنه قدم
 وأخر انتشبتك رءوس الآي . قاله ابن عطية .

وجوز الزمخشري عطفه على الضمير في ﴿ لَكَانَ ﴾ ، أي لكان الأجل العاجلُ وأجل
 مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعادٍ وثمود ، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأجل
 العاجل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴾ ^(٢) ، فأخر الفاعل لأجل الفاصلة .
 وقوله : ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٣) آخر الفعل عن المفعول فيها وقدمه فيما قبلها في
 قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(٤) لتوافق [رءوس] ^(٥) الآي . قاله
 أبو البقاء ، وهو أجودُ من قول الزمخشري : قدم المفعول للاختصاص .

ومنه تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٥)
 وهي قبل العبادة ، وإنما أخرت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة .

الخامس أفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ^(٦)
 قال الفراء ^(٧) : الأصل « الأنهار » ؛ وإنما وُحِدَ لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس

(١) سورة طه ١٢٩

(٢) سورة القمر ٤١ (٣) سورة البقرة ٣

(٤) تكملة من كتاب « املاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن » ، لأبي البقاء
 عبد الله بن الحسين العسكري . توفي سنة ٦١٦ . (وانظر ترجمته في بنية الوعاة ٢٨١) .

(٥) سورة الفاتحة ٥ (٦) سورة القمر ٥٤

(٨) هو يحيى بن زياد الفراء ؛ إمام الكوفة في النحو واللغة وصاحب كتاب معاني القرآن . توفي سنة ٢٠٧ .
 (وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٢٢٨)

الآى . ويقال النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب ^(١) .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ^(٢) قال ابن سيده ^(٣) فى الحكم : أى أعضاداً ، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآى بالافراد . والعضد : المعين ^(٤) .

السادس جمع ما أصله أن يفرد ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ ^(٥) فإن المراد « ولا خلة » بدليل الآية الأخرى ، لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآى .

السابع ثنية ما أصله أن يفرد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئَانًا ﴾ ^(٦) .

قال الفراء : هذا باب مذهب العرب فى ثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله : « ديار لها بالرقمتين » ^(٧) وقوله : « بطن المكتين » ^(٨) وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأن لها وجهين ، وأنتك إذا أوصلتها ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة » .

(١) العبارة فى كتاب معانى القرآن : « وقوله : ﴿ إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴾ معناه أنهار ؛ وهو فى مذهبه كقوله : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ ، وزعم الكسائى أنه سمع العرب يقولون : أتينا فلانا ، فكنّا فى لجة ونبذه ، فوجد ؛ ومعناه الكثير . ويقال : ﴿ إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴾ ، فى ضياء وسعة » .

(٢) سورة الكهف ٥١ .

(٣) هو على بن إسماعيل أبو الحسن الضرير ، المعروف بابن سيده ، العالم الأندلسى ، صاحب المحكم والمختص . توفى سنة ٤٤٨ هـ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥)

(٤) سورة إبراهيم ٣١

(٥) اللسان (عضد)

(٦) قطعة من بيت زهير ؛ والبيت بتمامه :

(٧) سورة الرحمن ٤٦

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشير معظم

(٨) البيت بتمامه فى أمالى المرتضى ٢ ، ١٤٨ :

فقولاً لأهل المكتين تمأشدوا وسيروا إلى أطام يثرب والنخل

قال : وإنما ثناها هنا لأجل الفاصلة ؛ رعايةً للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن .
والقوا في تحتملُ في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

وأنكر ذلك ابنُ قتيبة ^(١) عليه وأغلظ وقال : إنما يجوز في رموس الآي زيادةُ هاء
السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وَعَدَ جنتين فنجعلهماجنة
واحدة من أجل رموس الآي فعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال :
﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ^(٢) ، ثم قال فيها : ﴿ فِيهِمَا ﴾ ^(٣) . ولو أن قائلًا قال في خزنة النار : إنهم
عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعةَ عشرَ لرأس الآية ^(٤) ، ما كان هذا القول إلا كقول القراء .
قلت : وكأنَّ الملجئ للقرءاء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ^(٥) ، وعكس ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ^(٦) ؛ على أن هذا قابلٌ للتأويل ؛ فإن الألف واللام للعموم ، خصوصاً أنه
يرد على القراء قوله : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ^(٧) .

الثامن : تأنيثُ ما أصله أن يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ ^(٨) ؛ وإنما
عدل إليها للفاصلة .

التاسع كقوله : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ^(٩) ، وقال في العلق : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ؛ صاحب عيون الأخبار ومشكل القرآن وغيرهما .
توفي سنة ٢٧٠ . (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣)

(٢) سورة الرحمن ٤٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٠ ، والآية بتمامها : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الدثر ٢٧ - ٣٠ : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا
تَذَرُ . لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

(٥) سورة النازعات ٤٠ ، ٤١ (٦) سورة طه ١١٧

(٧) سورة المدثر ٥٤ (٨) سورة الأعلى ١

ربكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ، فزاد في الأولى ﴿الأعلى﴾ ، وزاد في الثانية : ﴿خلق﴾ ، مراعاةً للفواصل في السورتين ، وهي في « سُبْح » ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٢) وفي « العلق » ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٣) .

العاشر: صرف ما أصله ألا ينصرف ؛ كقوله تعالى : ﴿قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا﴾ (٤) صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثاني بالألف ، فَحَسُنْ جَعَلَهُ مُنْوَنًا لِيَقْلِبَ تَنْوِينُهُ أَلْفًا ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعالى : ﴿سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا﴾ (٥) فَإِنْ ﴿سَلَاسِلًا﴾ لما نظم إلى ﴿أَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٦) صُرِفَ وَنُونٌ لِلتَّنَاسُبِ ، وبقي « قَوَارِيرًا » الثاني ؛ فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفه ، لأنه لما نون « قَوَارِيرًا » الأول ناسب ، أن ينون « قَوَارِيرًا » الثاني ليتناسبًا ، ولأجل هذا لم ينون « قَوَارِيرًا » الثاني إلا مَنْ ينون « قَوَارِيرًا » الأول . وزعم إمام الحَرَمَيْنِ في ” البرهان “ ، أن من ذلك صَرَفَ ما كان جمعًا في القرآن ليناسب رموس الآي ؛ كقوله تعالى : ﴿سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا﴾ .

وهذا مردود ، لأن «سلاسلا» ليس رأس آية، ولا «قواريرا» الثاني ، وإنما صُرِفَ للتناسب ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها . ونظيره في مراعاة المناسبة أن الأفصح أن يقال : « بدأ » ثلاثي ؛ قال الله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٧) . وقال تعالى : ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (٨) ثم قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (٩) ، فجاء به رباعيًا فصيحًا لما حسنه من التناسب بغيره وهو قوله : ﴿يُعِيدُهُ﴾ .

- | | |
|---|--------------------------|
| (١) سورة العلق ١ | (٢) سورة الأعلى ٢ |
| (٣) سورة العلق ٢ | (٤) سورة الإنسان ١٥ ، ١٦ |
| (٥) هي قراءة نافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٩ . | (٦) سورة الإنسان ٤ |
| (٧) سورة العنكبوت ٢٠ | (٨) سورة الأعراف ٢٩ |
| (٩) سورة العنكبوت ٢٠ | (٩) سورة العنكبوت ١٩ |

الحادى عشر: إمالة ما أصله أَلَّا يُمال؛ كما إمالة ألف ﴿والضحى﴾. واللَّيل إذا سَجى^(١)،
ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدها .

والإمالة أن تنحو بالالف نحو الياء ، والغرض الأصلى منها هو التناسب ، وعبر عنه
بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة . وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ؛ كألف «تلا»
فى قوله تعالى: ﴿والقمر إذا تَلَاهَا﴾^(٢)، فأميلت ألف ﴿تلاها﴾ ليشاكل اللفظ بها اللفظ
الذى بعدها ، يمتا ألفه غير ياء ؛ نحو ﴿جلاها﴾ ، و﴿غشاها﴾ .

فإن قيل : هَلَّا جَعِلَتْ إمالة ﴿تلاها﴾ لمناسبة ما قبلها ، أغنى ﴿ضحاها﴾ ؟ قيل : لأن ألف
﴿ضحاها﴾ عن واو ، وإنما أميل لمناسبة ما بعده .

الثانى عشر: العدولُ عن صيغة المضى إلى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ففرِّقاً
كذَّبْتُمْ وفريقاً تَقْتُلُونَ﴾^(٣) ؛ حيث لم يقل « وفريقاً قتلتم » كما سوى بينهما فى سورة
الأحزاب فقال : ﴿فريقاً تَقْتُلُونَ وتأسرون فريقاً﴾^(٤) ؛ وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .

(٢) الشمس ٢

(١) سورة الضحى ١ ، ٢ .

(٤) سورة الأحزاب ٢٦

(٣) سورة البقرة ٨٧

تفريعات

[ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين]

ثم هنا تفريعات :

الأول : قد كثر في القرآن الكريم ختمُ كلمةٍ المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللين وإلحاق النون ؛ وحكته وجودُ التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : « أما ^(١) إذا ترنّموا فإنهم يُليحِقون الألفَ والواو والياء ؛ [ما ينون وما لا ينون] ^(٢) ؛ لأنهم أرادوا مدّة الصوت ^(٣) .

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٨-٢٩٩ ، باب وجوه القوافي في الإنشاد .

(٢) تكملة من الكتاب .

(٣) بقية الكلام كما في الكتاب : « وذلك قوله :

* قِفَانِيكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

وقال في النصب ليزيد بن الطثرية :

فَقِئْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّآ قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مُصْرَعَا

وقال في الرفع للأعشى :

* هُرَيْرَةٌ وَدَّعَهَا وَإِنْ لَأَمْ لَأَمْوُ *

هذا ما ينون فيه . وما لم ينون فيه قولهم ، لجرير :

* أَقَلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا *

وقال في الرفع لجرير :

مَتَى كَانَ الْخِلَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقِيتِ الْغَيْثَ أَيُّهَا الْخِلَامُو!

وقال في الجر لجرير أيضاً :

أَيُّهَا مَنْزِلُنَا بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ كَانَتْ مَبَارَكَةً مِنَ الْأَيَّامِ

وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي ، لأن الشعر وضع للفناء والترنم ، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه ،

« وإذا أنشدوا ولم يترنوا : فأهلُ الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترنم ؛ وناسٌ من بني تميم يبدلون مكان المدة النون »^(١) . انتهى .

وجاء القرآن على أعذب مقطع ، وأسهل موقف .

[مبنى الفواصل على الوقف]

الثاني : إن مبنى الفواصل على الوقف ؛ ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المتون ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

(١ - ١) النص كما في الكتاب : « فإذا أنشدوا ولم يترنوا فعلى ثلاثة أوجه : أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي — ما نون منها وما لم ينون — على حالها في الترنم ، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للفناء . وأما ناس كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون ؛ وما لم ينون لما لم يريدوا الترنم أبدلوا مكان المدة نونا ولفظوا بهام البناء وما هو منه . كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد ؛ سمعناهم يقولون :

* يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْعَسَا كُنْ *

وللعجاج :

* ياصاح ماهاج العيون الذرقن *

وقال العجاج :

* مِنْ طَلَلٍ كَالْأَتْحَمَى أَنهَجَنَ *

وكذلك الجر والرفع ، والكسور والمفتوح والمضموم في جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع . وأما الثالث فإن يجرى القوافي مجراها لو كانت في الكلام ولم تكن قوافي شعر ؛ جطوه كالسلام حيث لم يترنوا ، وتركوا المدة لهم أنها في أصل البناء ؛ سمعناهم يقولون لجرير :

* أَقْلَى اللَّوْمِ عَاذِلَ الْعَتَابِ *

ولالأخطل :

* وَأَسْأَلُ بِمِصْقَلَةِ الْبَكْرِى مَا فَعَلَ *

وكان هذا أخف عليهم . ويقولون :

* قَدْ رَابِنِي حَفْصٌ فَحَرَّكَ حَفْصًا *

يتبنون الألف لأنها كذلك في الكلام .

لأزب^(١)؛ مع تقدم قوله : ﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾^(٢) ، و ﴿شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(٣) .
وكذا ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾^(٤) ، و ﴿قَدْ قُدِرَ﴾^(٥) . وكذا : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالٍ﴾^(٦) مع ﴿وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^(٧) ..

وعبارة السكاكي^(٨) قد تعطى اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة في الإعراب
لما قبله ؛ على تقدير عدم الوقوف عليه ؛ كما يشترط ذلك في الشعر . وبه صرح ابن
الخشاب^(٩) معترضاً على قول الحريري^(١٠) في المقامة التاسعة والعشرين :

يا صارفاً عني المودة والزمان له صُرُوفٌ

ومعني في فضح من جاوزتُ تعنيف العسوف^(١١)

لا تلحني فيما أتيتُ فإتني بهم عروفٌ

ولقد نزلتُ بهم فلم أرهم يراعون الضيوف

وبلوتهم فوجدتهم لما سيكثمهم زيوف

ألا ترى أنها إذا أُطلقت ظهر الأول والثالث مرفوعين ، والرابع والخامس منصوبين ،

(١) سورة الصافات ١١ (٢) سورة الصافات ٩

(٣) سورة الصافات ١٠ (٤) سورة القمر ١١

(٥) سورة القمر ١٢ (٦) سورة الرعد ١١

(٧) سورة الرعد ١٢

(٨) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الحواري المعروف بالسكاكي ، صاحب كتاب مفتاح
العلوم ، توفي سنة ٤٢٥ هـ (بنية الوعاة ٤٢) .

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ؛ النحوي البغدادي ؛ وله رسالة نقد فيها مقامات الحريري
ورد عليه ابن بري ؛ طبعت كلناهما في ذيل المقامات ، توفي سنة ٥٦٧ هـ (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ٩٩) .

(١٠) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، صاحب المقامات ، وأحد أئمة الأدب
واللغة والنحو في عصره ، توفي سنة ٥١٦ هـ . (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٣ : ٢٣) .

(١١) العسوف : الآخذ بقوة .

والثاني مجرورا ، وكذا باقى القصيدة ^(١) .

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق ؛ ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفا عليها ؛ لأن الغرض المجانسة ^(٢) بين القرائن والمزاوجة ؛ ولا يتم ذلك إلا بالوقف ^(٣) ، ولو وصلت لم يكن بدٌّ من إجراء كلِّ القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فعملت عمل الساجع وفوت غرضهم .

وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الأزواج ؛ فيقولون : « آتيك بالغدايا والعشايا ^(٤) » مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم فى ذلك !

(١) قال ابن برى فى رده : « انتهى ذكره ابن الحريرى صحيح ؛ ولا يلزم أن يكون إعراب المقيد كإعرابه لو أطلق ؛ ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

إذا ذقت فاهاً قلتُ طعمَ مُدَامَةٍ معْتَقَةٍ ممّا تجىء به التُّجُرُ

ثم قال بعده : « جاءت بريح من القطر » فالقطر فى موضع خفض ، والتجر فى موضع رفع ، وقال طرفه :
* ومن الحبّ جنونٌ مُسْتَعِرٌ *
ثم قال :

* ليس هذا منك ماوى بحر *
فستمر فى موضع رفع ، و « حر » فى موضع خفض ، وقال الأعشى :

أَتَكِرْ غَانِيَةً أَمْ تَكُمُ أُمُّ الْحَبْلِ وَاهٍ بِهَا مَنْجَذَمٌ

فمنجذم فى موضع رفع ، ثم قال بعده :

ونظرة عين على غرة محلّ الخليط بصحراء زم

فزم فى موضع جر ؛ وهى اسم بئر ؛ وهذا التحو كبير جدا فى شعر العرب . (وانظر ص ٢٤ من رسالة نقد ابن الحُشَاب ، ورد ابن برى عليها فى ذيل المقامات) .

(٢) م : « المجاوزة » .

(٣) م : « الوقوف » .

(٤) قال اللبث : « الغدو : جمع ، مثل الغدوات والغدى . وقالوا : إني لا آتية بالغدايا والعشايا ، والغداة

لا تجمع على الغدايا ؛ ولكنهم كسروه على ذلك ايضا بقوا بين لفظه ولفظ العشايا ؛ فإذا أفردوه كسروه . ونصر اللسان - غدا .

[المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتشامه]

الثالث : ذكر الزمخشري في كشفه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتشامه . كما لا يحسن تحخير الألفاظ الموقفة في السمع ، السليسة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها منقاداً للمعاني الصحيحة المنتظمة ؛ فأما أن سهّل المعاني، ويُسَهِّمَ بتحسين اللفظ وحده ، غير منظوفيه إلى مؤاده على بال ، فليس من البلاغة في قتيل أو تقير . ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(١) وقوله : ﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾^(٢) لا يتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إيثاراً للفاصلة - لأن ذلك أمرٌ لفظيٌّ لا طائل تحته - وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف]

الرابع : أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع - وهذا يكون في السجع - وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل ؛ وهذا لا يكون سجعاً . ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين^(٣) : - أعنى المتماثل والمتقارب - من أن يأتي طوعاً سهلاً تابعا للمعاني ، أو متكلفاً يتبعه المعنى .

فالقسم الأول هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان ، والثاني هو المذموم . فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة . وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة .

(١) سورة البقرة ؛ (٢) سورة البقرة ٣

(٣) ت ، م : « المذهبين » .

مثال التماثلة قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ طه . مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى . تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمَاء ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ... ﴾ (٤) . إلى آخره . وحذفت الياء من ﴿ يَسْرِ ﴾ طلباً للموافقة في الفواصل .

وقوله تعالى : ﴿ اقْرَبْتَ السَّاعَةَ بِانْشِقَاقِ الْقَمَرِ ﴾ (٥) ؛ وجميع هذه السورة على الازدواج .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِي الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ . وَالضُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (٦) .

(١) سورة الطور ١ - ٥ . طور سينين : جبل عدين ، سمع فيه موسى كلام الله . مسطور : مكتوب . والرق المنشور : ما يكتب عليه . والبيت المعمور : الكعبة ، والسقف الرفوع هنا : السماء .

(٢) سورة طه ١ - ٥ .

(٣) سورة العاديات ١ - ٥ . العاديات : الخيل التي تجري . والضبح : صوت أغاسها عند الجري . الموريات : من الإبراء ؛ وهو لإخراج الفبار بنحو الزناد . والقدرح : الضرب لإخراج النار . والمغيرات : الخيل التي تغير على العدو . والنقع : الفبار . ووسطن : توسطن .

(٤) سورة الفجر ١ - ٤ .

(٥) سورة القمر ١ .

(٦) سورة التكاوير ١٥ - ١٨ . الخنن الجوارى الكنن : قيل هي الدراري الخنة ؛ وهي عطاردة ، والزهرة والريخ ، والمشتى ، وزحل ؛ وذلك لأنها تجري مع الشمس ؛ ثم ترى راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ؛ فرجوعها في رأى العين هو خنوسها ، واختفاؤها هو كنوسها . وعسس الليل : أدير .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبَنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَرَ نَامُتْرَ فِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ تَمْنُونٍ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ... ﴾ ^(٦) الآية

وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ، أَوْ لَتَمُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ^(٧) .

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ ق . وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ

(١) سورة الانشقاق ١٦ - ١٩ . الشفق : ما يبق في الأفق من الحمرة ؛ وقيل من الياصر ، ووسق : ضم وجمع . واتساق القمر : تمامه . ولتركبن طبقا عن طبق ؛ قال الزجاج : لتركبن حالا بعد حال حم . تصيروا إلى الله .

(٢) سورة الضحى ٥ ، ٦

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٤) سورة ن ٣ ، ٤

(٥) سورة الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) سورة القيامة ٢٦ ، ٢٧ . التراقي : جمع ترقوة . والترقوتان : عظمتان تمتدان عينا وشملا من

ثغرة النحر إلى العائق . والراقى : اسم فاعل ، من رقاه يرقيه ، ؛ إذا أجرى له الرقية .

(٧) سورة الأعراف ٨٨ (٨) سورة الفاتحة ٣ ، ٤

الكافرون هذا شيء عجب^(١) .

وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن ، لأنّ السجع ما تماثلت حروفه .

إذا علمت هذا^(٢) ، فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر في التماثلة والمقاربة ، وبهذا يترجّحُ مذهب الشافعيّ على مذهب أبي حنيفة في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسلة ؛ وذلك لأنّ الشافعيّ المثبت لها في القرآن قال : ﴿ صراط الذين ﴾ ، الخ سورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسقطَ البسلة من الفاتحة قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) آية ، و ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) آية . ومذهب الشافعيّ أولى ، لأنّ فاصلة قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ، ورعاية التشابه في الفواصل لازم . وقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع ؛ وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات ؛ لكنّ الخلاف في كيفية العدد .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف]

الخامس : قسم البديعيون السجع والفواصل أيضاً إلى متوازي ، ومطرف ، [ومتوازن]^(٥) . وأشرفها المتوازي ، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع ؛ كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾^(٦) ، وقوله ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٧) .

(١) سورة ق ١ - ٢ (٢) ت : « ذلك » .

(٣) سورة الفاتحة ٧ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ؛ وانظر الإتيان (٢ : ١٠٤) .

(٥) سورة الفاشية ١٣ ، ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٤٨ ، ٤٩ .

والمطرف أن يتفقا في حروف السجع لافي الوزن ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ ^(١) .

والمتوازن ^(٢) أن يُراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَمَارِقُ
مَصْفُوفَةً . وَزُرَابِيٍّ مَبْثُوثَةٍ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) . فلفظ
« الكتاب » و « الصراط » متوازنان ^(٥) . ولفظ « المستبين » و « المستقيم » متوازنان .
وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْهُلِيِّ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى . تَدْعُو مَنَ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ
فَأَوْعَى ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ... ﴾ ^(٨) إلى آخرها .

وقوله : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ... ﴾ ^(٩) إلى آخرها .

وقد تكرر في سورة « جمسق » في قوله : تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة نوح ١٢ ، ١٣ .

(٢) في الأصول : « المتوازي » تحريف .

(٣) سورة الفاشية ١٥ ، ١٦ . والتمازق : الوسائد . والزرابي : البسط . والمبثوثة : البسطة .

(٤) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) في الأصول : « متوازنان » تحريف .

(٦) المعارج ٥ - ٩ . والهبل : مائع الزيت ، أو مائع الفلز المذاب كالنحاس والحديد والفضة . والعهن :

الصوف المصبوغ ألواناً من أصفر وأحمر وأخضر .

(٧) المعارج ١٥ - ١٨ . الأطلَى : اسم للنار ذات اللهب . والشوى : كل ما من يكن مقتلاً من الأعضاء

كاليدنين والرجلين والأطراف .

(٨) سورة الليل ١ ، ٢ (٩) سورة الضحى ١ - ٣ .

مَا اسْتَجِيبَ لَهُ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ السَّبْعِ ؛ جُمِعَ فِي فَوَاصِلِهَا بَيْنَ « شَدِيدٍ » وَ « قَرِيبٍ » وَ « بَعِيدٍ » وَ « عَزِيزٍ » وَ « نَصِيبٍ » وَ « أَلِيمٍ » وَ « كَبِيرٍ » عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ؛ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ ، وَفِي الْمَفْصَلِ خَاصَّةً فِي قِصَارِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ بَدْلَهُ التَّرْصِيعَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْفَقْرَتَيْنِ مُؤَلِّفًا مِنْ كَلِمَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَالثَّانِي مُؤَلِّفًا مِنْ مِثْلِهَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : وَهِيَ الْوِزْنُ وَالتَّقْفِيَةُ وَتَقَابُلُ الْقُرْآنِ ، قِيلَ : وَلَمْ يَجِبْ هَذَا الْقِسْمُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكْلُفِ .

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٢) . وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لَوُرُودُ لَفْظَةِ « إِنَّ » وَ « لَفِي » فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّطْرَيْنِ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لَشَرِطِ التَّرْصِيعِ ؛ إِذْ شَرْطُهُ اخْتِلَافُ الْكَلِمَاتِ فِي الشَّطْرَيْنِ جَمِيعًا . وَقَالَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ : سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مِنْ نَوْعِ التَّرْصِيعِ ، وَتَتَّبَعُ آخِرَ آيَاهَا يَدْلُ عَلَى أَنَّ فِيهَا مَوَازِنَةً .

قَالُوا : وَأَحْسَنُ السَّبْعِ مَا تَسَاوَتْ قِرَائَتُهُ ، لَيْسَ كُنْ شَيْبًا بِالشَّمْرِ ، فَإِنَّ آيَاتِهِ مُتَسَاوِيَةٌ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنضُودٍ . وَظُلِّ مَمْدُودٍ ﴾ (٣) ؛ وَعَلَّتُهُ أَنْ السَّمْعُ أَلِفَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَةِ فِي الْخَلْفَةِ بِالْأُولَى ، فَإِذَا زِيدَ عَلَيْهَا ثَقُلَ عَنْهُ الزَّائِدُ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ وَصُولِهَا إِلَى مَقْدَارِ الْأَوَّلِ كَمَنْ تَوَقَّعَ الظُّفْرَ بِمَقْصُودِهِ .

ثُمَّ مَا طَالَتْ قَرِينَتُهُ الثَّانِيَةِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (٤) ، أَوِ الثَّلَاثَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَنُفِّلُوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسَلَةٍ

(١) سُورَةُ الثَّوْرِ ١٦ - ٢٢ (٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٣ ، ١٤

(٣) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ٢٨ - ٣٠ . السِّدْرُ الْمَخْضُودُ : الَّذِي لَا شَوْكَ فِيهِ . وَالتَّلْحُ : شَجَرٌ عَظَامٌ يَكُونُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاءِ . وَالتَّنْضُودُ : التَّرَاكُمُ الثَّمَرِ .

(٤) سُورَةُ النَّجْمِ ١ ، ٢

ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴿١﴾ .

وهو إما قصير كقوله : ﴿ والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً ﴾ ﴿٢﴾ .

أو طويل كقوله : ﴿ إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وإذا يريكمهم إذ التفتتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ ﴿٣﴾ .

أو متوسط كقوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ﴿٤﴾ .

[ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام]

السادس : اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله . فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور ؛ أولاً وإلا خرج بعض الكلام عن بعض .

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ؛ لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب .

وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكن ، والتوشيح والإيغال والتصدير .

والفرق بينها ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً . وإن كان في

(١) سورة الحاقة ٣٠ - ٣٢ . غلوه : صنعوا في يديه ورجليه الغل . وصلوه : من النصاية ؛ وهي حرق الشيء على النار .

(٢) سورة المرسلات ١ ، ٢ . والمرسلات عرفاً : الرياح التي أرسلت متتابعة .

(٣) سورة الأنازل ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) سورة القمر ١ ، ٢ .

أثناء الصَّدْر سَمَّى تَوْشِيحاً . وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سَمَّى إيفالاً ؛ وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلٍ منهما صدره يدلُّ على عجزه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .

الأول : التمكن ؛ وهو أن يُمدَّ قبلها ، تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافذة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ؛ بحيث لو طُرِحَتْ اختلَّ المعنى واضطرب الفهم .

وهذا الباب يُطْلَعُك على سر عظيم من أسرار القرآن ، فاشدد يدك به .
ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خيراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾ ^(١) ، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وأن ذلك أمر اتفاقي ، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ، ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب الممتنع ، وأن حربه كذلك ، وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقاً ؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعاداته ؛ وأنه ينوِّع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب ، وتارة بالرُّعب كبنى النضير ، وطوراً ينصر عليهم كيوم أحد ، تعريفاً لهم أن الكثرة لا تغني شيئاً ، وأن النصر من عنده ، كيوم حُنين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي

مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ^(١) . فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ولم يقل : « أَو لم يروا » وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يُسْمَع . وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجُرْزِ مرئية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا : يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٢) ، فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد ، لأن الحلم الذي يصح به التكليف والرشد حسن التصرف في الأموال ، فكان آخر الآية مناسبة لأولها مناسبة معنوية ، ويسميه بعضهم ملائمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ؛ فإنه سبحانه لما قدم نفى إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم ؛ إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون والكون من كل متكون ، فإذا كما إنما هو للمركبات دون المفردات ، ولذلك لما قال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ عطف عليه قوله : ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ ، خصصاً لذاته سبحانه بصفة الكمال ؛ لأنه ليس كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ، لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى

أنه يدرك كل شيء مع الخبرة به ؛ وإنما خص الأبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضرباً من المحاسن يسمى التعطف ؛ ولو كان الكلام : لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظنا ﴿ اللطيف الخبير ﴾ مناسبتين لما قبلهما .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، وإنما فصل الأولى بـ « لطيف خبير » لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ، ولأنه خير بنفعهم . وإنما فصل الثانية بـ « غني حميد » لأنه قال : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أي لا حاجة ؛ بل هو غني عنهم ، جوادٌ بهما ؛ لأنه ليس غني نافعاً غناه إلا إذا جاد به ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ؛ فذكر « الحمد » على أنه الغني " النفع " غناه خلقه . وإنما فصل الثالثة بـ « رؤوف رحيم » ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر لهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكها إياها عن الوقوع ، حسن ختامه بالرأفة والرحمة . ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها قوله تعالى في سورة الأنعام (٣) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُْ التَّجُومَ ... ﴾ ، الآيات (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٤) . قال : « الغني الحميد » لئيبه على أن ماله ليس بحاجة بل هو غني عنه ، جوادٌ به ، وإذا جاد به حمده المنعم عليه . إذ « حميد » كثير الحمد الموجبة تنزيهه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص ، فيكون « غنياً » مفسراً بالغنى المطلق ، لا يحتاج فيه لتقدير « غني عنه » .

(٢) سورة الحج ٦٣ - ٦٥

(٤) سورة الحج ٦٤

(١ - ١) ساقط من م

(٣) سورة الأنعام ٩٧

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَئِنْ تَسْمَعُونَ ﴾ ^(١) . لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جَعَلَ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير ، وظرفَ الليل ظرفٌ مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لاسيما وقد أضاف الإتيانَ بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصارُ إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ؛ فصار النهارُ كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ؛ والليل كأنه لا موجود سواه ؛ إذ جُعِلَ سرمدًا منسوبًا إليه سبحانه ، فاقترضت البلاغة أن يقول : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال في الآية التي تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَئِنْ تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٢) ، لأنه لما أضاف جَعَلَ النَّهَارَ سَرْمَدًا إليه صار النهارُ كأنه سرمد ، وهو ظرف مضى تنور فيه الأبصار ، وأضاف الإتيانَ بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجد ، والنهار كأنه لا موجود سواه ، إذ جَعَلَ وجوده سرمدًا منسوبًا إليه ، فاقترضت البلاغة أن يقول : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ إذ الظرف مضى صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .

ومنه قوله تعالى في أول سورة الجاثية : ﴿ إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) . فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى : ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لأنه

سبحانه ذكر العالم بجملمته حيث قال : ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أنَّ الخترع له قادر عليم حكيم ، وإنَّ دلَّ على وجود صانع مختار لدالاتها على صفاته مرتبة على دالاتها على ذاته ، فلا بدَّ أولاً من التصديق بذاته ؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم الموصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات .

وكذلك قوله في الآية الثانية : ﴿ لِقَوْمٍ يوقِنُونَ ﴾ ، فإنَّ سرَّ الإنسان وتدبر خلقه الحيوان أقربُ إليه من الأول ، وتفكره في ذلك مما يزيده يقيناً في معتقده الأول . وكذلك معرفة جزئيات العالم ؛ من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ورسائته ؛ لنعلم أنَّ مَنْ صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلى الذى هى أجهامه وعوارض عنه . ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً ، فقد قام البرهان على أنَّ للعالم الكلى صانعاً مختاراً ، فذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وإنَّ احتيج إلى العقل فى الجميع ؛ إلا أن ذكره هاهنا أنسبُ بالمعنى الأول ؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إنَّ بعض هذه الآثار يصنع بعضاً ، فلا بدَّ إذاً من التدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مَنقَلًا حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فى صخرةٍ أَوْ فى السَّمَوَاتِ أَوْ فى الأرضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنْ اللهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا نُؤُوسَهُمْ بما فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ ليحاجُّوكم به عِنْدَ رَبِّكُمْ فلا تعقلون ﴾ (٢) . والمناسبة فيه قوِّية ؛ لأنَّ من دلَّ عدوُّه على عورة نفسه ، وأعطاه سلاحه

(١) سورة لقمان ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٧٦ .

ليقتله به ، فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ؛ فلماذا ختمها بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .
وهذه الفاصلة لاتقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل ؛ نحو قوله تعالى :
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؛
لأنّ فاعل غير المناسب ليس بعاقل .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، ختم
بصفة العلم إشارة الى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم ؛ وما نحن عليه من الحق ، وما أنتم عليه
من الباطل وإذا كان عالماً بذلك ، فنسأله القضاء علينا وعليكم ، بما يعلم منا ومنكم .

فصل

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك في مواضع :

منها في أوائل النحل ، وذلك أنه سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال : ﴿ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، ثم ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ مِنْ نَظْفَةٍ ﴾ ^(٤) ، وأشار
إلى عجائب الحيوان فقال : ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ ^(٥) ، ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٦) .
فجعل مقطع هذه الآية التفكر ^(٦) ، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على
وجود الإله القادر المختار .

(٢) سورة سبأ ٢٦

(١) سورة البقرة ٤٤

(٤) سورة النحل ٤

(٣) سورة النحل ٣

(٦) م « التفكير »

(٥) سورة النحل ١٠ ، ١١

وفيه جواب عن سؤال مقدّر ؛ وهو أنه : لِمَ لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر ؟ ولما كان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال ؛ لا جرم كان مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً . إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين :

أحدهما أن تغيرات العالم الأسفل مربوطة بأحوال^(١) حركات الأفلاك ، فتلک الحركات حيث حصلت ؛ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإقرار بوجود الإله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) ، فجعل مقطع هذه الآية العقل ؛ والتقدير كأنه قيل : إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل ، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدُها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

والثاني أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة . ثم إننا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحرارة ، والآخر في غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لا متنع حصول هذا التفاوت في الآثار ، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُم فِي الْأَرْضِ مُمْتَخِلًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾^(٣) ، كأنه قيل : قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن الموجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت إلى حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع ، بل الفاعل المختار ، فلهذا جعل مقطع الآية التذكّر .

(١) م : « باختلاف أحوال » .

(٢) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ١٣

نبيه

من بدیع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة .
وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(١) ، ثم قال في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) .

قال القاضي ناصر الدين بن المنير ^(٣) في تفسيره الكبير : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فانت أخذها وأنا معطيها ؛ فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً ، وكونك كفاراً ، ولـى عند إعطائها وصفان : هما : أنى غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازى جفائك إلا بالوفاء . انتهى .
وهو حسن ، لكن بقى سؤال آخر ، وهو : ما الحكمة فى تخصيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه ؟ والجواب أن سياق الآية فى سورة إبراهيم ، فى وصف الإنسان وما جيل عليه ؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه . وأما آية النحل فسيقت فى وصف الله تعالى ، وإثبات ألوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة !

ونظيره قوله تعالى فى سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

(٢) سورة النحل ١٨

(١) سورة إبراهيم ٣٤

(٣) هو القاضي ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذايى ، المعروف بابن المنير ؛ له تفسير كبير سماه البحر الكبير فى نخب التفسير ، ومنه قطعة تشتمل على الجزء الثالث فى دار الكتب المصرية برقم ٦١ تفسير ؛ وله كتاب الانتصار من الكشاف . توفى سنة ٦٨٣ . (وانظر ترجمته فى اندياج المذهب لأن فرحون ٧١ - ٧٤)

نُحْمَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَرْجَعُونَ ﴿١﴾ . وفي فصلت : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٢﴾ .

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، فناسب الختامُ بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فالتخامُ بها مناسب ؛ أي لأنه لا يضتبع عملا صالحا ، ولا يزيد على مَنْ عمل شيئا .

ونظيره قوله في سورة النساء : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ . ختم الآية مرة بقوله : ﴿قَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤﴾ ، ومرة بقوله : ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٥﴾ ؛ لأن الأول نزل في اليهود ، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه ، والثاني نزل في الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، وكان ضلالهم أشد .

وقوله في المائدة : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿٦﴾ ، فذكرها ثلاث مرات ، وختم الأولى بالكافرين ، والثانية بالظالمين ، والثالثة بالفاسقين ؛ فقيل : لأن الأولى نزلت في أحكام المسلمين ، والثانية نزلت في أحكام اليهود ، والثالثة نزلت في أحكام النصارى .

وقيل : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ؛ لإنكاراً له ، فهو كافر ، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وحكم بضده فهو ظالم ، ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده فهو فاسق .

وقيل : الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبر عنه بالفاظ مختلفة ، لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

(١) سورة الجاثية ١٥ (٢) سورة فصلت ٤٦ (٣) سورة الجاثية ١٤

(٤) سورة النساء ٤٨ (٥) سورة النساء ١١٦

(٦) سورة المائدة ٤٤ ، وبعبارة : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، و٤٥ وبعبارة :

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، و٤٧ وبعبارة : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

تنبيه

عكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف ، كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) . ثم قال : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) .

قال ابن عبد السلام في تفسيره في الأولى : « عليم » بمصالح عباد ، « حكيم » في بيان مراده . وقال في الثانية : « عليم » بمصالح الأنام ؛ « حكيم » ببيان الأحكام . ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار .

تنبيه

حق الفاصلة في هذا القسم تمكين المعنى المسوق إليه كما بيننا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) . ووجه مناسبتة أن بعث الرسول تولية ؛ والتولية لا تكون إلا من عزيزٍ غالبٍ على ما يريد ، وتعليمُ الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندا إلى حكمة مُرسِله ؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه ، فلا بد وأن يكون حكيما ، فلا جرم كان اقترانهما مناسبا .

(١) سورة النور ٥٨

(٢) سورة النور ٥٩

(٣) سورة البقرة ١٢٩ . وَيُزَكِّيهِمْ : يَطْهِّرُهُمْ مِنْ وَضَرِ الشَّرْكِ . وَالزَّكَاةُ : التَّطَهُّيرُ .

وقوله تعالى : ﴿ قَمِنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) . وجه المناسبة في الحكم محمول على قول مجاهد : إثم من حضر الموصى فرأى منه جَنَفًا على الورثة في وصيته مع فقرهم ، فوعظه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رضوا ، فلا إثم عليه ، وهو غفور للموصى إذا ارتدع بقول مَنْ وعظه ، فرجع عما هم به وغفرانه لهذا برحمته لاخفاء به ، والإثم المرفوع عن القاتل ؛ يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق في الآية قبلها في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾^(٢) . يعنى من الموصى ، أى لا يكون هذا المبدل داخلا تحت وعيد مَنْ بَدَّلَ على العموم ؛ لأنَّ تبديل هذا تضمن مصلحة راجحة فلا يكون كغيره . وقد أشكل على ذلك مواضع ؛ منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) . فإن قوله : ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يوم أن الفاصلة « الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، وكذا نقلت عن مصنف أبى رضى الله عنه ، وبها قرأ ابن شنبوذ . ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ماعليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حُكْمُهُ ، فهو العزيز ؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ؛ من قولهم : عزه يعزّه عزا إذا غلبه ؛ ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأن الحكيم من يَضَعُ الشىء في محله ، فالله تعالى كذلك . إلا إنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن ؛ أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته . وقيل : لا يجوز « الغفور الرحيم » لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله تعالى : ﴿ إِنْ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾^(٤) . وقيل لأنه

(١) سورة البقرة ١٨٢ : والجنف : الميل والعدول عن الحق .

(٢) سورة البقرة ١٨١ (٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة النساء ٤٨ ، ١١٨ .

مقام تبرّ ، فلم يذكر الصفة المتضمنة استمطار العفولهم ، وذكر صفة العدل في ذلك بأنه العزيز الغالب . وقوله ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يعترض عليه إن عفا عمن يستحق العقوبة .

وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم ، ولو قيل : « فإنك أنت الغفور الرحيم » لأوهم الدعاء بالمغفرة . ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه ، لا لنبي ولا لغيره . وأما قوله : ﴿ فإيهام عبادك ﴾ وهم عباده ؛ عذبهم أو لم يعذبهم ؛ فلأن المعنى إن تُعذبهم تعذب مَنْ العادة أن تحكم عليه . وذكر العبودية التي هي سبب القدرة كقول رؤبة :

يارب إن أخطأتُ أو نسيتُ فأنْتَ لا تَنْسَى ولا تموتُ ^(١)

والله لا يَظِلُّ ولا يَنسَى ولا يموت ، أخطأ رؤبة أو أصاب ، فكأنه قال : إن أخطأت تجاوزت لضعفي وقوتك ، ونقصي وكمالك .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة براءة : ﴿ أولئك سيَرَحُّهُمْ اللهُ إِنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ ^(٢) - والجواب ما ذكرناه .

ومثله قوله تعالى في سورة المتحنة : ﴿ ربَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) .

ومثله في سورة غافر في قول السادة الملائكة : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْخَاسِئَةُ أَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْ لَا

(١) ديوانه ٢٥ . مطلع أرجوزة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك .

(٢) سورة التوبة ٧١

(٣) سورة المتحنة . (٤) سورة غافر ٨ .

فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ^(١) ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أَوَّلِ النَّظَرِ أَنَّ الْفَاصِلَةَ « تَوَّابٌ رَحِيمٌ » ، لَأَنَّ الرَّحْمَةَ مُنَاسِبَةٌ لِلتَّوْبَةِ ، وَخُصُوصًا مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ؛ وَلَكِنْ هَاهُنَا مَعْنَى دَقِيقٌ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ : ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ؛ وَهُوَ أَنْ يُنَبِّهَ عَلَى فَائِدَةٍ مَشْرُوعِيَةِ اللَّعَانِ^(٢) ، وَهِيَ السِّرُّ عَنْ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ الْعَظِيمَةِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْحِكْمِ ، فَلِهَذَا كَانَ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ، بَلِيغًا فِي هَذَا الْمَقَامِ دُونَ « رَحِيمٌ » .

وَمِنْ خَفِيَ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣) . وَقَوْلُهُ فِي آلِ عِمْرَانَ : ﴿ قُلْ إِنْ تُخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُونَ يَدَايَ اللَّهِ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤) ، فَإِنَّ الْمَتَابِدَارَ إِلَى الذَّهْنِ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ الْخَتْمُ بِالْقُدْرَةِ ، وَفِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ الْخَتْمُ بِالْعِلْمِ ، لَكِنْ إِذَا أَنْعِمَ النَّظَرَ عَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا عَلَيْهِ التَّلَاوَةُ فِي الْآيَتَيْنِ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾^(٥) ؛ مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ الْخَطَابِ « ذُو عَقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ » ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ نَفْيًا لِلْإِغْتِرَارِ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْاجْتِرَاءِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ وَذَلِكَ أُبْلَغُ فِي التَّهْدِيدِ ؛ وَمَعْنَاهُ : لَا تَفْتَرُوا بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْاجْتِرَاءِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَذَابُهُ عَنْكُمْ .

وَقَرِيبٌ مِنْهُ : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾^(٦) .

(١) سورة النور ٩ ، ١٠

(٢) اللعان ، من قولهم : لاعن الرجل امرأته لعانا إذا فذنها اورماها برجل أنه زنى بها .

(٣) سورة آل عمران ٢٩

(٤) سورة البقرة ٢٩

(٥) سورة عم ٣٧

(٦) سورة الأنعام ١٤٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) ؛ فمناسبة الجزاء للشرط أنه لما أقدم المؤمنين وهم - ثلاثمائة وبضعة عشر - على قتال المشركين - وهم زهاء ألف - متوكلين على الله تعالى ، وقال المنافقون : ﴿ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عدداً أو أكثر ؛ قال الله تعالى رداً على المنافقين وثبیتاً للمؤمنين : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) في جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ^(٣) . فإن قيل : ما وجه الاحتمام بالحلم والمغفرة عقيب تسابيح الأشياء وتنزيهها ؟ أجاب صاحب الفنون ^(٤) بثلاثة أوجه :

أحدها : إن فسرنا التسبيح على ما درج في الأشياء من العبر ، وأنها مسبّحات بمعنى مودعات من دلائل العبر ودقائق الإنعامات والحكم ما يوجب تسبيح الاعتبار المتأمل ؛ فكأنه سبحانه يقول : إنه كان من كبير إغفالكم النظر في دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ^(٥) ؛ كذلك موضع المعتبرة قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ^(٦) . وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله ؛ مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه ؛ فهذا موضع حلم وغفران عما جرى في ذلك من الإفراط والإهمال .

الثاني : إن جعلنا التسبيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلها تسبحه

(٢) سورة الإسراء ٤٤

(١) سورة الأنفال ٤٩

(٣) في ١ : « العنوان » تحريف . وهو كتاب فنون الأنفان في علوم القرآن لابن الجوزي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية برقم ٢٢٢ تفسير .

(٤) سورة يوسف ١٠٥

وتحمده ، ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ، فالحلم والغفران للتقدير في الآية ؛ وهو العصيان . وفي الحديث : « لَوْلَا بَهَائُكُمْ رُتِعَ ، وشيوخ رُكِعَ ، وأطفال رُضِعَ ، لَصُبَّ عَلَيْكُمْ العذاب صَبًّا » .

الثالث : أنه سبحانه قال في أولها : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(١) ؛ أى أنه كان لتساييح المسبحين حليماً عن تفریطهم ؛ غفوراً لذنوبهم ؛ ألا تراه قال في موضع آخر : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) ؛ وكأنها اشتملت على ثلاثة معان : إما العفو عن ترك البحث المؤدى إلى الفهم ، لما فى الأشياء من العبر ، وأنتم على العصيان . أو يريد بها الأشياء كلها تسبُّحاً ؛ ومنها ما يعصيه ويخالفه ، فيغفر عصيانهم بتساييحهم .

تنبيه

قد تكون الفاصلة لا نظير لها فى القرآن ؛ كقوله تعالى عقب الأمر بالغضِّ فى سورة النور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٣) . وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ^(٤) . وقيل فيه تعريض بليلة القدر ؛ أى لعلمهم يَرْشُدُونَ إلى معرفتها .

(١) سورة الإسراء ٤٤

(٢) سورة الشورى ٥٥

(٣) سورة النور ٣٠ . والآية بتمامها : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ١٨٦ . والآية بتمامها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

وإنما يحتاجون للإرشاد إلى ما لا يعلمون ؛ فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه . وأن أَرْجَى أوقات الإجابة فيه ليلة القدر .

الثانى التصدير ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ^(٧) ، فجعل

الفاصلة ﴿ يَزِرُونَ ﴾ لجناسٍ ﴿ أَوْزَارَهُمْ ﴾ ؛ وإنما قال : ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل « على رؤوسهم » لأن الظهر أقوى للحمل ؛ فأشار إلى ثقل الأوزار .

وقوله : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ^(٨) .

(١) سورة طه ٦١ . يستحكم : يستأصم بالإهلاك .

(٢) سورة الإسراء ٢١ (٣) سورة الأنبياء ٣٧ . من مجل : أى ركب على العجلة فكان مجولا .

(٤) سورة المائدة ٣٩

(٥) سورة التوبة ٧٠

(٦) سورة يونس ١٩

(٧) سورة الأنعام ٣١

(٨) سورة نوح ١٠

- وقوله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ^(١) .
 وقوله : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ^(٢) .
 وقوله : ﴿ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(٣) .

الثالث التوشيح ، ويسمى به ليكون نفس الكلام يدك على آخره ؛ نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، اللذين يحول عليهما الوشاح ؛ ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها .

وسماه ابن وكيع ^(٤) المطمع ؛ لأن صدره مطمع في عجزه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) ؛ فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة ؛ إذ المذكورون نوع من جنس العالمين .
 وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ^(٧) فإنه من كان حافظاً لهذه السورة ، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ؛ وسمع في صدر هذه الآية : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ علم أن الفاصلة ﴿ مُظْلِمُونَ ﴾ ؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال .

(٢) سورة النساء ١٦٦

(١) سورة الأحزاب ٣٧

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع ؛ من أهل القرآن والفقه والنحو والسير ؛ وله مصنفات في علوم القرآن وأخبار القضاة ، توفي سنة ٣٠٦ . (إنباء الرواة ٣ : ١٢٤) .

(٥) سورة المؤمنون ١٤ .

(٧) سورة يس ٣٧ . نسلخ منه النهار ؛ أي نخرج منه

(٦) سورة آل عمران ٣٣

النهار لإخراج الألبان من ضوء النهار .

وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ . فمن يَعْمَلْ مِنْ ثَمَرَةٍ ذَرْبَةَ خَبِيرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ ثَمَرَةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿^(١)﴾ . فإن قوله : ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ يدل على التقسيم .

وقوله : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ . ألا يعلم مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿^(٢)﴾ .
وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٣) .

الرابع الإيغال ؛ وسُمِّيَ به ؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذى هو آخذ فيه ؛ وبلغ إلى زيادة على الحد ؛ يقال : أوغل فى الأرض الفلانية ، إذا باغ منهاها ؛ فهكذا المتكلم إذا تمَّ معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل ؛ كقوله تعالى : ﴿أَحْكَمِ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ^(٤) ، فإن الكلام تمَّ بقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ . ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ؛ فلما أتى بها أفاد معنى زائدا .

وكقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ^(٥) ؛ فإن المعنى قد تمَّ بقوله : ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

(١) سورة الزلزلة ٦ - ٨ . يصدر الناس أشتاتاً : أى يخرج الناس تبعث على اختلاطهم ؛ شتيهم وسعيدهم بحسبهم ومسيبتهم .

(٢) سورة الملك ١٣ ، ١٤ . ذات الصدور : صاحبها .

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة النحل ٨٠

(٥) سورة المائدة ٥٠

فإن قيل : مامعنى ﴿مُذَبَّرِينَ﴾ وقد أغنى عنها ﴿وَلَوْ﴾ ؟ قلت : لا يغنى عنها ﴿وَلَوْ﴾ ؛
فإن التولى قد يكون بجانب دون جانب ؛ بدليل قوله : ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(١) ؛
وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً . ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون
أراد تميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفى عنهم الفهم الذى يحصل من الإشارة ؛
فإن الأصم يفهم بالإشارة ، ما يفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولى قد يكون بجانب ، مع
لحاظه بالجانب الآخر ؛ فيحصل له إدراك بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة ﴿مُذَبَّرِينَ﴾ ليُعلم
أن التولى كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلاً مستديراً ، فاحتجب المخاطب
عن المخاطب ، أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صم أذناه عن العبارة ؛
فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية . وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفى الإسماع
اللبته ؛ فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذى أدجت فيه المبالغة فى نفي الاستماع .

وقد يأتى الاحتياط فى غير المقاطع من مجموع مجمل متفرقة فى ضروب من الكلام شتى ،
يحملها معنى واحد ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾^(٢) الآية .

وقوله : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾^(٤) ، كما يقول الرجل لمن يحسد : ما يستحق على درهما
ولا دافعا ولا حجة ، ولا كثيراً ولا قليلاً . ولو قال : «ما يستحق على شيئاً» لأغنى فى الظاهر ؛
لكن التفصيل أدل على الاحتياط ، وعلى شدة الاستبعاد فى الإنكار .

ومنه قوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مِهْتَدُونَ﴾^(٥) فإن المعنى تم

(١) سورة الإسراء ٨٣

(٢) سورة الإسراء ٨٨

(٣) سورة البقرة ٢٣

(٤) سورة يس ٢١

(٥) سورة هود ١٣

بقوله : ﴿ أَجْرًا ﴾ ، ثم زاد الفاصلة لمناسبة رموس الآي ؛ فأوغل بها كما ترى ؛ حتى أتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام .

فصل

في ضابط الفواصل

ذكره الجعبري ؛ ولمرقها طريقان : توقيفي وقياسي :

الأول التوقيفي ، روى أبو داود^(١) عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : « كان يقطع قراءته آية آية . وقرأت : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إلى ﴿ الذين ﴾ ، تقف على كل آية » . فمعنى « يقطع قراءته آية آية » ؛ أي يقف على كل آية ؛ وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلم رموس الآي .

قال : ووهم فيه من سماء وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا ، وإن كان لنيره فلا . فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحمقنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحمقنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

الثاني القياسي ؛ وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب . ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لازيادة فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه ؛ فأقول : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر ، وقافية البيت في النظم ؛ وما يذكركم من عيوب القافية من

اختلاف الحنو^(١) والإشباع ، والتوجيه ، فليس بصيب في الفاصلة ، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة ؛ من نوع إلى آخر ؛ بخلاف قافية القصيد .

ومن ثم ترى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾^(٢) ، و ﴿ الميعاد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾^(٣) ، و ﴿ الطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾^(٤) .

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة ؛ ومن ثم أجمع العادون على ترك عدّة ﴿ وَيَأْتِ بآخِرِينَ ﴾^(٥) و ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٦) بالنساء ، و ﴿ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾^(٧) بسبحان ، و ﴿ لَنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٨) بمریم ، و ﴿ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٩)

(١) في الإقنان : « اختلاف الحركة » . والحنو والإشباع والتوجيه من عيوب القافية ، التي تندرج تحت ما اصطاحوا على تسميته بالسناد ؛ وهو اختلاف ما قبل الروى ، (وهو الذى تبنى عليه قافية القصيدة من الحروف) . وسناد الإشباع : هو اختلاف حركة الدخيل ، مثل كسرة الهاء وفتحة العين في قوله : « مجاهد وتباعد » . وسناد الحنو : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق ، مثل فتحة النون وكسرة السكاف في قوله : « سند ، وكد » . وسناد التوجيه : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المقيد ، كفتحة اللام وضما في قوله : « حلم وحلم » . وانظر مفتاح العلوم ٣٠١ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ الْهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ٧٢ ، ٧٣]

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ نَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلَفُ الْمِيْعَادُ ﴾ ، مع قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥]

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ ، [سورة الطارق ١ - ٣] .

(٥) سورة النساء ١٣٣

(٦) سورة النساء ١٣٣

(٨) سورة مريم ٩٧

(٧) سورة الإسراء ٩٩

(٩) سورة طه ١١٣

بطّه ، و ﴿ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ^(١) و ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) بالطلاق حيث لم يشأ كل طرفيه .

وعلى ترك عدّه ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ^(٣) بآل عمران ، و ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ^(٤) بالمائدة ، وعدوا نظائرهما للناسبة ، نحو ﴿ لِأَوَّلَى الْأُلْبَابِ ﴾ ^(٥) بآل عمران ، و ﴿ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(٦) بالكهف ، و ﴿ وَالسَّلَوَى ﴾ ^(٧) بطّه .

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها ؛ ففيها البسمة وقد نزلت بعض آية في النمل ^(٨) ، وبعضها في أثناء الفاتحة ^(٩) في بعض الأحرف السبعة .

فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية ، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنص المتقدم ، خلافا للداني . ومن قرأ بحرف لم تنزل معه لم يعدّها ؛ ولزمه من الإجماع على أنها سبع آيات أن يعدّها عوضها . وهو بعد ﴿ اهدنا ﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ^(١٠) .

(٢) سورة الطلاق ١٢

(١) سورة الطلاق ١١

(٤) سورة المائدة ٥٠

(٣) سورة آل عمران ٨٣

(٦) سورة الكهف ١٥

(٥) سورة آل عمران ١٩٠

(٨) آية ٣٠

(٧) سورة طه ٨٠

(٩) آية ٢

(١٠) الصلاة هنا : الفاتحة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها . والحديث كما رواه مسلم في كتاب الساجد ومواضع الصلاة عن أبي هريرة : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ؛ فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، وإذا قال : الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أنى على عبدى ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال : حمدنى عبدى — وقال مرة فوض إلى عبدى — فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » . صحيح مسلم (١٠١ : ٣) .

«أى قراءة الصلاة، تعد منها، ولا للعبد إلا هاتان، و﴿المستقيم﴾ محقق، فقسمتا بعدها قسمين؛ فكانت ﴿عليهم﴾ الأولى؛ وهى مماثلة فى الروى لما قبلها^(١).

ومنها حروف الفوائج؛ فوجهٌ عدّها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروى والردف. ووجه عدمه الاختلاف فى الكمية والتعلق على الجزء.

ومنها بالبقرة ﴿عذابٌ أليمٌ﴾^(٢) و﴿إنما نحنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣) فوجه عدمه مناسبة الروى، ووجه عدمه تعلقه بتاليه.

ومنها ﴿إلى بنى إسرائيل﴾^(٤) بآل عمران؛ حملا على ما فى الأعراف^(٥) والشعراء^(٦) والسجدة^(٧) والزخرف^(٨).

ومنها ﴿فبَشِّرْ عِبَادَ﴾^(٩) بالزمر؛^(١٠) لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ^(١١).

ومنها ﴿والطور﴾، و﴿الرحمن﴾، و﴿الحاقة﴾، و﴿القارعة﴾، و﴿والعصر﴾ حملا على ﴿والفجر﴾ و﴿والضحى﴾ للنسابة، لكن تفاوتت فى الكمية.

(١-١) كذا وردت العبارة غامضة فى جميع الأصول؛ وفى الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٤ ما يأتى، بعد أن أورد الحديث : « فقله سبحانه : « قست الصلاة » يريد القامحة ؛ وسماها صلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأول لنفسه، واخص بها تبارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيها، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى، ثم ثلاث آيات، تمة سبع آيات. وما يدل على أنها ثلاث قوله : « هؤلاء لعبدى »، أخرجه مالك، ولم يقل : « هاتان » فهذا يدل على أن أتمت عليهم آية .

(٢) سورة البقرة ١٠ والآية : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٣) سورة البقرة ١١

(٤) آل عمران ٩٠ : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(٥) آية ١٠٥ ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾

(٦) الشعراء ١٧ ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾

(٧) السجدة ٢٣ ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾

(٨) الزخرف ٥٩ ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾

(٩) الزمر ١٧ (١٠) ساقط من ت، م

النوع الرابع

في

جمع الوجوه والنظائر

وقد صنّف فيه قديماً مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابنُ الزاغوني^(١) وأبو الفرج^(٢) بن الجوزي ، والدامغانى^(٣) الواعظ ، وأبو الحسين بن فارس^(٤) ، وسُمي كتابه "الأفراد" ،^(٥) .

فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ؛ كلفظ « الأمة » ، والنظائر كالألفاظ المتواطئة .

وقيل : النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني ؛ وضَعُف ؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمعُ في^(٦) الألفاظ المشتركة ؛ وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ؛ فيجملون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً آخر ، كالأمثال . وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ؛ ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي البهـ . إحدى . منسوب إلى زاغوانى من أعمال بغداد . كان شيخ الحنابلة وأعظم أعيانهم ، توفي سنة ٥٢٧ . (وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٤ : ٨٠) .

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي صاحب كتاب المنتظم في التاريخ . توفي سنة ٥٩٧ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٢٧٩) .

(٣) لهله قاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى محمد بن علي بن محمد الحنفى : توفي سنة ٤٧٨ . (شذرات الذهب ٣ : ٣٦٢) .

(٤) هو أحمد بن فارس بن زكريا ؛ صاحب المجلد ومقاييس اللغة ، وفقه اللغة وغيرها . توفي سنة ٣٩٥ . (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ١ : ٩٣) .

(٥) زاد السيوطى في الإتيان (١ : ١٤١) محمد بن عبد الصمد المصرى . (٦) ت ، م ، « ين » .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثا مرفوعا^(١) : « لا يكون الرجل قبيهاً كلَّ الفقه^(٢) حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة » .

فنه « الهدى » سبعة عشر حرفاً :

بمعنى البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٣) .

وبمعنى الدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدًى اللَّهِ ﴾^(٤) .

وبمعنى الإيمان : ﴿ وَزَيْدُ اللَّهِ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾^(٥) .

وبمعنى الداعي : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^(٦) . ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^(٧) .

وبمعنى الرسل والكتب : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى ﴾^(٨) .

وبمعنى المعرفة : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٩) .

وبمعنى الرشاد : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١٠) .

وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْهُدًى ﴾^(١١) . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدًى ﴾^(١٢) .

وبمعنى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدًى ﴾^(١٣) .

(١) الحديث المرفوع : ما أضيف إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خاصة من فعل أو تقرير ؛ سواء كان متصلاً أو منقطعاً ؛ لقوط الصحابي منه أو غيره . (قواعد التحديث ١٠٤) .

(٢) قال السيوطي : أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، ولفظه « لا يفقه الرجل كلَّ الفقه » ، وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد . وانظر الإتيان (١ : ١٤١) .

(٣) سورة البقرة ٥ (٤) سورة آل عمران ٧٣

(٥) سورة مريم ٧٦ (٦) سورة الرعد ٧

(٧) سورة الأنبياء ٧٣ (٨) سورة البقرة ٣٨

(٩) سورة النحل ١٦ (١٠) سورة الفاتحة ٦

(١١) سورة البقرة ١٥٩ (١٢) سورة محمد ٣٢

(١٣) سورة النجم ٢٣ .

وبمعنى التوراة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ ^(١) .
 وبمعنى الاسترجاع : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ^(٢) ؛ ونظيرها فى التغابن : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) أى فى المصيبة أنها من عند الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ^(٤) للاسترجاع .
 وبمعنى الحجة : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) بعد قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ، أى لا يهديهم إلى الحجة .
 وبمعنى التوحيد : ﴿ إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾ ^(٦) .
 وبمعنى السنة : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ^(٧) .
 وبمعنى الإصلاح : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ ^(٨) .
 وبمعنى الإلهام : ﴿ أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٩) ، هدى كلاً فى معيشتِهِ .
 وبمعنى التوبة : ﴿ إِنَّا هُذَنَّا إِلَيْكَ ﴾ ^(١٠) أى تُبْنَا .
 وهذا كثير الأنواع .

(١) سورة غافر ٥٣
 (٢) سورة البقرة ١٥٧ ؛ وقبلها : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .
 (٣) سورة التغابن ١١ والآية بتمامها : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٨

(٥) سورة القصص ٥٧

(٦) سورة الزخرف ٢٢ ، وزاد السيوطى فى الإتيان : ﴿ فَيَهْدَاهُمْ سَبِيلًا ﴾ [الأنعام ٩٠]

(٧) سورة طه ٥٠

(٨) سورة يوسف ٥٢

(٩) سورة الأعراف ١٥٦

وقال ابن فارس في كتاب "الأفراد" :

كل ما في كتاب الله من ذكر « الأسف » فمعناه الحزن ؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يَوْسَفَ ﴾ ^(١) إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ ^(٢) . فإن معناه « أغضبونا » ^(٣) ؛ وأما قوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ غَضَبَانِ أَسْفَا ﴾ ^(٤) فقال ابن عباس : « مغناظا » .

وكل ما في القرآن من ذكر « البروج » فإنها السكواكب ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ^(٥) إلا التي في سورة النساء : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ ^(٦) ، فإنها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة .

وما في القرآن من ذكر « البر » و « البحر » فإنه يراد بالبحر الماء ، وبالبرّ التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٧) فإنه بمعنى البرية وال عمران . وقال بعض علمائنا : ﴿ فِي الْبَرِّ ﴾ قتل ابن آدم أخاه ، وفي ﴿ الْبَحْرِ ﴾ أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بُخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ ^(٨) إلا حرقاً واحداً في سورة يوسف : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ^(٩) ؛ فإن أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البغل فهو الزوج ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَيُعَوِّظْنَهُنَّ أَحَقُّ

(١) سورة يوسف ٨٤

(٢) سورة الزخرف ٥٥

(٣) سورة الأعراف ١٥٠ ، طه ٨٣ (٤) سورة البروج ١

(٦) سورة النساء ٧٨

(٧) سورة الروم ٤١ (٨) سورة الجن ١٣

(٩) سورة يوسف ٢٠

يَرَدُّنَّ^(١) ﴿١﴾ إلا حرفاً واحداً في الصفات : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾^(٢) ، فإنه أراد صنما .
وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان ؛ كقوله : ﴿صُمُّ
بُكْمٌ﴾^(٣) ؛ إنما أراد ﴿بُكْمٌ﴾ عن النطق والتوحيد مع صحة ألسنتهم ؛ إلا حرفين :
أحدهما في سورة بني إسرائيل^(٤) : ﴿عُمَيَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ والثاني في سورة النحل : قوله
عز وجل : ﴿أَحَدُهَا أُنْكَمٌ﴾^(٥) فإنهما في هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .
وكل شيء في القرآن : ﴿جَنِيًّا﴾ فعناه « جميعا » إلا التي في سورة الشريعة^(٦) :
﴿وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً﴾ فإنه أراد تجنُّوا على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن « حُسابان » فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف :
﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٧) فإنه بمعنى العذاب .

وكل ما في القرآن : « حَسْرَةٌ » فهو الندامة ؛ كقوله عز وجل : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٨)
إلا التي في سورة آل عمران : ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٩) فإنه يعني
به « حزنا » .

وكل شيء في القرآن : « الدَّاحِضُ » و « الدَّاحِضُ » فعناه الباطل ؛ كقوله :
﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾^(١٠) ، إلا التي في سورة الصفات : ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾^(١١) .
وكل حرف في القرآن من « رَجَز » فهو العذاب ؛ كقوله تعالى في قصة بني إسرائيل :

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٢) سورة الصفات ١٢٥

(٣) سورة البقرة ١٨

(٥) سورة النحل ٧٦

(٧) سورة الكهف ٤٠

(٩) سورة آل عمران ١٥٦

(٤) هي التي تسمى الإسراء ، آية ٩٧

(٦) هي التي تسمى الجاثية ، آية ٢٨

(٨) سورة يس ٣٠

(١٠) سورة الشورى ١٦

(١١) سورة الصفات ١٤١ . وكان من المدحضين : أي من الملوك .

﴿لَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ﴾^(١) إلا في سورة المدثر: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٢) فإنه يعني : الصم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من « ريب » فهو شك ، غير حرف واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿تَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُنَّ﴾^(٣) فإنه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن : « يَرْجُوكُمْ » و « يَرْجُوكُمْ » فهو القتل ، غير التي في سورة مريم عليها السلام : ﴿لَا رَجُوكَ﴾^(٤) يعني لأشتمتك .

قلت : وقوله : ﴿رَجَاءَ الْغَيْبِ﴾^(٥) أى ظنا . والرجم أيضاً : الطرد واللعن ؛ ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء في القرآن من « زور » فهو الكذب ؛ ويراد به الشرك ؛ غير التي في المجادلة : ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(٦) ، فإنه كذب غير شرك .

وكل شيء في القرآن من « زكاة » فهو المال ، غير التي في سورة مريم : ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾^(٧) ؛ فإنه يعني « تعطفا » .

وكل شيء في القرآن من « زاعوا » ولا « تُزْعِ » فإنه من « مالوا » ولا « تمل » غير واحد في سورة الأحزاب : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾^(٨) بمعنى « شخَصَتْ » .

وكل شيء في القرآن من « يَسْخَرُونَ » و « سَخَرْنَا » فإنه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾^(٩) ، فإنه أراد « أعواناً وخداماً » .

وكل سَكِينَةٌ في القرآن طمأنينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ

(١) سورة الأعراف ١٣٤	(٢) سورة المدثر ٥
(٣) سورة الطور ٣٠	(٤) سورة مريم ٤٦
(٥) سورة الكهف ٢٢	(٦) سورة المجادلة ٢
(٧) آية ١٣	(٨) آية ١٠
	(٩) آية ٣٢ (١٠) ط « عوناً »

من رَبِّكُمْ^(١) ، فإنه يعني شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « السعير » فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ
 الْجَحِيمَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾^(٢) ، فإنه العناد .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « شيطان » فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله
 تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾^(٣) ؛ فإنه يريد كهنتهم ؛ مثل كعب
 ابن الأشرف وحيي بن أخطب وأبي ياسر أخيه .
 وكل « شهيد » في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلا
 التي في سورة البقرة قوله عز وجل : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾^(٤) ، فإنه يريد شركاءكم .
 وكل ما في القرآن من « أصحاب النار » فهم أهل النار إلا قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ
 النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾^(٥) فإنه يريد خزنتها .
 وكل « صلاة » في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : ﴿ وَصَلَّاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾^(٦)
 فإنه يريد بيوت عباداتهم .
 وكل « صَم » في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان ، غير واحد في بني إسرائيل ، قوله
 عز وجل : ﴿ غُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾^(٧) ، معناه لا يسمعون شيئاً .
 وكل « عذاب » في القرآن فهو التعذيب إلا قوله عز وجل : ﴿ وَلَيَشْهَدَنَّاهُمَا ﴾^(٨)
 فإنه يريد الضرب .

والقاتنون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَاتِنُونَ ﴾^(٩)

(١) آية ٢٤٨

(٣) سورة البقرة ١٤

(٢) سورة القمر ٤٧

(٥) سورة الدثر ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٣

(٧) سورة الإسراء ٩٧

(٦) سورة الحج ٤٠

(٩) سورة البقرة ١١٦

(٨) سورة النور ٢

معناه «مقرّون» ، وكذلك في سورة الروم : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ ^(١) ، يعنى مُقرّون بالعبودية .

وكل « كنز » في القرآن فهو المال إلا الذى في سورة الكهف : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ ^(٢) فإنه أراد صحفا وعلماء .

وكل « مصباح » في القرآن فهو الكوكب إلا الذى في سورة النور : ﴿المصباح في رُجَاةٍ﴾ ^(٣) ، فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ؛ إلا قوله جمل ثناؤه : ﴿حَتَّى إِذْ بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ ^(٤) فإنه يعنى الحلم .

النبا والأنباء في القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى : ﴿فَعَمَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ﴾ ^(٥) فإنه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، إلا في القصص : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ ^(٦) ، يعنى هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٧) يعنى عن العمل إلا التى في سورة النساء ^(٨) ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ ^(٩) يعنى النفقة .

وكل شيء في القرآن من بأس فهو القنوط ، إلا التى في الرعد : ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(١٠) أى ألم يعلموا . قال ابن فارس : أنشدنى أبى ، فارس بن زكريا :

(١) سورة الروم ٢٦ (٢) سورة الكهف ٨٢

(٣) سورة النور ٣٥ (٤) سورة النساء ٦

(٥) سورة القصص ٦٦ (٦) سورة القصص ٢٣

(٧) سورة البقرة ٢٨٦ (٨) حاشية ط : « يعنى القصرى » ، وهى سورة الطلاق .

(٩) آية ٧ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ .

(١٠) سورة الرعد ٣١ .

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَنْسِرُونِي أَلَمْ تَيْتَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمٌ^(١)

قال الصاغاني^(٢) : البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي .

وكل شيء في القرآن من ذكر « الصبر » محمود ، إلا قوله عز وجل : ﴿ لَوْلَا أَن صَبَرْنَا

عليها ﴾^(٣) ، و ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾^(٤) . انتهى ما ذكره ابن فارس .

وزاد غيره : كل شيء في القرآن : « لعلكم » فهو بمعنى « لكي » غير واحد في

الشعراء ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾^(٥) فإنه للتشبيه ؛ أي كأنكم .

وكل شيء في القرآن « أقسطوا » فهو بمعنى العدل ، إلا واحد في الجن : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ

فَكَانُوا لِلْجَنِّ حَطَبًا ﴾^(٦) . يعني العادلين الذين يعدلون به غيره ؛ هذا باعتبار صورة اللفظ ؛

وإلا فإداة الرباعي تخالف مادة الثلاثي .

وكل « كسف » في القرآن يعني جانباً من السماء غير واحد في سورة الروم : ﴿ وَتَجْمَلُ

كَيْفًا ﴾^(٧) يعني السحاب قطعا .

وكل « ماء معين » فالمراد به الماء الجاري ؛ غير الذي في سورة تبارك^(٨) ؛ فإن

المراد به الماء الطاهر الذي تناله الدلاء ؛ وهي زمزم .

(١) زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل ؛ وقيل إن هذا البيت لابنه جابر وليس له . واضطر اللسان -
يأس - زهدم .

(٢) هو الإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغاني - ويقال الصاغاني ؛ صاحب التكملة على الصحاح .
توفي سنة ٦٥٠ (بقية الوعاة ٢٢٧)

(٣) سورة الفرقان ٤٢ (٤) سورة ص ٦

(٥) سورة الشعراء ١٢٩ (٦) سورة الجن ١٥

(٧) سورة الروم ٤٨

(٨) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ آية ٣٠ .

وكل شيء في القرآن « ثلثاً » فهو بمعنى « كيلاً » غير واحد في الحديد : ﴿ لَثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) ؛ يعني لكي يعلم .

وكل شيء في القرآن « من الظلمات إلى النور » فهو بمعنى الكفر والإيمان ؛ غير واحد في أول الأنعام : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(٢) يعني ظلمة الليل ونور النهار .

وكل « صوم » في القرآن فهو الصيام المعروف ، إلا الذي في سورة مريم : ﴿ إِنِّي نَزَرْتُ لِارْحَمَنُ صُومًا ﴾ ^(٣) يعني صمتاً .

وذكر أبو عمرو الداني في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ^(٤) أن المراد بالحضور هنا المشاهدة . قال : وهو بالظاء بمعنى اللع والتحويط ، قال : ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ ^(٥) .

قيل : وكل شيء في القرآن : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أخبرنا به ، وما فيه : ﴿ وَمَا يُذَرِّبُكَ ﴾ فلم يخبرنا به ؛ حكاه البخاري رحمه الله في تفسيره . واستدرك بعضهم عليه موضعاً ، وهو قوله : ﴿ وَمَا يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ^(٦) .

وقيل : الإنفاق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة ؛ إلا في قوله تعالى : ﴿ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ^(٧) فإن المراد به المهر ؛ وهو صدقة في الأصل ؛ تصدق الله بها على النساء .

(٢) سورة الأنعام

(١) سورة الحديد ٢٩

(٣) سورة مريم ٢٦

(٥) سورة القمر ٣١

(٤) سورة الأعراف ١٦٣

(٧) سورة المتحة ١١

(٦) سورة الثوري ١٧

النوع الخامس علم المتشابه

وقد صنف فيه جماعة، ونظمه السخاوي^(١) وصنف في توجيهه الكرماني^(٢) كتاب
"البرهان"، والرازي^(٣) كتاب "درة التأويل" وأبو جعفر بن الزبير، وهو أبسطها في مجلدين.
وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة. ويكثر في إيراد القصص
والأنباء، وحكته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزم عن جميع طرق
ذلك : مبتدأ به ومتكررا، وأكثر أحكامه ثبتت من وجهين، فلمذا جاء باعتبارين .
وفيه فصول :

الفصل الأول

[المتشابه باعتبار الأفراد]

الأول باعتبار الأفراد، وهو على أقسام :

- (١) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ، صاحب كتاب هداية المراتب في التشابه ؛
وهي منظومة تعرف بالسخاوية : توفي سنة ٦٤٣ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٣٤٥)
- (٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الشافعي ؛ القلب تاج القراء : توفي
بعد سنة ٥٠٠ ، وكتابه هو البرهان في تشابه القرآن ، منه نسخ خطية في المكتبة السيورية ، ودار الكتب ،
والأزهر . (وانظر ترجمته في بنية الرواة ٣٨٧) .
- (٣) ت « الداري » تحريف ، وهو الإمام غفر الدين الرازي - حققت ترجمته . واسم كتابه في كشف
الظنون : « درة التزويل وغرة التأويل » . ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية .

الأول أن يكون في موضعٍ على نظمٍ ، وفي آخرٍ على عكسه ، وهو يشبه ردَّ العَجَزِ على الصَّدْرِ^(١) ؛ ووقع في القرآن منه كثير .

ففي البقرة : ﴿ وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾^(٢) ، وفي الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾^(٣) .

في البقرة : ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾^(٤) ، وفي الحج : ﴿ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى ﴾^(٥) .
في البقرة والأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾^(٦) ، وفي آل عمران : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾^(٧) .

في البقرة : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(٨) ، وفي الحج : ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾^(٩) .
في البقرة : ﴿ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾^(١٠) ، وبقي القرآن : ﴿ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^(١١) .

(١) رد العجز على الصدر يكون في النثر ويكون في النظم ؛ ففي النثر أن يجعل أحد المتفطين المكررين ؛ أي التفطين في اللفظ والمعنى ، أو المتجانسين في اللفظ دون المعنى ، أو اللحقين بالتجانسين ؛ وهما اللذان يجمعها الاشتقاق أو شبه الاشتقاق - في أول الفقرة والآخر في آخرها ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبِ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ . وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر : إما في صدر المصراع الأول ، أو حذوه أو آخره ، أو صدر المصراع الثاني ؛ كقوله :

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وليس إلى داعيِ الندى سريع

وانظر الصناعتين ٣٨٥ - ٣٨٨

(٢) سورة البقرة ٥٨ . وحقة : مصدر « حط » ، ومعناه عند الحسن وقفاة : « احطط عنا خطايانا » .
كذا ذكره الفيلسوف .

(٣) سورة الأعراف ١٦١ (٤) سورة البقرة ٦٢

(٥) سورة الحج ١٧ (٦) سورة البقرة ١٢٠ ، وسورة الأنعام ٧١

(٧) سورة آل عمران ٧٣ (٨) سورة البقرة ١٤٣

(٩) سورة الحج ٧٨ (١٠) سورة البقرة ١٧٣

(١١) سورة المائدة ٣ ، سورة الأنعام ١٤٥ ، سورة النحل ١١٥

في البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^(١) ، وفي إبراهيم: ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢) .

في آل عمران: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾^(٣) ، وفي الأنفال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾^(٤) .

في النساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^(٥) ، وفي المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٦) .

في الأنعام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧) وفي حم المؤمن: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٨) .

في الأنعام: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٩) ، وفي بني إسرائيل: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١٠) .

في النحل: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾^(١١) ، وفي فاطر: ﴿فِيهِ مَوَاجِرَ﴾^(١٢) .
في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾^(١٣) ، وفي الكهف: ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾^(١٤) .

في بني إسرائيل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١٥) ، وفي العنكبوت: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾^(١٦) .

(١) سورة البقرة ٢٦٤	(٢) سورة إبراهيم ١٨
(٣) سورة آل عمران ١٢٦	(٤) سورة الأنفال ١٠
(٥) سورة النساء ١٣٥	(٦) سورة المائدة ٨
(٧) سورة الأنعام ١٠٢	(٨) سورة المؤمن ٦٢
(٩) سورة الأنعام ١٥١	(١٠) سورة الإسراء ٣١
(١١) سورة النحل ١٤	(١٢) سورة فاطر ١٢
(١٣) سورة الإسراء ٨٩	(١٤) سورة الكهف ٥٤
(١٥) سورة الإسراء ٩٦	(١٦) سورة العنكبوت ٥٢

في « المؤمنين » : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) ، وفي النمل : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) .

في القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ^(٣) . وفي يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ ^(٤) .

في آل عمران : ﴿ قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ غُلَامٌ وَلَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ ^(٥) ، وفي كهيعص : ﴿ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ^(٦) .

الثاني ما يشبهه بالزيادة والتقصان : ففي البقرة : ﴿ سَوَّاهُمْ عَلَيْهِمْ آذَنَازَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ ^(٧) ، وفي يس : ﴿ وَسَوَّاهُ ﴾ ^(٨) بزيادة « واو » ، لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن أسم « إن » ، وما في يس جملة عطف بالواو على جملة .

في البقرة : ﴿ فَأَنُتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ ^(٩) ، وفي غيرها يأسقاط ﴿ مِنْ ﴾ لأنها للتبعض ؛ ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول ﴿ مِنْ ﴾ فيها ؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السور ، فإنه لو دخلها ﴿ مِنْ ﴾ لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ، ولم يكن ذلك بالسهل .

في البقرة : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ^(١٠) ، وفي طه ^(١١) : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ، لأجل قوله هناك : ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ ^(١٢) .

(١) سورة المؤمنون ٨٣	(٢) سورة النمل ٦٨
(٣) سورة القصص ٢٠	(٤) سورة يس ٢٠
(٥) سورة آل عمران ٤٠	(٦) سورة مريم ٨
(٧) سورة البقرة ٦	(٨) سورة يس ١٠
(٩) سورة البقرة ٢٣	(١٠) سورة البقرة ٣٨
(١١) سورة طه ١٢٣	(١٢) سورة طه ١٠٨

في البقرة : ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ ^(١) ، بغير « واو » على أنه بدلٌ من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ^(٢) ، ومثله في الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ ^(٣) ، وفي إبراهيم : ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ ^(٤) بالواو ، لأنه من كلام موسى عليه السلام ، يمدد الحن عليهم .

في البقرة : ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٥) ، وفي آل عمران : ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٦) .

في البقرة : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾ ^(٧) ، ثم قال : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ ^(٨) .

في البقرة : ﴿وَيُكْفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ^(٩) ، وسائر مافي القرآن يأسقاط ﴿مِنْ﴾ .

وفيها : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ^(١٠) ، وفي آل عمران : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ^(١١) .

قالوا : وجميع مافي القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالقاء ، إلا قوله تعالى في طه : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبٌّ نَسْفًا...﴾ ^(١٢) ، الآية ؛ لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال ، وفي طه كانت قبل السؤال . وكأنه قيل : إن سئلت عن الجواب فقل . في الأعراف : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ^(١٣) ، بغير « واو » ، وليس في القرآن غيره .

(٢) سورة الأعراف ١٤١

(١) سورة البقرة ٤٩

(٤) سورة إبراهيم ٦

(٣) سورة الأعراف ١٤١

(٦) سورة آل عمران ١١٧

(٥) سورة البقرة ٥٧

(٨) سورة البقرة ١٩٦

(٧) سورة البقرة ١٨٥

(١٠) سورة البقرة ١٧٤

(٩) سورة البقرة ٢٧١

(١٢) سورة طه ١٠٥

(١١) سورة آل عمران ٧٧

(١٣) سورة الأعراف ٥٩

- في البقرة: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ^(١) ، وفي الأنفال: ﴿كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ^(٢) .
- في آل عمران: ﴿اشْهَدُوا بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ^(٣) ، وفي المائدة: ﴿بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ^(٤) .
- في آل عمران: ﴿جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ^(٥) بياء واحدة إلا في قراءة ابن عامر ، وفي فاطر: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ^(٦) بثلاث باءات .
- في آل عمران: ﴿هَآأَنْتُمْ أَولَاءُ نُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ ^(٧) وسائر ما في القرآن: ﴿هؤلاء﴾ بإثبات الهاء .
- في النساء: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(٨) بالواو ، وفي ﴿براءة﴾ ^(٩) ﴿ذلك﴾ بغير واو .
- في النساء: ﴿فَانسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ ^(١٠) ، وفي المائدة بزيادة ﴿منه﴾ ^(١١) .
- في الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ﴾ ^(١٢) لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، فكرر ﴿لَكُمْ﴾ ، وقال في هود: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ^(١٣) ؛ لأنه تكرر ﴿لَكُمْ﴾ في قصته أربع مرات فاكتفى بذلك .
- في الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ^(١٤) ،

(١) سورة البقرة ١٩٣	(٢) سورة الأنفال ٣٩
(٣) سورة آل عمران ٦٤	(٤) سورة المائدة ١١١
(٥) سورة آل عمران ١٨٤ ، قرأها ابن عامر ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ .	
وانظر اتحاد فضلاء البشر ص ١٨٣	(٦) سورة فاطر ٢٥
(٧) سورة آل عمران ١١٩	(٨) سورة النساء ١٣
(٩) سورة التوبة	(١٠) سورة النساء ٤٣
(١١) سورة المائدة ٦	(١٢) سورة الأنعام ٥٠
(١٣) سورة هود ٣١	(١٤) سورة الأنعام ١١٧

وفي القلم : ﴿ بَيْنَ ضَلٍّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(١) بزيادة الباء ولفظ الماضي ، وفي النجم : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بَيْنَ ضَلٍّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بَيْنَ اهْتَدَى ﴾ ^(٢) .

في الأنعام : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ^(٣) ، وفي سورة المؤمنين ^(٤) بزيادة ﴿ نَمُوتُ ﴾ ، وفيها أيضاً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٥) ليس فيها غيره .

وفيها : ﴿ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ ^(٦) ، وفي فاطر : ﴿ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٧) ، يثبتات ﴿ فِي ﴾ .

في الأعراف : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ ﴾ ^(٨) ، وفي ص : ﴿ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ ^(٩) ، وفي الحجر : ﴿ أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١٠) فزاد ﴿ لَا ﴾ .

في الأعراف : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ ^(١١) بالقاء ، وكذا حيث وقع ، إلا في يونس ^(١٢) .

في الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ ^(١٣) بغير واو ، وفي المؤمنين وهود : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ بالواو . ^(١٤) الحكيمة

في الأعراف : ﴿ كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١٥) وفي يونس بزيادة ﴿ بِهِ ﴾ ^(١٦) .

في الأعراف : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ^(١٧) ، وفي الشعراء بزيادة ﴿ بِسَخِرِهِ ﴾ ^(١٨) .

(١) سورة القلم ٧	(٢) سورة النجم ٣٠
(٣) سورة الأنعام ٢٩	(٤) سورة المؤمنون ٣٧
(٥) سورة الأنعام ١٥٩	(٦) سورة الأنعام ١٦٥
(٧) سورة فاطر ٣٩	(٨) سورة الأعراف ١٢
(٩) سورة ص ٧٥	(١٠) سورة الحجر ٣٢
(١١) سورة الأعراف ٣٤	(١٢) آية ٤٩
(١٣) سورة الأعراف ٥٩	(١٤) سورة هود ٢٥ ، المؤمنون ٢٣
(١٥) سورة الأعراف ١٠١	(١٦) آية ٧٤
(١٧) سورة الأعراف ١١٠	(١٨) سورة الشعراء ٣٥

في هود: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكَرٍ مِّمَّا تَدْعُونَا﴾^(١)، وفي إبراهيم: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكَرٍ مِّمَّا تَدْعُونَا﴾^(٢).

في يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣)، وفي الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾^(٤).

في النحل: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٥)، وفي العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾^(٦).

وكذلك حذف «من» من قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنًا﴾^(٧)، وفي الحج: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا﴾^(٨):

في الحج: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٩)، وفي السجدة: ﴿مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(١٠).

في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾^(١١)، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾^(١٢).
في العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾^(١٣)، وفي هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾^(١٤) بغير «أن».

(١) سورة هود ٦ (٢) سورة إبراهيم ٩

(٣) سورة يوسف ١٠٩ (٤) سورة الأنبياء ٧

(٥) سورة النحل ٦٥، وفي حاشية ط: «تقدم في كلامه قريبا أنه في العنكبوت كذلك».

(٦) سورة العنكبوت ٦٣ (٧) سورة النحل ٧٠

(٨) سورة الحج ٥ (٩) سورة الحج ٢٢

(١٠) سورة السجدة ٢٠ (١١) سورة النمل ١٠

(١٢) سورة القصص ٣١ (١٣) سورة العنكبوت ٣٣

(١٤) سورة هود ٧٧.

في العنكبوت: ﴿فَأَخِيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾^(١) بزيادة ﴿مِنْ﴾ ليس غيره .
 في سورة المؤمن: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾^(٢) ، وفي طه: ﴿آتِيَةٌ﴾^(٣) .
 في النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤) ، وفي الأعراف: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾^(٥) .

في المؤمنين: ﴿مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ﴾^(٦) ، وفي المؤمن يسقط ذكر « الأخ »^(٧) .

في البقرة: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٨) وفي سورة إبراهيم: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾^(٩) بالواو؛ ووجهه أنه في سورة إبراهيم تقدم ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(١٠) ، وهي أوقات عقوبات إلى أن قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ، واللائق أن يعدد امتحانهم تعديدا يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنة ؛ ولذلك أتى بالعطف ليؤذن بأن إسمائهم العذاب مغايرٌ لتذبيح الأبناء وسبى النساء ؛ وهو ما كانوا عليه من التسخير ، بخلاف المذكور في البقرة ، فإن ما بعد ﴿يَسُومُونَكَ﴾ تفسير له ، فلم يعطف عليه . ولأجل مطابقة السابق جاء في الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١١) ، ليطابق: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾^(١٢) .

الثالث : التقديم والتأخير ، وهو قريب من الأول ، ومنه في البقرة: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ

(١) سورة العنكبوت ٦٣	(٢) سورة غافر ٥٩
(٣) سورة طه ١٥	(٤) سورة النحل ٢٠
(٥) سورة الأعراف ١٩٧	(٦) المؤمنون ٤٥ ، ٤٦
(٧) المؤمن ٢٢٣	(٨) سورة البقرة ٤٩
(٩) سورة إبراهيم ٦	(١٠) سورة إبراهيم ٥
(١١) سورة الأعراف ١٤١	(١٢) سورة الأعراف ١٢٧

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴿١﴾ مؤخر ، وما سواه : ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ﴿٢﴾ .

ومنه تقديم « اللعب » على « اللهو » في موضعين من سورة الأنعام ﴿٣﴾ ، وكذلك في القتال ﴿٤﴾ والحديد ﴿٥﴾ .

وقدم « اللهو » على « اللعب » في الأعراف ﴿٦﴾ والعنكبوت ﴿٧﴾ ، وإنما قدم اللعب في الأكثر ، لأن اللعب زمان الصبا ، واللهو زمان الشباب ، وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو . تنبيه : ما ذكره في الحديد : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾ ؛ أى كلعب الصبيان ، ﴿ وهو ﴾ ﴿٣﴾ أى كلهو الشباب ، ﴿ وزينة ﴾ ﴿٤﴾ كزينة النساء ، ﴿ وتفاخر ﴾ ﴿٥﴾ كتفاخر الإخوان ، ﴿ وتكاثر ﴾ ﴿٦﴾ كتكاثر الشيطان . وقريب منه في تقديم اللعب على اللهو قوله : ﴿ وما بينهما لَاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ﴿٨﴾ .

وقدم « اللهو » في الأعراف ؛ لأن ذلك يوم القيامة ، فذكر على ترتيب ما انقضى ، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين .

وأما العنكبوت فالمراد بذكرها ﴿٩﴾ زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء . ﴿ وأن الدار الآخرة هى الحيوان ﴾ ؛ أى الحياة التى لا أبد لها ولا نهاية لأبدها ؛ فبدأ بذكر اللهو ، لأنه في زمان الشباب ، وهو أكثر من زمان اللعب ؛ وهو زمان الصبا .

(١) سورة البقرة ١٢٩ (٢) سورة الجمعة ٢ .

(٣) سورة الأنعام ٣٢ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٤) هى سورة القتال ٣٦ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٥) سورة الحديد ٢٠ : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٦) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَسَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٦٤ : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .

(٨) سورة الأنبياء ١٦ ، ١٧ (٩) أى اللهو واللعب .

ومنه تقديم لفظ « الضرر » على « النفع » في الأكثر، لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً، ثم طمعا في ثوابه .

وحيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع؛ وذلك في سبعة مواضع : ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهي في الأعراف والرعد وسبأ^(١)، وأربعة بلفظ الفعل، وهي في الأنعام : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾^(٢) . وفي آخر يونس : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(٣) ، وفي الأنبياء : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٤) ، وفي الفرقان : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾^(٥) .

أما في الأعراف فلتقدم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ ﴾^(٦) تقدم الهداية على الضلال، وبعد ذلك : ﴿ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوء ﴾^(٧) تقدم الخير على السوء، وكذا قدم النفع على الضرر .

أما في الرعد فلتقدم « الطوع » في قوله : ﴿ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾^(٨) .

وأما في سبأ فلتقدم « البسط » في قوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾^(٩) .

وفي يونس قدم الضرر على الأصل ولما وافقه ما قبلها فإن فيها : ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ . سورة الرعد ١٦ : ﴿ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ . سورة سبأ ٤٢ : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ .

(٢) سورة الأنعام ٧١

(٣) سورة يونس ١٠٦ (٤) سورة الأنبياء ٦٦

(٥) سورة الفرقان ٥٥ (٦) سورة الأعراف ١٧٨

(٧) سورة الأعراف ١٨٨ (٨) سورة فصلت ١١

(٩) سورة سبأ ٣٦

يَنْفَعُهُمْ ﴿١﴾ وفيها : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾ ^(٢) فتكون الآية ثلاث مرات . وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن نفعا .

أما الأنعام ففيها : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ ^(٣) ، ثم وصله بقوله : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ ^(٤) .

وفي يونس تقدم قوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ ^(٦) .

وفي الأنبياء ، تقدم قول الكفار لإبراهيم في المجادلة : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَتُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ ^(٧) .

وفي الفرقان تقدم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ^(٨) نهاجة في الآيات ، ثم قال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ^(٩) .

فتأمل هذه المواضع المطردة التي هي أعظم أساقا من العقود . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ^(١٠) . ثم قال سبحانه في السورة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا... ﴾ ^(١١) الآية .

وفيها سؤالان :

(١) سورة يونس ١٨ (٢) سورة يونس ١٢

(٣) سورة الأنعام ٧٠ (٤) سورة الأنعام ٧١

(٥) سورة يونس ١٠٢ (٦) سورة يونس ١٠٦

(٧) سورة الأنبياء ٦٥ ، ٦٦ (٨) سورة الفرقان ٤٥

(٩) سورة الفرقان ٥٥ (١٠) سورة البقرة ٤٨

(١١) سورة البقرة ١٢٣

أحدهما أنه سبحانه في الأولى قدم نفى قبول الشفاعة على أخذ العدل ، وفي الثاني قدم نفى قبول العدل على الشفاعة .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى قال في الأولى : ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) وفي الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٢) فغاير بين اللفظين ، فهل ذلك لمعنى يترتب عليه ، أو من باب التوسّع في الكلام ، والتنقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب ؟ والجواب : أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ^(٣) ولم يقل « من رحمن ولا رحيم » ، للتنصيص على أنه لا بد من الحكمة ؛ وهاتان الآيتان كلاهما في حق بنى اسرائيل ، وكانوا يقولون : إنهم أبناء الأنبياء وأبناء آبائهم ، وسيشفع لنا آباؤنا ، فأعلمهم الله أنه لا تنفعهم الشفاعة ، ولا تجزى نفس عن نفس شيئا .

وتعلق بهذه الآية المعتزلة على نفى الشفاعة ، كما ذكره الزمخشري ؛ وأجاب عنها أهل السنة بأجوبة كثيرة ليس هذا محلها .

وذكر الله في الآيتين « النفس » متكررة ، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعه إلى الأولى أو إلى الثانية ، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ؛ ولكن قد يعود إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَزَّوْهُ وَتُنْقِذُوهُ وَتُغْشَّوْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ^(٤) فالضمير في التعزير والتوقيف راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي التسييح عائد إلى الله تعالى ، وهو متقدم على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد الضمير على غير الأقرب .

إذا علمت ذلك ، فقوله في الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٥) الضمير راجع إلى

(١) سورة البقرة ٤٨ (٢) سورة البقرة ١٢٣

(٣) سورة هود ٢ (٤) سورة الفتح ٩

(٥) سورة البقرة ١٢٣

النفس الأولى وهى الشفاعة لغيرها . فلما كان المراد فى هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له أخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم الاحتفاء به ؛ وهذا الخبر يكون باعثاً للسامع فى ترك الشفاعة إذا علم أن المشفوع عنده لا يقبل شفاعته ، فىكون التقدير على هذا التفسير : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) « لو شفعت » ، يعنى : وهم لا يشفعون ، فىكون ذلك مؤسسا لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء ينفعونهم من غير عمل منهم .

وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ^(٢) إن جعلنا الضمير فى ﴿ مِنْهَا ﴾ راجعاً إلى الشافع أيضاً فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى المشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً لقبول شفاعته فمن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل ؛ وإن جعلنا الضمير راجعاً إلى المشفوع فيه فهو أخرى بالتأخير ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت ، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤسسا لحصول مقصود الشفاعة ، وهو ثمرتها للمشفوع فيه .

وأما الآية الثانية فالضمير فى قوله : ﴿ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ راجع إلى النفس الثانية ، وهى النفس التى هى صاحبة الجريمة ، فلا يقبل منها عدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدماً على الشفاعة فيه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تحصيل مقصوده ، فناسب ذلك تقديم العدل الذى هو القدية من المشفوع له على الشفاعة .

فى هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ؛ وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ، ولهذا قال فى الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٢) وفى الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٣) ، لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

(٢) سورة البقرة ٤٨

(١) سورة البقرة ٤٨

(٣) سورة البقرة ١٢٣

وقال الراغب^(١) : إنما كرر ﴿ لا ﴾ فيهما على سبيل الإنذار بالوعظ إذا وعظ لأمر فإنه يكرر اللفظ لأجله تعظيماً للأمر . قال : وأما تغييره النظم فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرق في المعنى . وقال الإمام فخر الدين : لما كان الناس متفاوتين ، فمنهم من يختار أن يشفع فيه مقدماً على العدل الذي يخرج به ؛ ومنهم من يختار العدل مقدماً على الشفاعة ، ذكر سبحانه وتعالى القسمين ؛ فقدم الشفاعة باعتبار طائفة ، وقدم العدل باعتبار أخرى .

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى : الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفي قبول الشفاعة لا نفعها ، ونفي أصل العدل الذي هو القداء ، وبدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذي هو القداء . على ما هو المعروف في دار الدنيا ؛ وفي الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذي هو الخلاص بالعدل ، وثني بنفع الشفاعة فقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ ﴾^(٢) ولم يقل : لا تقبل منها شفاعة ، وإن كان نفي الشفاعة يستلزم نفي قبولها ، لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة ، وتنفع لأغراض : من وعد بخير ، وابدال المشفوع بغيره ؛ فنفي النفع أعم ، فلم يكن بين نفي القبول ونفي النفع بالشفاعة تلازم ، كما ادعاه الراغب . وكان التقدير بالقداء الذي هو نفي قبول العدل ونفي نفع الشفاعة شيئين مؤكدين لاستقرار ذلك في الآية الثانية . وما يدل على أن نفي الشفاعة أمر زائد على نفي قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن المشركين أخبر بنفي النفع لا بنفي القبول فقال : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾^(٣) الآية . وفي الحديث الصحيح^(٤) أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل نفعت علك

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر ؛ ومؤلف كتاب المفردات في غريب القرآن ومحاضرات الأدباء ؛ توفي سنة ٣٩٦ (وانظر بنية الوعاة ٣٨٦) .
(٢) سورة البقرة ١٢٣ (٣) سورة سبأ ٢٣

(٤) قتله الزنجي في القائق ٢ : ٥٥ : « قال له صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ؛ فهل ينفعه ذلك ؟ قال نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحاح - وروى : أنه في ضحاح من النار يغل منه دماغه . وروى : رأيت أبا طالب في ضحاح من النار ؛ ولولا مكانى لكان في طمطم » . ثم قال : « هو في الأصل الماء إلى الكمين ، والطمطم : معظم ماء البحر » .

أباطالب؟ فقال: «وجدته فنقلته إلى ضحضاح من النار». مع علمهم أنه لا يشفع فيه. فإن قيل: فقد قال في آخر السورة: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خَلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً﴾^(١) فنفى الشفاعة ولم ينف نفعا؟

قيل: من باب زيادة التأكيد أيضاً؛ فإنه سبحانه ذكر في هذه الآية الأسباب المنجية في الدنيا ونفاها هناك، وهى إما البيع الذى يتوصل به الإنسان إلى المقاصد، أو الخلّة التى هى كمال المحبة. وبدأ بنفى المحبة لأنه أعمّ وقوعاً من الصداقة والخلّة، وثنى بنفى الخلّة التى هى سبب لنيل الأغراض فى الدنيا أيضاً؛ وذكر ثالثاً نفى الشفاعة أصلاً، وهى أبلغ من نفى قبولها؛ فماد الأمر إلى تكرار الجمل فى الآيات ليفيد قوة الدلالة.

الرابع: بالتعريف والتسكير، كقوله فى البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢) وفى آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٣).

وقوله فى البقرة: ﴿هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(٤)، وفى سورة إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدُ آمِنًا﴾^(٥)؛ لأنه للإشارة إلى قوله: ﴿يَوَادُّ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(٦)؛ ويكون ﴿بلداً﴾ هنا هو المفعول الثانى، و﴿آمناً﴾ صفته، وفى إبراهيم ﴿البلد﴾ مفعول أول، و﴿آمناً﴾ الثانى.

وقوله فى آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٧)، وفى الأفعال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٨).

وقوله فى حم السجدة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٩) وفى الأعراف:

(١) سورة البقرة ٢٥٤

(٢) سورة البقرة ٦١ (٣) سورة آل عمران ١١٢

(٤) سورة البقرة ١٢٦ (٥) سورة إبراهيم ٣٥

(٦) سورة إبراهيم ٣٧ (٧) سورة آل عمران ١٢٦

(٨) سورة الأفعال ١٠ (٩) سورة فصلت ٣٦

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) ، لأنها في « حم » مؤكدة بالتكرار بقوله : ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٢) ؛ فبالغ بالتعريف ، وليس هذا في سورة الأعراف ، فجاء على الأصل : المخبر عنه معرفة والخبر نكرة .

الخامس : بالجمع والإفراد ، كقوله في سورة البقرة : ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٣) وفي آل عمران : ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾^(٤) ؛ لأن الأصل في الجمع إذا كان واحدُه مذكرا أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو : ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَائِبٌ مَبْنُوتَةٌ﴾^(٥) فجاء في البقرة على الأصل . وفي آل عمران على الفرع^(٦) .

السادس : إبدال حرف بحرف غيره ، كقوله تعالى في البقرة : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾^(٧) بالواو ، وفي الأعراف : ﴿فَكُلَا﴾^(٨) بالقاء ، وحكته أن ﴿اسْكُنْ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة . فلم يصلح إلا بالواو ؛ ولو جاءت القاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة . والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكنا ، فكانت القاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا متجددا ، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾ لقوله : ﴿وَقُلْنَا﴾ ، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها : ﴿قَالَ﴾ وذهب قوم إلى أن ما في الأعراف خطابٌ لها قبل الدخول ، وما في البقرة بعد الدخول .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾^(٩) بالباء ، وفي الأعراف^(١٠) بالواو .

(٢) سورة فصلت ٣٥

(١) سورة الأعراف ٢٠٠

(٤) سورة آل عمران ٢٤

(٣) سورة البقرة ٨٠

(٦) ط : « النوع »

(٥) سورة الفاشية ١٣ - ١٦

(٨) سورة الأعراف ١٩

(٧) سورة البقرة ٣٥

(١٠) الأعراف ١٦١ .

(٩) سورة البقرة ٥٨

في البقرة: ﴿وَلَنْ اتَّبِعَتْ أُهُوَاهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١)، ثم قال بعد ذلك: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾^(٢).

في البقرة: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٣)، وفي غيرها: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٤).

في البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهَا﴾^(٥)، وفي آل عمران: ﴿عَلَيْنَا﴾^(٦).

في الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾^(٧)، وفي غيرها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾^(٨).

في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٩) بالواو، وفي غيرها بالقاء.

في الأعراف: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾^(١٠)، وفي الباقي: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾^(١١).

في سورة الرعد: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٢)، وفي لقمان: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٣)، لا ثاني له.

في الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٤)، وفي السجدة: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٥).

في طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٦) بالقاء، وفي السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٧).

(١) سورة البقرة ١٢٠	(٢) سورة البقرة ١٤٥
(٣) سورة البقرة ٨٦	(٤) سورة آل عمران ٨٨
(٥) سورة البقرة ١٣٦	(٦) سورة آل عمران ٨٤
(٧) سورة الأنعام ١١	(٨) سورة النمل ٦٩
(٩) سورة الأعراف ٨٢	(١٠) سورة الأعراف ١٢٣
(١١) سورة طه ٧١	(١٢) سورة الرعد ٢
(١٣) سورة لقمان ٢٩	(١٤) سورة الكهف ٥٧
(١٥) سورة السجدة ٢٢	(١٦) سورة طه ١٢٨
(١٧) سورة السجدة ٢٦	

في القصص : ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(١) ، وفي الشورى : ﴿فَمَا أَوْتِيتُمْ﴾ ^(٢) بالفاء .
 في الطور : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ^(٣) ، و ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ^(٤) ،
 بالواو فيهما ؛ وفي الصافات : [﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ^(٥) ، وفي القلم : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ﴾ ^(٦) ، بالفاء فيهما] ^(٧) كما أن : ﴿وَبُئْسَ الْقَرَارُ﴾ ^(٨) ، و ﴿وَيَذَّبَحُونَ﴾ ^(٩) بالواو
 فيهما ، في إبراهيم .

في الأعراف : ﴿سُعْنَاءَ لَبِئْسَ مَيِّتٍ﴾ ^(١٠) ، [وفي فاطر ^(١١) : ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾] ^(١٢) .

السابع : إبدال كلمة بأخرى :

في البقرة : ﴿مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ^(١٣) ، وفي لقمان : ﴿وَجَدْنَا﴾ ^(١٤) .
 في البقرة : ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ ^(١٥) ، وفي الأعراف : ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ ^(١٦) .
 في البقرة : ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ^(١٧) ، وفي الأعراف : ﴿فَوْسوسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ ^(١٨) .
 في آل عمران : ﴿قَالَتْ : رَبِّ أُنْثَىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ ^(١٩) ، وفي مريم : ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ
 لِي غُلَامٌ﴾ ^(٢٠) ، لأنه تقدم ذكره في ﴿لَا هَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ^(٢١) .

(١) سورة القصص ٦٠

(٢) سورة الشورى ٣٦ (٣) سورة الطور ٢٥

(٤) سورة الطور ٤٨ (٥) سورة الصافات ٥٠

(٦) سورة القلم ٤٨ (٧) ما بين العلامتين ساقط من الأصول ؛ وهي زيادة يقتضيها السياق .

(٨) سورة إبراهيم ٢٩ (٩) سورة إبراهيم ٦

(١٠) سورة الأعراف ٥٧ (١١) آية ٣٥

(١٢) سورة البقرة ١٧٠ (١٣) سورة لقمان ٢١

(١٤) سورة البقرة ٦٠ (١٥) سورة الأعراف ١٦٠

(١٦) سورة البقرة ٣٦ (١٧) سورة الأعراف ٢٠

(١٨) سورة آل عمران ٤٧ (١٩) سورة مريم ٢٠

(٢٠) سورة مريم ١٩

في النساء : ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَوْهُ﴾^(١) ، وفي الأحزاب : ﴿شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ﴾^(٢) .
في الأنعام : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٣) ، والثاني
﴿يُخْرِجُ﴾ بالفعل^(٤) .

في الكهف : ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾^(٥) ، وفي حم : ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ﴾^(٦) .
في طه : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾^(٧) ، وفي النمل : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾^(٨) .

في طه : ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾^(٩) ، وفي الزخرف : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا﴾^(١٠) .

في الأنبياء : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١١) ، وفي الشعراء : ﴿من
الرحمن﴾^(١٢) .

في النمل : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾^(١٣) ، وفي الزمر : ﴿فَصَبَقَ﴾^(١٤) .
في الأحزاب ، في أولها : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾^(١٥) ، وفيها : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١٦)
بعد ﴿وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^(١٧) .

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١٧) بعد ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٧) ، و﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١٨) بعد
﴿يُؤْذِنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١٨) .

(١) سورة النساء ١٤٩

(٢) سورة الأحزاب ٥٤

(٣) سورة الأنعام ٩٥

(٤) سورة يونس ٣١

(٥) سورة الكهف ٣٦

(٦) سورة فصلت ٥٠

(٧) سورة طه ١١

(٨) سورة النمل ٨

(٩) سورة طه ٥٣

(١٠) سورة الزخرف ١٠

(١١) سورة الشعراء ٨

(١٢) سورة الأنبياء ٢

(١٣) سورة الزمر ٢٨

(١٤) سورة الأحزاب ٩

(١٥) سورة الأحزاب ٨

(١٦) سورة الأحزاب ٨

(١٧) سورة الأحزاب ٨

(١٨) سورة الأحزاب ٨

﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾^(١) [بعد ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(٢)، و﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾^(٣).
بعد : ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾^(٤)] .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾^(٥) موضعان في الأحزاب ، [وفي سورة غافر :
﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾^(٦)] .

وفي البقرة : ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧) ، وفي النحل : ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٨)
في موضعين .

في المائدة : ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ﴾^(٩) ، وبالنون في الكهف^(١٠) .

الثامن : الإدغام وتركه .

في النساء والأنفال : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾^(١١) ، وفي الحشر بالإدغام^(١٢) .

في الأنعام : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^(١٣) وفي الأعراف : ﴿يَضَرَّعُونَ﴾^(١٤) .

(١) سورة الأحزاب ٤٤ (٢) سورة الأحزاب ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٦٢، ٣٨ (٤) سورة غافر ٨٥

(٥) سورة البقرة ٩٧ (٦) سورة النحل ٨٩ ، ١٠٢

(٧) سورة المائدة ٦٠ (٨) سورة الكهف ١٠٣

(٩) سورة النساء ١١٥ ، والأنفال ١٣ : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(١٠) سورة الحشر ٤ (١١) سورة الأنعام ٤٢

(١٢) سورة الأعراف ٩٤ .

الفصل الثاني

ما جاء على حرفين

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في القرآن ، اثنان في البقرة ^(١) .
- ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، اثنان في يونس والنمل ^(٢) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة وفي آل عمران ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٣) ؛ وأما ﴿ والله غفورٌ حلیمٌ ﴾ ^(٤) فواحد في البقرة . وكذلك فيها : ﴿ غَفَىٰ حَلِيمٌ ﴾ ^(٥) ، وليس غيره .
- ﴿ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ ، حرفان ، في الزخرف وفي الذاريات ^(٦) .
- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ، اثنان في قصة نوح ، في هود والمؤمنون ^(٧) ؛ في السورتين بالفاء .
- و ﴿ عَذَابٌ يَوْمَ الْيَمِّ ﴾ اثنان ، في هود والزخرف ^(٨) .
- ﴿ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ اثنان في العنكبوت ^(٩) وسبأ ، وأما الذي في القصص ^(١٠) فهو ﴿ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن ﴾ ، وباقي القرآن ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ ^(١١) فقط .

(١) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٦٦

(٢) سورة يونس ٦٠ ، النمل ٧٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ ، آل عمران ١٥٥

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ (٥) سورة البقرة ٢٦٣

(٦) سورة الزخرف ٨٤ ، الذاريات ٣٠

(٧) سورة هود ٢٧ ، المؤمنون ٢٤

(٨) سورة هود ٢٦ ، الزخرف ٦٥ (٩) سورة العنكبوت ٦٢ ، سبأ ٣٩

(١٠) سورة القصص ٨٢

(١١) سورة الرعد ٢٦ ، الإسراء ٣٠ ، الروم ٣٧ ، سبأ ٣٦ ، الثوري ١٢

﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ ، حرفان : في يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾^(١) ، وفي القصص ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبِطِشَ ﴾^(٢) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى ﴾ بالواو ، حرفان في الأنعام^(٣) . وفي يونس^(٤) ﴿ قَمِنَ أَظْلَمُ ﴾ بالفاء .

﴿ أَعْرَضَ ﴾ حرفان في الكهف وفي السجدة ؛ إلا أن الأول ﴿ فَأَعْرَضَ ﴾^(٥) والثاني ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾^(٦) .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ من غير تكرار « الطاعة » : حرفان ، وهما في آل عمران : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾^(٧) ، و ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٨) .

﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ بغير تاء التانيث ، حرفان ، وهما في آل عمران^(٩) .

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، حرفان ، في آل عمران ، وفي الأنفال^(١٠) .

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ بالفاء ، حرفان في آل عمران ، وفي الأنعام^(١١) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ ﴾ حرفان ، وهما في الأنعام^(١٢) .

﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ حرفان ، في التوبة وفي المنافقين^(١٣) .

(١) سورة يوسف ٩٦ (٢) سورة القصص ١٩

(٣) سورة الأنعام ٢١ ، ٩٣ ؛ كذا ذكره المؤلف ؛ وقد ورد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

افترى على الله كذباً ﴾ في هود ١٨ ، والعنكبوت ٦٨ ، والصف ٧ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افترى

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (٤) يونس ١٧ ؛ وفي الأصول « هود » خطأ .

(٥) سورة الكهف ٥٧ (٦) سورة السجدة ٢٢

(٧) سورة آل عمران ٣٢ (٨) سورة آل عمران ١٣٢

(٩) سورة آل عمران ٨٦ ، ١٠٥

(١٠) سورة آل عمران ٩٢ ، الأنفال ٦٠

(١١) سورة آل عمران ١٨٤ ، الأنعام ١٤٧

(١٢) سورة الأنعام ٤٠ ، ٤٧

(١٣) سورة التوبة ٢٤ ، ٨٠ ، والمنافقون ٦

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، بزيادة اللام ، حرفان [في الحج] .^(١) ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ حرفان^(٢) في هود^(٣) في قصة صالح وشعيب . قال بعض المشايخ : ما كان فيه « الصيحة » فهو ﴿دِيَارِهِمْ﴾^(٤) على الجمع ، وما كان فيه « الرجفة » فهو ﴿دارهم﴾^(٥) بالتوحيد .

﴿وَمَا كَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٦) بتكرير « من » حرفان ، هما في هود .
 ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ، حرفان ، في العنكبوت والزمر^(٧) .
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ بلفظ التوحيد ، حرفان في الحجر والعنكبوت^(٨) .
 ﴿تَبِعَ﴾ بإسقاط الألف حرفان ، في البقرة وآل عمران^(٩) .
 ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، حرفان في الفرقان ، وفي آل السجدة^(١٠) .
 ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ حرفان ، في لقمان وحمل عسق^(١١) .

(١) ما بين العلامتين زيادة يقتضيها السياق ؛ والآيتان في الحج ٤٠ ، ٧٤

(٢) سورة هود ٦٧ ، ٩٤

(٣) ومي في آيتي هود السابقتين : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

(٤) كما في الأعراف ٧٨ ، ٩١ والعنكبوت ٣٧ : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَاثِمِينَ﴾ .

(٥) سورة هود ٢٠ ، ١١٣

(٦) سورة العنكبوت ٦٨ ، الزمر ٣٢

(٧) سورة الحجر ٧٧ ، العنكبوت ٤٤

(٨) سورة البقرة ٣٨ : ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

آل عمران ٧٣ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَا نَزَّلْنَا بِتَبَعٍ دِينَكُمْ﴾ .

(٩) سورة الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤

(١٠) سورة لقمان ٢٩ ، الشورى ١٤

- « اللهو » قبل « اللعب » حرفان ، في الأعراف والعنكبوت ^(١) .
- ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ ﴾ بالواو ، حرفان في الأعراف وآم السجدة ^(٢) .
- ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ حرفان ، في النحل ، والعنكبوت ^(٣) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ بزيادة « من » حرفان ، في آل عمران والنور ^(٤) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ بغير « من » ، حرفان ، في البقرة والنساء ^(٥) .
- ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ حرفان ، في آل عمران وفي الحديد ^(٦) .
- ﴿ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ في الزمر وحم عسق ^(٧) .
- ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ إخباراً عن الجماعة الغيب ، حرفان في الأعراف وسبا ^(٨) .
- ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بالرفع ، في البقرة ﴿ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ^(٩) ، وفي النحل : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءُ ﴾ ^(١٠) .

-
- (١) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ ، العنكبوت : ٦٤
- ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .
- (٢) سورة الأعراف ١٠٠ ، السجدة ٢٦
- (٣) سورة النحل ٢٧ ، العنكبوت ٢٥ ؛ وفي الأصول « الأخزاب والفتح » خطأ
- (٤) سورة آل عمران ٨٩ ، النور ٥ (٥) سورة البقرة ١٦٠ ، النساء ١٤٦
- (٦) سورة آل عمران ١٨٠ ، الحديد ١٠
- (٧) سورة الزمر ٦٣ ، الشورى ١٢ . وفي الأصول : « المؤمن » خطأ
- (٨) سورة الأعراف ١٤٧ ، سبا ٣٣
- (٩) سورة البقرة ١٥٤ (١٠) سورة النحل ٢١

الفصل الثالث

ما جاء على ثلاثة أحرف

- ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ثلاثة في القرآن ، في الروم وفاطر والمؤمن ^(١) .
 ﴿ فَنجِّنَاهُ ﴾ بالفاء ، في يونس والأنبياء والشعراء ^(٢) .
 ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ثلاثة في الأعراف والنمل والحقاقة ^(٣) .
 ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ اثنان في الأعراف ، والثالث في الأنفال ^(٤) .
 ﴿ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ بتاءين متكررتين ؛ ثلاثة ، في الأنعام وآل السجدة والمؤمن ^(٥) .
 ﴿ وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ في البقرة وآل عمران وإبراهيم ^(٦) .
 ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ، في النساء والتوبة والصف ^(٧) .
 ﴿ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ بزيادة الباء في أول البقرة ؛ وفي النساء والتوبة ولكن هوفيها بالنفي ^(٨) .
 ﴿ وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ﴾ ، في البقرة وفي المائدة وفي الصف ^(٩) .
 ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ في البقرة اثنان ؛ والثالث في التين والزيتون ؛ إلا أنه ياسقاط
 الماء والميم ^(١٠) .

(١) سورة الروم ٩ ، فاطر ٤٤ ، غافر (المؤمن) ٢١

(٢) سورة يونس ٧٣ ، الأنبياء ٧٦ ، الشعراء ١٧٠

(٣) سورة الأعراف ٣٠ ، النمل ٦٢ ، الحقاقة ٤٢

(٤) سورة الأعراف ٢٦ ، و ١٣٠ ، الأنفال ٥٧

(٥) سورة الأنعام ٨٠ ، السجدة ٤ ، غافر ٥٨

(٦) سورة البقرة ٢٦٩ ، آل عمران ٧ ، والذي في إبراهيم ٥٢ . ﴿ وَلَيَذَكِّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

(٧) سورة النساء ٩٥ ، التوبة ٢٠ ، والذي في الصف ١١ : ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ .

(٨) سورة البقرة ٨ ، النساء ٣٨ ، التوبة ٢٩ (٩) سورة البقرة ٥٤ ، المائدة ٢٠ ، الصف ٥

(١٠) سورة البقرة ٦٢ ، ٢٧٤ ، التين ١٠

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، في هود والرعد والمؤمن ^(١) .
 ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، في البقرة ويوسف والمؤمن ^(٢) .
 ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَاْفِرُونَ ﴾ في هود ويوسف والسجدة ^(٣) .
 ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ بزيادة « من » ، في الأنعام ، وص ، وآلَم
 السَّجْدَةِ ؛ لَكِنْ بلفظ ﴿ من القرون ﴾ ^(٤) .
 ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ بالواو في الحجر والشعراء وص ^(٥) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، في المائدة والنور والحشر ^(٦) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، في آل عمران والمائدة ولقمان ^(٧) .
 ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ ، في الأعراف والفرقان وآلَم السجدة ^(٨) .
 ﴿ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ بزيادة « من » ، في إبراهيم والأحقاف ونوح ^(٩) .
 ﴿ مِثْنَاتٍ ﴾ في النور اثنان ، والثالث في الطلاق ^(١٠) .
 ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ ﴾ في الرعد اثنان ، والثالث في يونس ^(١١) .
 ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ في الرعد والنحل وفاطر ^(١٢) .
 ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ في الروم ^(١٣) والتوبة ^(١٤) والعنكبوت ^(١٥) ، [لَكِنْ بِالْوَاوِ]

- (١) سورة هود ١٧ ، الرعد ١ ، غافر ٥٩ (٢) سورة البقرة ٢٤٣ ، يوسف ٢٨ ، غافر ٦١
 (٣) سورة هود ١٩ ، يوسف ٣٧ ، السجدة ٧ (٤) سورة الأنعام ٦ ، ص ٣ ، السجدة ٢٦
 (٥) سورة الحجر ٣٠ ، الشعراء ٩٥ ، ص ٧٣ (٦) سورة المائدة ٨ ، النور ٥٣ ، الحشر ١٨
 (٧) سورة آل عمران ١١٩ ، المائدة ٧ ، لقمان ٢٣
 (٨) سورة الأعراف ١٧٦ ، الفرقان ٥١ ، السجدة ١٣
 (٩) سورة إبراهيم ١٠ ، الأحقاف ٣١ ، نوح ٤
 (١٠) سورة النور ٣٤ ، ٤٦ ، الطلاق ١١ (١١) سورة الرعد ٧ ، ٢٧ ، يونس ٢٠
 (١٢) سورة الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، فاطر ٣٣

(١٣) الروم ٩ ، وفي الأصول : « آل عمران » خطأ ، وآية فيها : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

﴿ لَعَلِّي ﴾ في الحج وسبأ ونون ^(١) .

﴿ في السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ في سبأ اثنان ، وفي آخر فاطر ^(٢) .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ بواو ، في البقرة والحجروص ^(٣) .

﴿ وَنَزَّلْنَا ﴾ ثلاثة أحرف ، في طه والنحل وقـ ^(٤) ، والباقي ﴿ وَأَنْزَلْنَا ﴾ .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ في المائدة ويونس والتغابن ^(٥) .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في النحل والنمل ويس ^(٦) .

﴿ أمواتا ﴾ بالنصب ؛ في البقرة : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ ، وآل عمران ، ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أمواتا ﴾ ، وفي الرسائل ﴿ أحياء وأمواتا ﴾ ^(٧) .

﴿ أَجَلًا ﴾ بالنصب ، في الأنعام وبنى إسرائيل والمؤمن ^(٨) .

﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا ﴾ بغير ذكر « العظام » في الرعد والنمل وقـ ^(٩) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ في الرعد والروم والمؤمن ^(١٠) .

(١) سورة الحج ٦٧ : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، سبأ ٢٤ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، ن (القلم) ٤ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(٢) سورة سبأ ٣ ، ٢٢ ، فاطر ٤٤ (٣) سورة البقرة ٣٠ ، الحجر ٢٨ ، ص ٧١

(٤) سورة طه ٨٠ ، النحل ٨٩ ، ق ٩ (٥) سورة المائدة ٢٩٢ ، يونس ٩٢ ، التغابن ١٢

(٦) سورة النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، يس ٣١

(٧) سورة البقرة ٢٨ ، آل عمران ١٦٩ ، الرسائل ٢٦

(٨) سورة الأنعام ٢ ، الإسراء ٩٩ ، المؤمن ٦٧ (٩) سورة الرعد ٥ ، النمل ٦٧ ، ق ٣٠

(١٠) سورة الرعد ٣٨ ، الروم ٤٧ ، المؤمن ٧٨

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، بتكرير ﴿مَنْ﴾ في يونس والحج والنمل والزمر ^(١) .

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ، في المائدة اثنان ، في ص وآخر الزخرف ^(٢) .
﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بإسقاط « من » في بني إسرائيل والأنبياء والفرقان وسبأ ^(٣) .
﴿أَهْوَاءٍ﴾ بألف قبل الهاء ^(٤) ، في المائدة والأنعام والأعراف وسبأ ^(٥) .

﴿مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ في الأنعام والأعراف ويونس والكهف ^(٦) ؛ وأما ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ ^(٧) فوضع واحد في براءة .

﴿أَوْ أَنْ﴾ بهزمة قبل الواو. في هود : ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ﴾ ، وفي بني إسرائيل ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ ، وفي طه ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ، وفي المؤمن : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ^(٨) .

(١) سورة يونس ٦٦ ، الحج ١٨ ، النمل ٨٧ ، الزمر ٦٨

(٢) سورة المائدة ١٧ ، ١٨ ، ص ١٠ ، الزخرف ٧٥

(٣) سورة الإسراء ٧٧ ، الأنبياء ٧ ، الفرقان ٢٠ ، وفي سبأ ٤٤ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ

قَبْلَكَ﴾ .

(٤) ت : « بألف قبل الهاء »

(٥) سورة المائدة ٥٣ ، الأنعام ٥٣ ، الأعراف ٤٩ ، سبأ ٤٠

(٦) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ٤٣ ، يونس ٩ ، الكهف ٣١

(٧) سورة التوبة ١٠٠

(٨) سورة هود ٨٧ ، الإسراء ٥٤ ، طه ٤٥ ، المؤمن ٢٦

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ في النساء اثنتان ، وفي الأحزاب ، والإنسان ^(١)
 ﴿ آبَاؤُهُم ﴾ بالرفع ، في البقرة : ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً ﴾ .
 [وفي المائدة : ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ . وفي هود : ﴿ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاؤُهُمْ ﴾ ، وفي يس : ﴿ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ ^(٢)] .
 ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في الأعراف ، وفي يونس اثنتان منها ، وفي الحج ^(٣) :
 ﴿ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الأعراف ^(٤) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، في المائدة والأنعام والقصص والأحقاف ^(٥) .
 ﴿ مَبَارَكَا ﴾ بالنصب ، في آل عمران ومريم والمؤمنين وفي ^(٦) .
 ﴿ مَبَارَكٌ ﴾ بالرفع ، في الأنعام اثنتان ، وفي الأنبياء وص ^(٧) .
 ﴿ مَا كَسَبَتْ ﴾ بحذف الباء من أوله ، في البقرة وآل عمران اثنتان ، وفي إبراهيم ^(٨) .
 ﴿ مِنْ ذِكْرِ أَوْ أُنْتَى ﴾ بإثبات الهمزة قبل الواو ، في آل عمران والنساء والنحل
 وغافر ^(٩) .
 ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في الأنعام والأعراف والنمل ويس ^(١٠) .

(١) سورة النساء ١٦ ، ٢٤ ، الأحزاب ١ ، الإنسان ٣٠

(٢) سورة البقرة ١٧١ ، المائدة ١٠٤ ، هود ١٠٩ ، يس ٦

(٣) سورة الأعراف ١٥٨ ، يونس ١٠٤ ، ١٠٨ ، الحج ٤٩

(٤) سورة الأنعام ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، الأعراف ٥٨

(٥) سورة المائدة ٥١ ، الأنعام ١٤٤ ، القصص ٥٠ ، الأحقاف ١٠

(٦) سورة آل عمران ٩٦ ، مريم ٣١ ، المؤمنون ٢٩ ، ق ٩

(٧) سورة الأنعام ٩٢ ، ١٥٥ ، الأنبياء ٥٠ ، ص ٢٩

(٨) سورة البقرة ١٣٤ ، آل عمران ٢٥ ، ٦١ ، إبراهيم ٥١

(٩) سورة آل عمران ١٩٥ ، النساء ١١ ، النحل ٩٧ ، غافر ٤٠

(١٠) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ١٤٨ ، النمل ٨٦ ، يس ٣١

﴿وَلَبِئْسَ﴾ في البقرة اثنان ، ﴿وَلَبِئْسَ مَشْرُوبًا بِهِ﴾ ، و﴿وَلَبِئْسَ الْمَهَاد﴾ .
 وفي الحج : ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ وفي النور : ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١) . وأما ﴿فَلَبِئْسَ﴾
 بالفاء ، فموضع واحد في النحل : ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢) .
 ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع ، في النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف^(٣) .
 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ في يوسف ، وفي الحج ، وفي المؤمن ، وفي القتال^(٤) .
 ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في الأنعام : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾^(٥) وليس
 في القرآن «ثُمَّ» غيره ، وفي النمل : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ، وكذا في العنكبوت
 والروم^(٦) .

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بالفاء بعد الميمزة ، في مريم ، والشعراء ، والجاثية ، والنجم^(٧) . الثَّعْبُ
 قبل اللّهُو ، في الأنعام اثنان^(٨) ، وفي القتال^(٩) ، والحديد^(١٠) .
 ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بلفظ الجمع ، في البقرة ، والرعد ، والروم ، والنحل^(١١) .

(١) سورة البقرة ١٠٢ ، ٢٠٦ ، الحج ١٣ ، النور ٥٧

(٢) سورة النحل ٢٩

(٣) سورة النساء ٦٦ ، التوبة ٢٨ ، هود ٤٠ ، الكهف ٢٢

(٤) سورة يوسف ١٠٩ ، الحج ٤٦ ، المؤمن ٨٢ ، القتال ١٠

(٥) سورة الأنعام ١١ (٦) سورة النمل ٦٩ ، العنكبوت ٢٠ ، الروم ٤٢

(٧) سورة مريم ٧٧ ، الشعراء ٢٠٥ ، الجاثية ٢٣ ، النجم ٣٣

(٨) سورة الأنعام ٢٣ : ﴿وَمَا أَحْيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ ، ٧٠ : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ .

(٩) القتال ٣٦ : ﴿إِنَّمَا أَحْيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ .

(١٠) الحديد ٢٠ : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا أَحْيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ .

(١١) سورة البقرة ١٦٤ ، الرعد ٤ ، الروم ٢٤ ، النحل ١٢

الفصل الخامس

ما جاء على خمسة حروف

- ﴿ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الحجر ، والخامس في النمل ^(١) .
﴿ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ في الأنفال اثنان ، وفي الحج ، والنور ، وسبأ ^(٢) .
الأرض قبل السماء ، في آل عمران ^(٣) ، ويونس ^(٤) ، وإبراهيم ، وطه ^(٥) ،
والعنكبوت ^(٦) .
﴿ لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ بلفظ الجمع ، في الرعد ، والروم ، والزمر ، والجنات ^(٨) ،
وبلفظ التوحيد في النحل ^(٩) .
﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بتكرير الطاعة ، في النساء ، والمائدة ، والنور ،
والقتال ، والتغابن ^(١٠) .

(١) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، الحجر ٢٥ ، النمل ٦

(٢) سورة الأهل ٤ ، ٧٤ . الحج ٥٠ ، النور ٢٦ . سبأ أربعة . وفي الأصول : « آل عمران والأحقاف والأنعام » وهو خطأ .

(٣) سورة آل عمران ٥ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٤) سورة يونس ٦١ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٥) سورة إبراهيم ٣٨ : ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٦) سورة طه ٤ : ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٢٢ : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٨) سورة الرعد ٣ ، الروم ٢١ ، الزمر ٤٢ ، الجنات ١٣ .

(٩) النحل ١١ ، ٦٩ .

(١٠) سورة النساء ٥٩ ، المائدة ٩٢ ، النور ٥٤ ، القتال ٣٣ ، التغابن ١٢ .

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها حرفان بالواو : في التوبة ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(١) وكذلك في المؤمن ، والباقي بلا واو ^(٢) : في يونس ، والدخان ، والحديد .

الفَصْلُ السَّادِسُ

ما جاء على ستة حروف

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ : في الأنعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت والروم ، والزمر ^(٣) .

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها بواو ، واحد في النساء : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(٤) وفي المائدة : ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، ومثله في التوبة (موضعان) ، والصف والتغابن ^(٥) .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ بالفاء ، في الأنعام (موضعان) ، والأعراف ، ويونس ، والكهف ، والزمر ^(٦) .
﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ بالواو ، (ثلاثة) في البقرة ، وبنى إسرائيل ، والكهف ، وطه ^(٧) .
﴿فَبَشِّرْ﴾ بالفاء : في ص (اثنان) ، وفي الزمر ، وفي غافر ، والزخرف ، والمجادلة ^(٨) .

(١) سورة التوبة ١١١ ، المؤمن ٩ .

(٢) سورة يونس ٦٤ ، الدخان ٥٧ ، الحديد ١٢ .

(٣) سورة الأنعام ٩٩ ، النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، العنكبوت ٢٤ ، الروم ٣٧ ، الزمر ٥٢ .

(٤) سورة النساء ١٣ .

(٥) سورة المائدة ١١٩ . التوبة ٨٩ ، ١٠٠ . الصف ١٢ . التغابن ٩ .

(٦) سورة الأنعام ١٤٤ ، ١٥٧ . الأعراف ٣٧ . يونس ١٧ . الكهف ١٥ . الزمر ٣٢ .

(٧) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ . الإسراء ٨٥ . الكهف ٨٣ . طه ١٠٥ .

(٨) سورة ص ٥٦ ، ٦٠ . الزمر ٧٢ . غافر ٧٦ . الزخرف ٣٨ . المجادلة ٨ .

﴿نَزَّلْنَا﴾ بنير واو، في البقرة، والنساء، والأنعام (موضعان)، والحجر، والإنسان^(١).
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في آل عمران ثلاثة، وفي المائدة ثلاثة^(٢).

الفَصْلُ السَّابِعُ

مآجاء على سبعة حروف

﴿لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في البقرة، وإبراهيم، والقصص، (ثلاثة مواضع)، والزمر^(٣)
والدخان^(٤).

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في مريم، والشعراء، والصفات، وص (موضعان)
والزخرف والدخان^(٥).

«المرأة» مكتوبة بالتاء في سبعة مواضع؛ في آل عمران^(٦)، وفي يوسف (موضعان)
﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾^(٧)، وفي القصص ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾^(٨)، وفي التحريم (ثلاثة
مواضع)^(٩).

(١) سورة البقرة ٢٣ . النساء ٤٧ . الأنعام ٧ ، ١١١ . الحجر ٩ . الإنسان ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ٦٤ ، ٩٨ ، ٩٩ . المائدة ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧ .

(٣) في الأصول : « المؤمن » تصحيف .

(٤) سورة البقرة ٢٢١ ، إبراهيم ٢٥ ، القصص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، الزمر ٢٧ ، الدخان ٥٨ .

(٥) سورة مريم ٦٥ ، الشعراء ٢٤ ، الصفات ٥ ، ص ١٠ ، ٦٦ ، الزخرف ٨٥ ، الدخان ٧ .

(٦) سورة آل عمران ٣٥ ﴿أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ .

(٧) سورة يوسف ٣٠ ، ٥١ .

(٨) سورة القصص ٩ .

(٩) سورة التحريم ١٠ ﴿أَمْرَأَتُ نُوحٍ﴾ ، ﴿وَأَمْرَأَتُ لُوطٍ﴾ ، ١١ ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ .

الفَصْلُ الثَّامِنُ

ما جاء على ثمانية حروف

النفع قبل الضر في الأنعام^(١)، والأعراف^(٢)، ويونس^(٣)، والرعد^(٤)، والأنبياء^(٥)، والفرقان^(٦)، والشعراء^(٧)، وسبأ^(٨).

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بناء في الرعد، وطه، والملائكة، وصي [والزمر]، والمؤمن [والتازعات والفجر]^(٩).

الفَصْلُ التَّاسِعُ

ما جاء على تسعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بغير تكرار «مَنْ» في آل عمران، والرعد، وفي بني إسرائيل، ومريم، والأنبياء، والنور، والنمل، والروم، والرحمن^(١٠).

- (١) سورة الأنعام ٧١ : ﴿قُلْ أَتَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ .
- (٢) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ .
- (٣) سورة يونس ١٠٦ : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ .
- (٤) سورة الرعد ١٦ : ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ .
- (٥) سورة الأنبياء ٦٦ : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ .
- (٦) سورة الفرقان ٥٥ : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ .
- (٧) سورة الشعراء ٧٣ : ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ .
- (٨) سورة سبأ ٤٢ : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ .

(٩) سورة الرعد ١٩ . طه ٤٤ . فاطر ٣٧ . ص ٢٩ . الزمر ٩ . المؤمن ١٣ . التازعات ٣٥ . الفجر ٢٣ .
(١٠) سورة آل عمران ٨٣ . الرعد ١٦ . الإسراء ٥٥ . مريم ٩٣ . الأنبياء ١٩ . النور ٤١ . النمل ٦٥ . الروم ٢٦ . الرحمن ٢٩ .

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم . في الأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، ويونس ، والقصص (موضعان) ، [والزمر] . والذي في الدخان والطور ^(١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالياء ، من غير نون بعد الكاف : في الأنفال ، والتوبة ، والنحل ، ومريم ، والمؤمن (موضعان) . وفي المدثر (موضعان) بالنون في أوله ، وفي القيامة ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً﴾ ^(٢) .

الفصل العاشر

ما جاء على عشرة أحرف

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو : في هود ويوسف ^(٣) ، وفي غيرها بالفاء : في هود ^(٤) أربعة أحرف وفي يوسف ^(٥) ستة .

﴿أَنْ لَا﴾ تكتب في المصحف بالنون منفصلة عشرة : في الأعراف موضعان ، والتوبة ، وفي هود موضعان ، والحج ، ويس ، والدخان ، والممتحنة ، والقلم ^(٦) .

(١) سورة الأنعام ٣٧ ، الأعراف ١٣١ ، الأنفال ٣٤ ، يونس ٥٥ ، القصص ١٣ ، ٥٧ ، والزمر ٤٩ الدخان ٣٩ ، الطور ٤٧ .

(٢) سورة الأنفال ٥٣ ، التوبة ٧٤ ، النحل ١٢٠ ، مريم ٦٧ ، المؤمن ٢٨ ، ٨٥ . المدثر ٤٣ ، ٤٤ القيامة ٣٧ .

(٣) ﴿وَلَمَّا﴾ في هود ، في ثلاث آيات : ٥٨ ، ٧٧ ، ٩٤ ، وفي يوسف : ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٤ .

(٤) الآيات : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢ .

(٥) الآيات : ١٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٦ ، تسعة مواضع .

(٦) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩ . التوبة ١١٨ ، هود ١٤ ، ٢٦ ، الحج ٢٦ ، يس ٦٠ ، الدخان ١٩ الممتحنة ١٢ ، القلم ٢٤ .

الفصل الحادي عشر

ما جاء على أحد عشر حرفاً

أحد عشر ﴿ جَنَاتٍ عَذْنٍ ﴾ : في التوبة ، والرعد ، والنحل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والملائكة ، وص ، والمؤمن ، والصف ، ولم يكن ^(١) .

﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : في البقرة ، والنساء ، والأنعام ، ويونس ، والنحل ، والنور ، والعنكبوت ، ولقمان ، والحديد ، والحشر ، والتغابن ^(٢) .

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ في النساء ثلاثة مواضع ، والمائدة ، والتوبة (موضعان) . والأحزاب ، والتغابن ، والطلاق ، والجن والبرية ^(٣) .

﴿ وَتِلْكَ ﴾ بالواو ، في البقرة ، وآل عمران ، والأنعام ، وهود ، والكهف ، والشعراء ، والعنكبوت ، والزخرف ، والمجادلة ، والحشر ، والطلاق ^(٤) .

﴿ نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ كتبت بالتاء في أحد عشر موضعاً : في البقرة ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ، وفي آل عمران ، والمائدة ، وإبراهيم (موضعان) ، والنحل (ثلاثة مواضع) ، ولقمان ^(٥) ، وقاطر ، والطور .

(١) سورة التوبة ٧٢ ، الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، الكهف ٣١ ، مريم ٦١ ، طه ٧٦ ، قاطر ٢٣ ، ص ٥٠ ، غافر ٨ ، الصف ١٢ ، البينة ٨ .

(٢) سورة البقرة ١١٦ ، النساء ١٧٠ ، الأنعام ١٢ ، يونس ٥٥ ، النحل ٥٢ ، النور ٦٤ ، العنكبوت ٥٢ ، لقمان ٢٦ ، الحديد ١ ، الحشر ٢٤ ، التغابن ٤ .

(٣) سورة النساء ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٦٩ . المائدة ١١٩ ، التوبة ٢٢ ، ١٠٠ . الأحزاب ٦٥ ، التغابن ٩ ، الطلاق ١١ ، الجن ٢٣ ، البرية ٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٠ ، آل عمران ١٤٠ ، الأنعام ٨٣ ، هود ٥٩ ، الكهف ٥٩ . الشعراء ٢٢ ، العنكبوت ٤٣ ، الزخرف ٧٢ ، المجادلة ٤ ، الحشر ٢١ ، الطلاق ١ .

(٥) سورة البقرة ٢٣١ . آل عمران ١٠٣ . المائدة ١١ . إبراهيم ٢٨ ، ٣٤ . النحل ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ . لقمان ٣١ . قاطر ٣ . الطور ٢٩ .

- ﴿فِي مَا﴾ كتبت منفصلة في أحد عشر موضعا :
- في البقرة : ﴿فِي مَا قَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ ^(١) .
- وفي المائدة : ﴿لِيلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ^(٢) .
- وفي الأنعام : ﴿فِي مَا أَوْحَىٰ إِلَيْنَا﴾ ^(٣) . وفيها أيضا : ﴿لِيلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ^(٤) .
- وفي الأنبياء : ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ^(٥) .
- وفي النور : ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ ^(٦) .
- وفي الشعراء : ﴿أَتَتُرْكُونَ فِي مَا هَامَنَا آمِنِينَ﴾ ^(٧) .
- وفي الروم : ﴿شَرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ^(٨) .
- وفي الزمر : ﴿تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٩) .
- وفيها أيضا : ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا﴾ ^(١٠) .
- وفي الواقعة : ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(١١) .

(١) سورة البقرة ٢٣٤ (٢) سورة المائدة ٤٨

(٣) سورة الأنعام ١٤٥ (٤) سورة الأنعام ١٦٥

(٥) سورة الأنبياء ١٠٢ (٦) سورة النور ١٤

(٧) سورة الشعراء ١٤٦ (٨) سورة الروم ٢٨

(٩) سورة الزمر ٣ (١٠) سورة الزمر ٤٦

(١١) سورة الواقعة ٦٢

الفَصْلُ الثَّانِي عَشَرُ

ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ : ليس فيها « خالدين » في البقرة (موضعان) ،
وآل عمران ، والمائدة ، والرعد ، والنحل ، والحج (موضعان) ، والفرقان ، والزمر ، والقتال ،
والفتح ، والصف ، والتحريم ، والبروج ^(١) .

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، بالتوحيد في البقرة ، والأعراف ، ويونس ، والأنبياء ،
(موضعان) ، وفي الحج ، والنمل (موضعان) ، والروم ، وسبأ ، والملائكة ، وص ، والدخان ،
والذاريات ، والحديد ^(٢) .

الفَصْلُ الثَّالِثُ عَشَرُ

ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿ أَكْ ﴾ ، ﴿ نَكْ ﴾ ، و ﴿ يَكْ ﴾ ، و ﴿ تَكْ ﴾ بحروف المضارعة في أولها ، وبغير
نون في آخرها .

في النساء : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ﴾ ^(٣)

(١) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦٦ . آل عمران ١٩٥ . المائدة ١٢ . الرعد ٣٥ . النحل ٣١ . الحج ١٤

٢٣ . الفرقان ١٠ . الزمر ٢٠ . القتال ١٢ . الفتح ٥ . الصف ١٢ . التحريم ٨ ، البروج ١١ .

(٢) سورة البقرة ١٦٤ . الأعراف ٩٦ . يونس ٣١ . الأنبياء ١٦٠ ، ٤ . الحج ٧٠ . النمل ٦٤ ،

٧٥ . الروم ٢٥ . سبأ ٩ . فاطر ٣ . ص ٢٧ . الدخان ٢٩ . القاريات ٢٣ . الحديد ٢١ .

(٣) سورة النساء ٤٠ .

والأنفال : ﴿لَمْ يَكُ مُغَيَّرًا﴾^(١)

وفي التوبة : ﴿فَإِنْ يَتُوبَا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٢)

وفي هود موضعان : ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ هَؤُلَاءِ﴾ ، ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) .

وفي النحل موضعان : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾^(٤) .

وفي مزيم : ثلاثة مواضع^(٥) ، [وفي لقمان ، وغافر ، أربع مواضع]^(٦) ، وفي المدثر موضعان^(٧) ، وفي القيامة^(٨) .

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهاً

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(٩) على التوحيد : في البقرة ، وآل عمران ، وهود ، والحجر^(١٠) .

وفي النحل خمسة أحرف بالتوحيد . وفي الشعراء ثمانية . وفي النمل ، والعنكبوت ، وسبأ .

(١) سورة الأنفال ٥٣ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ . (٣) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ .

(٤) سور النحل ١٢٠ ، ١٢٧ .

(٥) سورة مريم ٩ : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ، ٢٠ : ﴿وَلَمْ أَكُ بَشِيئًا﴾ ، ٦٧ : ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ .

(٦) لقمان ١٦ ، غافر ١٦ ، ٢٨ ، (مرتين) ، ٥٠ ، ٨٥ .

(٧) سورة المدثر ٤٣ ، ٤٤ : ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ .

(٨) سورة القيامة ٣٧ : ﴿أَلَمْ يَكُ نَظْفَقَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ .

(٩) سورة البقرة ٢٤٨ . آل عمران ٤٩ . هود ١٠٣ . الحجر ٧٧ . النحل ١١ ، ١٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٦٩ . الشعراء ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ . النمل ٥٢ . العنكبوت

٤٤ . سبأ ٩ .

(١٠) في الأصول : «الحجرات» ؛ وهو خطأ .

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿ نزل ﴾ و ﴿ أنزل ﴾ .

في البقرة : ﴿ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ نَزَلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(١) .

وفي آل عمران : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٢) .

وفي النساء موضعان : ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) .

وفي الأنعام : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٥) .

وفي الأعراف موضعان : ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ^(٦) . ﴿ إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٧) .

وفي الحجر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ ^(٨) .

وفي النحل : ﴿ لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٩) .

وفي بني إسرائيل : ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ ^(١٠) .

وفي الفرقان ثلاثة مواضع : أولها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ، ﴿ لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١١) .

(١) سورة البقرة ١٧٦ (٢) سورة آل عمران ٣

(٣) سورة النساء ١٣٦ (٤) سورة النساء ١٤٠

(٥) سورة الأنعام ٣٧

(٦) سورة الأعراف ٧١

(٧) سورة الأعراف ١٩٦ (٨) سورة الحجر ٦

(٩) سورة النحل ٤٤ (١٠) سورة الإسراء ١٠٥

(١١) سورة الفرقان ١، ٢٥، ٢٢

- وفي الشعراء : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ ^(١) .
- وفي العنكبوت : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَىٰ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ ^(٢) ؛ وليس في القرآن ﴿ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بزيادة « مَنْ » غيره .
- وفي الصافات : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ ^(٣) .
- وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ ﴾ ^(٤) .
- وفي الزخرف موضعان : ﴿ لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ ^(٦) .
- وفي القتال موضعان : ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ . ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ ﴾ ^(٨) .
- وفي الحديد : ﴿ مَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ^(٩) .
- وفي تبارك : ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١٠)

(٢) سورة العنكبوت ٦٣

(٤) سورة الزمر ٢٣

(٦) سورة الزخرف ١١

(٨) سورة القتال ٢٦

(١٠) سورة الملك ٩

(١) سورة الشعراء ١٩٣

(٣) سورة الصافات ١٧٧

(٥) سورة الزخرف ٣١

(٧) سورة القتال ٢

(٩) سورة الحديد ١٦

النوع السادس علم المبهّمات

وقد صَنَفَ فيه أبو القاسم الشَّهَلِيّ^(١) كتابه المسمّى بالتعريف والإعلام^(٢)، وتلاه تلميذه ابنُ عساكر^(٣) في كتابه المسمّى بالتكميل والإتمام^(٤).

وهو المبهّمات المصنفة في علوم الحديث، وكان في السلف من يُعْنَى به. قال عكرمة: طلبتُ الذي خرج في بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدرّكه الموتُ أربع عشرة سنة. إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستناده بعلمه؛ كقوله: ﴿وآخرين من دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٥) والعجب من تجرأ وقال: قيل إنهم قُرَيْظَةٌ، وقيل: من الجن. وله أسباب:

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهلي؛ صاحب كتاب الروض الأثف على سيرة ابن هشام، ولد بمالقة سنة ٥٠٨، وتوفي بمراكش سنة ٥٨١. (وانظر ترجمته ومراجعتها في إنباه الرواة ٢: ١٦٢).

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون باسم: «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية.

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون؛ وقال: اسمه محمد بن علي بن الحضر الناصي المعروف بابن عساكر. ومن كتابه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مكتبة شهيد علي؛ ونسختان خطيتان أيضاً بدار الكتب المصرية.

(٤) ذكر صاحب كشف الظنون أن شيخ الإسلام القاضي بدر الدين بن جماعة جمع بينها في كتاب سماه: التبيان.

(٥) سورة الأَنْفَال ٦٠.

الأول : أن يكون أبهم في موضع استغناء ^(١) بيانه في آخر في سياق الآية ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٢) بينه بقوله : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ^(٣) الآية . وقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، بينه بقوله : ﴿ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٦) ؛ والمراد آدم ، والسياق بينه .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٧) ، والمراد بهم المهاجرون ، لقوله في الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ ^(٨) . وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ، أى تبعنا لنا - وإنما استحقها دونهم لأنه الصديق الأكبر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ^(٩) يعنى مريم وعيسى ، وقال ﴿ آيَةً ﴾ ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنها قضية واحدة ، وهى ولادتها له من غير ذكر .

والثانى أن يتعين لا شتباره ، كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ^(١٠) ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها .

(١) كذا في ت ، وفي م : « أن يكون المبهم في موضع استغنى بيانه في آخر » .

(٢) سورة الفاتحة ٢ (٣) سورة الاحقار ١٧

(٤) سورة الفاتحة ٧ (٥) سورة النساء ٦٩

(٦) سورة البقرة ٣٠ (٧) سورة التوبة ١١٩

(٨) سورة الحشر ٨

(٩) سورة المؤمنون ٥٠ (١٠) سورة البقرة ٣٥

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ^(١) ، والمراد الثمروذ لأنه المرسل إليه .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ ^(٢) ، والمراد العزيز .

وقوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، والمراد قابيل وهابيل .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٤) .

قالوا : وحينا جاء في القرآن : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فقائلها النضر بن الحارث بن كلدة ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ^(٥) . وقتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرا يوم بدر .

وقوله : ﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ ^(٦) ، فإنه ترجح كونه مسجد قباء ، بقوله : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ^(٦) لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحُدِّسَ هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت ؛ وكلاهما أُسِّسَ على هذا من أول يوم ، أى من أول عام من الهجرة ، وجاء في حديث ^(٧) تفسيره بمسجد المدينة . وجميع بينهما بأن كليهما مراد الآية .

الثالث : قصد الاستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا

(١) سورة البقرة ٢٥٨ (٢) سورة يوسف ٢١

(٣) سورة المائدة ٢٧ (٤) سورة الأنعام ٢٥

(٥) سورة الأنعام ٩٣

(٦) سورة التوبة ١٠٨

(٧) قتله ابن كثير عن أحد : حديثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فألاه فقال : « هو مسجدى هذا » . ورواه أيضا عن أحد من طريق آخر (وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

بلغه عن قوم شيء خطب فقال : « ما بال رجال قالوا كذا » ، وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ ^(١) ؛ قيل : هو مالك بن الصيِّف ^(٢) .

وقوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾ ^(٣) ، والمراد هو رافع بن حريملة ووهب بن زيد ^(٤) .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُمَجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٦) .

[وقوله :] ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ^(٧) .

(١) سورة البقرة ١٠٠ .

(٢) عن ابن إسحاق : قال مالك بن الصيِّف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه - : والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأُنزل الله فيه : ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا . . . ﴾ (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، وتفسير

القرطبي ٢ : ٤٠)

(٣) سورة البقرة ١٠٨ .

(٤) في ابن هشام ٢ : ١٧٤ . وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء تقرأه ، ونحرق لنا أنهارا تتبعك ونصدقك ، فأُنزل الله تعالى في ذلك

من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا . . . ﴾ ، ونقله ابن كثير في التفسير ١ : ١٥٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٠٤ ، قيل نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلا حلو القول والنظر ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال : الله يعلم أنني صادق ؛ ثم هرب بعد ذلك ، فر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر ، فأحرق الزرع وعقد الحجر . وقيل : نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع : عامر بن ثابت ، وخبيب وغيرهم ، وقالوا : وبع هؤلاء القوم لا هم قعدوا في بيوتهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم . فنزلت هذه الآية في صفات المنافقين . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١٥) .

(٦) سورة النساء ٤٤ . نزلت في رفاعة بن زيد بن النابوت ، من عطاء اليهود ؛ كان إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ؛ ثم ضع في الإسلام وعابه . (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٩) .

(٧) سورة آل عمران ٧٢ . نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيِّف وغيرهما ، قالوا للسفلة من قومهم : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار . (تفسير القرطبي ٤ : ١١) .

الرابع : ألا يكون في تعيينه كثير فائدة ؛ كقوله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(١) والمراد بها بيت المقدس .

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾^(٢) والمراد أيلة ، وقيل : طبرية .

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً﴾^(٣) والمراد نينوى .

﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾^(٤) قيل بركة .

فإن قيل ما الفائدة في قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٥) قيل : آزر اسم صنم ؛ وفي الكلام ، حذف أي دع آزر ؛ وقيل كلمة زجر ؛ وقيل : بل هو اسم أبيه ؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلق على الجد ، فقال « آزر » لرفع المجاز .

الخامس : التنبيه على التعميم ، وهو غير خاص بخلاف ما لو عيّن كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٦) ، قال عكرمة : أقت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته ، هو ضمرة بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم^(٧) .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٨) قيل نزات في عليّ ، كان معه أربع دوائق ، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سرا وآخر علانية .

(٢) سورة الأعراف ١٦٣

(٤) سورة الكهف ٧٧

(٧) التنعيم : موضع بمكة .

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٣) سورة يونس ٩٨

(٥) سورة الأنعام ٧٤

(٦) سورة النساء ١٠٠

(٨) سورة البقرة ٢٧٤

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ ^(١) ، قيل نزلت في عدي بن حاتم ، كان له كلاب [خمسة] ^(٢) قد ستمها [بأسماء] ^(٣) أعلام .

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) ، والمراد الصديق .
وكذلك ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾ ^(٥) يعني محمدا ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ^(٦) يعني أبا بكر - ودخل في الآية كل مصدق ، ولذلك قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٧) .

السابع : تحميره بالوصف الناقص ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ^(٩) والمراد فيها العاصي بن وائل .
وقوله : ﴿ إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ ^(١٠) والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .
وأما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ^(١١) فذكره هنالك للتنبيه على أن ما له للنار ذات اللهب .

تنبيهات

الأول : قد يكون للشخص اسمان ، فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكتة ،
فنه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(١٢) ولم يذكر في القرآن إلا

(١) سورة المائدة ٤

(٢) تكملة من تفسير القرطبي ٦ : ٦٦

(٣) نزلت في الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثانة بنزعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال في حديث الإفك . (وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٨ - ٢٧٦) .

(٤) سورة الزمر ٣٣ (٥) سورة النساء ٥٦

(٦) سورة الكوثر ٣ (٧) سورة الحجرات ٦

(٨) سورة اللهب ١١ (٩) سورة النقرة ٥٠ .

بهذا ، دون « يابني يعقوب » . وسرّه أن القوم لما خُوطبوا بعبادة الله ، وذُكِّروا بدين أسلافهم ؛ موعظة لهم ، وتنبيههم من غفلتهم ، ثمّوا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله ، فإن « إسرائيل » اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل ، ولهذا لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قوماً إلى الإسلام يقال لهم : « بنو عبد الله » ، قال : « يابني عبد الله ، إن الله قد حَسَنَ اسمَ أيكم » ، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه ^(١) اسمه من العبودية . ولما ذُكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال : يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة تُعقَّبُ أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى ^(٢) فقال : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٣) وإن كان ^(٤) اسم يعقوب عبرانياً ؛ لكن لفظه موافق للعربي ، من العقِب والتعقيب . فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فإنه من العجائب . وكذلك حيث ذكر الله نوحا سماه به ، واسمه عبد الغفار ، للتنبيه على كثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن عيسى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أُتْحَدُ ﴾ ^(٥) ، ولم يقل « محمد » ، لأنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد ، حمد ربه ، فنبأه وشرفه ، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به .

ومنه أن مدين هم أصحاب الأيكة ، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال : « أخاهم شعيباً » ^(٦) ، وحيث أخبر عن الأيكة ^(٧) لم يقل « أخوهم » . والحكمة فيه أنه لما

(١) م : « يقتضى » (٢) ساقطة من م

(٣) سورة هود ٧١ (٤) سورة الصف: ٦

(٥) الأعراف ٨٥ ، هود ٨٤ ، العنكبوت ٣٦ : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ .

(٦) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . الحجر ٧٨ : ﴿ وَإِنْ

كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَّالِمِينَ ﴾ ، ص ١٣ : ﴿ وَنَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ . ق ١٤ :

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

عرّفهم بالنسب ، وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره ، ولما عرّفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم ، وأخرجه عنهم .

ومنه ﴿وَذَا النُّونِ﴾^(١) ، فأضافه إلى الحوت والمراد يونس ، وقال في سورة القلم : ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٢) ، والإضافة « بنى » أشرف من الإضافة « بصاحب » ، ولفظ « النون » أشرف من « الحوت » ، ولذلك وجد في حروف التهجى ، كقوله : ﴿نَ وَالْقَلَمِ﴾^(٣) . وقد قيل : إنه قسم وليس في الآخر ما يشرّفه بذلك .

ومنه قوله^(٤) تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٥) ، فعدل عن الاسم إلى الكنية ؛ إما لاشتهاره بها ، أو لقبح الاسم ، فقد كان اسمه عبد العزى .

واعلم أنه لم يسم الله قبيلة من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشا ؛ ستمام بذلك في القرآن ، ليبقى على مرّ الدهور ذكرهم ، فقال تعالى : ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾^(٦) .

الثانى : أنه قد بالغ في الصفات للتنبيه على أنه يريد إنسانا بعينه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ . هَٰذَا مِثْلُ مِمَّا بَنِمِمْ...﴾^(٧) الآية ؛ قيل : إنه الأخنس بن شريق . وقوله : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٨) ؛ قيل : إنه أمية بن خلف ؛ كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الأنبياء ٨٧ (٢) سورة القلم ٤٨

(٣) سورة القلم ١

(٤-٥) هذه العبارة مأخوذة من ت ، م ، وهى فى حاشية ط ؛ وأشار الناسخ إلى أنها منقولة من خط المؤلف .

(٥) سورة اللهب ١ (٦) سور قريش ١

(٧) سورة ن ١٠ ، ١١ (٨) سورة الهزرة ١

الثالث : قيل : لم يذكر الله تعالى « امرأة » في القرآن وسمّاها باسمها إلا مريم بنت عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً ، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال : إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يتذلون أسماءهم ، يكتنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحوه ، فإذا ذكروا الإماء لم يكتنوا عنهن ، ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها ، فلما قالت النصراني في مريم وفي ابنها ما قالت صرح الله تعالى باسمها ، ولم يكن عنها ؛ تأكيذا لأمر العبودية التي هي صفة لها ، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها ؛ ومع هذا فإن عيسى لا أب له ، واعتقاد هذا واجب ، فإذا تكرّر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفى الأب عنه ، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

الرابع : وأما الرجال فذكر منهم كثيراً ؛ وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ^(١) أنه الوليد بن المغيرة ، وقد سمي الله زيداً في سورة الأحزاب للتصريح بأنه ليس بابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأضيف إلى ذلك السّجل ؛ قيل : إنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السّجِّلَ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(٢) .

النوع السابع في أسرار الفواتح والسُّور

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة ؛ وفيها يُلفَزُ فيقال : أى شيء إذا عدده زاد على المائة ؛ وإذا عددت نصفه كان دون العشرين ^(١) ؟ .
وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ؛ لا يخرج شيء من السُّور عنها .

[- الاستفتاح بالثناء]

الأول : استفتاحه بالثناء عليه عز وجل . والثناء قيمان : إثبات لصفات المدح ؛ ونقي وتنزيه من صفات النقص .

والإثبات نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ في خمس سور ^(٢) ، و ﴿ تَبَارَكَ ﴾ في سورتين ^(٣) :
الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ، [والملاك] ^(٤) : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَلَأَ ﴾ .

(١) أُلِفَ فيه عبد العظيم بن عبد الواحد المروفي بآين أبي الإصيح كتاباً سماه : الخواطر النواع في أسرار الفواتح ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقل عنه السيوطي في الإتقان .

(٢) سورة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . الأنعام : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . الكهف : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . سبأ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ . فاطر : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

والتنزيه نحو : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ^(١) ، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ^(٢) ، ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ^(٣) ، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ^(٤) ، كلاهما ^(٥) في سبع ^(٦) سور ، فهذه أربع عشرة سورة استُفْتِحَتْ بالثناء على الله : نصفها لثبوت صفات الكمال ؟ ونصفها لسلب النقائص .

قلت : وهو سرّ عظيم من أسرار الألوهية . قال صاحب العجائب ^(٧) :

« سبح لله » ^(٨) هذه كلمة استأثر الله بها ؛ فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه الأصل ؛ ثم الماضي ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ ، في الحديد والحشر والصف ؛ لأنه أسبقُ الزمانين ، ثم المستقبل ^(٩) في الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها ، وهي أربع : المصدر ، والماضي ، والمستقبل ، والأمر المخاطب ، فهذه أعجوبة وبرهان .

[٢ - الاستفتاح بحروف التهجّي]

الثاني : استفتاح السور بحروف التهجّي ^(١٠) نحو : آم ، آص ، آلر ، كهيمص ، طه ، طس ، طسم ، حم ، حمسق ، ق ، ن . وذلك في تسع وعشرين سورة .
قال الزمخشري : « ^(١١) وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتُها نصف

(١) سورة الإسراء (٢) سورة الأعلى

(٣) سورة الحديد والحشر والصف .

(٤) سورة الجمعة والتغابن .

(٥) أي كل من إثبات صفات المدح والتنزيه عن صفات النقص .

(٦) في الأصول : « خمس » ؛ وصوابه من الإتيان ٢ : ١٠٥ .

(٧) هو محمود بن حنبل الكرماني المعروف بتاج القراء ؛ وكتابه العجائب في تفسير القرآن ؛ ويسمى لغرائب والعجائب أيضاً ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٨) الإتيان فيما نقل عن الكرماني : « السبّيح » .

(٩) في الإتيان : « المضارع » . (١٠) ت : « الهجاء » .

(١١) الكشف ١ : ١٣ - ١٤

أسمى حروف المعجم ، أربعة عشر : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ،
والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون . في تسع وعشرين
عدد حروف المعجم . ثم تجدها مشتتة على أصناف أجناس الحروف : المهموسة والمجهورة
والشديدة والمطبقة والمستعيلة والمنخفضة وحروف القلقة . ثم إذا استقرت الكلام تجد هذه
الحروف هي أكثر دورا مما بقي ، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورا جاءت
في معظم هذه الفوائج ، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكته ^(١) ! » . انتهى .

قيل : وبقي عليه من الأصناف : الشديدة والمنفتحة ^(٢) ، وقد ذكر تعالى نصفها . أما
حروف الصفير فهي ثلاثة ليس لها نصف ؛ فجاء منها السين والصاد ، ولم يبق إلا الزاي .
وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء ، أما المكرر وهو الراء ، والهاوى
وهو الألف ، والمنحرف وهو اللام فذكرها ؛ ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا ما بين
الشديدة والرخوة ؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف . وهذا التداخل موجود في كل قسم
قبله ، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها . ووه الزخشي في عد حروف القلقة ؛ إنما
ذكر نصفها ، فإنها خمسة ذكر منها حرفان : القاف والطاء .

(١) كذا نقله المؤلف ؛ وفي الكلام اختصار ؛ وعبرة الكشف : « ثم إذا نظرت في هذه
الأربعة عشر وجدتها مشتتة على أصناف أجناس الحروف ؛ بيان ذلك : أن فيها من المهموسة نصفها :
الصاد والكاف والهاء والسين والحاء . ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والعين والطاء
والقاف والياء والنون . ومن الشديدة نصفها : الألف والكاف والطاء والقاف . ومن الرخوة نصفها : اللام
والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون . ومن المطبقة نصفها : الصاد والطاء .
ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون .
ومن المستعيلة نصفها : القاف والصاد والطاء . ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف
والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون . ومن حروف القلقة نصفها : القاف والطاء . ثم إذا استقرت
الكلام وتراكيها رأيت الحروف التي ألفت الله ذكرها من هذه الأجناس المكدودة مكتورة بالذكورة منها ؛
فسبحان الذي دقت في كل شيء حكته ! » .

(٢) كذا ذكره المؤلف ؛ وفيه نظر ؛ فقد أوردها صاحب الكشف ؛ وانظر الحاشية السابقة .

وقال القاضي أبو بكر: إنما جاءت على نصف حروف المعجم؛ كأنه قيل: مَنْ زعم أن القرآن ليس بأية فليأخذ الشطر الباقي، ويُرَكَّب عليه لفظاً معارضة للقرآن. وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق.

واعلم أن الأسماء المتهجاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفاً، فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد، والعين والياء والها والقاف كل واحد في مكانين، والصاد في ثلاثة، والطاء في أربعة، والسين في خمسة، والراء في ستة، والحاء في سبعة، والألف واللام في ثلاثة عشر، والميم في سبعة عشر، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما:

كُنْ واحدٌ عَيْهَقُ اثْنانِ ثلاثةٌ صَا دُ الطاءُ أربعةٌ والسينُ خمسٌ علا
والراءِستُ وسبعُ الحاءِ آلٌ وَدَجٌ ^(١) وميمها سبعٌ عشرٌ تمَّ واكتملا

وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة، وجمعتها من غير تكرار أربعة عشر حرفاً؛ يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر»؛ وجمعها السهيلي في قوله: «الم يسطع نور حق كره».

وهذا الضابط في لفظه ثَقُلَ، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ؛، ولو قال: «لم يسكرها نصّ حق سطم» لكان أعذب.

ومنهم من ضبط بقوله: «طرق سمعك النصيحة»، و«صُنْ سرا يقطعك حمله»، و«على صراط حق يمسه». وقيل: «مَنْ حَرَّصَ على بَطْءِ كاسر» وقيل: «سر حصين قطع كلامه». ثم بنيتها ^(٢) ثلاثة حروف موحدة: ص ق ن، وعشرة مثنى: طه، طس، يس، حم. واثنا عشر مثلثة الحروف: آلم، الر، طسم، واثنان حروفها أربعة: اللص، المّر. واثنان حروفها خمسة: كهيعص جمعت.

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها: ماهو ثلاثة أحرف، وما هو أربعة أحرف (سورتان)، وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان).

(١) بكلة: «ودج» تعني العدد ثلاثة عشر بحروف الجمل. (٢) ت: «منها»

وأما ما بدىُ بحرف واحد فاختلفوا فيه ، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جعله اسماً لشيء خاص . ومنهم من جعله حرفاً وقال : أراد أن يتحقق الحروف مفرداً ومنظوماً . فاما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سر ، وذلك أن الألف إذا بدى بها أولاً كانت همزة ، وهى أولُ الخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أعنى الحلق واللسان والشفَتين ، وترتبت فى التزليل من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد الخارج الثلاثة ، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين ، مع تضمينها سرا عجيبياً ، وهو أن الألفَ للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية ، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع ^(١) والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وأيضاً فلأن الألف واللام كثرَت فى الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها فى الكلام .

وأيضاً من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرئة ؛ فهى أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ماصقةً بصدر الغار الأعلى من الفم ؛ فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم ، والميم مُطبقة ؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا ، ويرمز بهنّ إلى باقى الحروف ؛ كما رمز

(١) ت : التشريع .

صلى الله عليه وسلم بقوله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» ^(١) إلى الإتيان بالشهادتين وغيرها مما هو من لوازمها .

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فإنَّ الطاء جمعت من صفات الحروف خمسَ صفات لم يجمعها غيرها : وهى الجهرُ والشدة والاستعلاء والإطباق [والإصمات] . والسين مهموس رخو مستفل صغير مفتوح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها ، كالسين والهاء ؛ فذكر الحرفين اللذين جمعاً صفات الحروف .

وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة : كيف تجدد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فمن ذلك : ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ ^(٢) فإن السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول ومراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين ، وقول القتيذ ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق ، والقرين ، والإلقاء فى جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب فى البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقى الأرض ، وإلقاء الرواسى فيها ، وبُسُوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وسرّ آخر وهو أن كلَّ معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة « ص » من الخصومات المتعددة ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقولهم : ﴿ أَجْمَلُ آلِهَةٍ

(١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ٩ : ١١٠ عن البخارى ومسلم ؛ ونقظه : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأتى رسول الله ، فإذا قالوها عصموها من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . عن أبى هريرة

(٢) سورة ق ١ .

إِلَهًا وَاحِدًا...»^(١) ، إلى آخر كلامهم ، ثم اختصاص الخصمين عند داود ، ثم تخصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائكة الأعلى في العلم ، وهو الدرجات ، والكفارات ، ثم تخصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود ، ثم اختصاصه ثانيا في شأن بنيهِ وحلفه كيغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ما تضمنت من الألفاظ التونية .

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها « ص » لأجل قوله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾^(٢) وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء ، ولهذا قال بعضهم : معنى ﴿ الْمَص ﴾ ، ﴿ أَلَمْ تَسْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(٣) . وقيل : معناه المصور ، وقيل : أشار بالميم لمحمد ، وبالصاد للصديق ؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم ، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له . وجعل السهلي هذا من أسرار القوافي ، وزاد في الرعد « راء » لأجل قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾^(٤) ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها .

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾^(٥) وقد جاء بخلاف ذلك في العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك .

تنبيهات

ثم لا بد من التنبيه على أحكام تختص بهذه القوافي الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يعدوا شيئا منها آية ؛ وأما الكوفيون فنما ماعده آية ، ومنها

(١) سورة ص ٤

(٢) سورة الأعراف ٢

(٣) سورة الانشراح ١

(٤) سورة الرعد ٣

(٥) سورة البقرة ١ ، ٢

ما لم يَعدَّوه آية ؛ وهو علمٌ توقيفيٌّ لا مجال للقياس فيه ؛ كعرفة السور ؛ أما ﴿آلَمْ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتحة بها، وهي ست^(١)، وكذلك ﴿الْمَص﴾ آية، و﴿الْمَرْ﴾ لم تُعدَّ آية، و﴿الر﴾ ليست بآية من سورها الخمس ، و﴿طَسَم﴾ آية في سورتيها ، و﴿طَه﴾ و﴿يَس﴾ آيتان ، و﴿طَس﴾ ليست بآية ، و﴿حَم﴾ ، آية في سورها كلها ، و﴿حَم . عَسَق﴾ آيتان ، و﴿كهيمص﴾ آية واحدة ، و﴿ص﴾ ، و﴿ق﴾ ؛ و﴿ن﴾ ، لم تعد واحدة منها آية ؛ وإنما عُدَّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية ، كما عُدَّ ﴿الرَّحْمَن﴾ وحده ، و﴿مُذَاهِمَتَان﴾^(٢) وحدها آيتين على طريق التوقيف .

وقال الواحدى فى " البسيط " فى أول سورة يوسف : لا يعدّ شىء منها آية إلا فى ﴿طَه﴾ ، وسرّه أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رموس الآى ، فلهذا لم يُعدَّ آية ؛ بخلاف ﴿طَه﴾ ، فإنها تشاكل ما بعدها .

الثانى : هذه الفواتح الشريفة على ضربين : أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب ، نحو ﴿كهيمص﴾ و﴿آلَمْ﴾ . والثانى ما يتأتى فيه ؛ وهو إما أن يكون اسما مفردا كص ، وق ، ون ، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ ﴿حَم﴾ ، و ﴿طَس﴾ ، و ﴿يَس﴾ فإنها موازنة لقبايل وهابيل ، وكذلك « طَسَم » يتأتى فيها أن تفتح نونها فتصير (ميم) مضمومة إلى « طَس » فيجعلها اسما واحدا كدارانجرد .^(٣) فالنوع الأول مخكى ليس إلا ، وأما النوع الثانى فسائق فيه الأمران : الإعراب والحكاية^(٤) .

(١) سورة البقرة ، آل عمران ، التكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٣) دارانجرد : ولاية بفارس (ياقوت) .

(٤) ذكره الزحشرى فى الكشف ١ : ١١ ، ونقله عن سيويه فى باب أسماء السور (٢ : ٣٠ - ٣١)

الثالث : أنه يوقف على جميعها وقف التمام؛ إن مُحِلَّتْ على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده، وذلك إذا لم يجعل أسماء السور، وينفق^(١) بها كما ينفق بالأصوات؛ أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف؛ كقوله تعالى : ﴿ اَلَمْ . اَللّٰهُ ﴾^(٢) أى هذه السورة « اَلَمْ » ثم ابتداء فقال : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

الرابع : أنها كتبت في المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها ، لا على صورة أساميها ، وعُلِّلَ^(٣) ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تهجيت ، ومتى قيل للكاتب : اكتب : كيف وكيت ، أن يلفظ بالأسماء ، وتقع في الكتابة الحروف أنفسها ؛ فحمل على ذلك للمشاكل^(٤) المألوفة في كتابة هذه الفوائح . وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة السنة^(٥) الأحمر والأسود لها ؛ وأن الالفاظ بها غير متهجة لا يجي بظائل فيها ، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ماهو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها . وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يُبْنَى^(٦) عليها علم الخط والهجاء ؛ ثم ما عاد ذلك بنكير^(٧) ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخاف . أشار إلى هذه الأحكام المذكورة صاحب الكشف .

وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على قولين :

(١) كذا في ت ، ط . وفي م : « ينطق »

(٢) سورة آل عمران ١٠ ، ٢

(٣) انظر الكشف ١ : ١٢

(٤) الكشف : « عمل على تلك الشاكلة المألوفة »

(٥) الكشف : « السنة »

(٦) الكشف : « بني »

(٧) ط : « يتكرر » ، والكشف : « بضير » .

أحدهما أن هذا علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله به ، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر ، وسرّه فى القرآن أوائلُ السور . قال الشعبي : إنها من المتشابه ، تؤمن بظاهرها ، ونكّل العلم فيها إلى الله عز وجل .

قال الإمام الرازى : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله ما لا يفهمه الخلق ، لأنّ الله تعالى أمر بتدبره ، والاستنباط منه ؛ وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ، ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه فى الأفعال ، فلم لا يجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما تقف على معناه ، وتارة بما لا تقف على معناه ، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم !

القول الثانى أن المراد منها معلوم ، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها ؛ فمنها البعيد ، ومنها القريب :

أحدها : ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كلّ حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه ، فالألف من « الله » ، واللام من « لطيف » ، والميم من « مجيد » ، أو الألف من « آلائه » ، واللام من « لطفه » ، والميم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد ، وله فى كلام العرب شاهد : * قلنا لها فنى قالت قى *
فعبّر عن قولها « وَقَفْتُ » بـ قى .

الثانى : أن الله أقسم بهذه الحروف بأنّ هذا الكتاب الذى يقرؤه ^(١) محمد هو الكتاب المنزل لاشك فيه ، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان . وما فى كتب ^(٢) الله المنزلة باللغات المختلفة ، وهى أصول كلام الأمم ^(٣) بها يتعارفون ، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف فى القسم بها .

(١) م : « يقوله »

(٢) ت : « ومباني كتب الله المنزلة »

(٣) ت : « الاسم » ؛ وفوقها الحرف « ط » رمز : « طبق الأصل » .

الثالث : أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل ، أو آلائه ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم ، فالألف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون ؛ روى عن الربيع بن أنس . قال ابن فارس : وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدع نظماً عجيباً ، ولا علماً نافعا إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ ﴾ . أنا الله أعلم ، وفي ﴿ اَلَمْص ﴾ أنا الله أفصل ، و ﴿ اَلر ﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور ﴿ اَلَمْ ﴾ اسم لهذه ، و ﴿ حَم ﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، ونقله الزخشي عن الأكثرين ^(١) وأن سيبويه نص عليه في كتابه ^(٢) . وقال الإمام فخر الدين : هو قول أكثر المتكلمين . فإن قيل : فقد وجدنا ﴿ اَلَمْ ﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميزان بأن يقال : زيد الفقيه ، وزيد النحوي ، فكذلك إذا قرأ القاري : ﴿ اَلَمْ . ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ^(٣) فقد ميزها عن ﴿ اَلَمْ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٤) .

السادس : أن لكل كتاب سرّاً ، وسرّ القرآن فواتح السور ، قال ابن فارس : وأظن قائل ذلك أراحته من السر الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . واختاره جماعة منهم أبو حاتم بن حبان .

(١) الكشف ١ : ١١ (٢) الكتاب ٢ : ٣٠

(٣) سورة البقرة ١ ، ٢ (٤) سورة آل عمران ١ ، ٢

قلت : وقد استخرج بعضُ أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ^(١) فتوح بيت المقدس واستنقاذ من العدو في سنة معينة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لَفَّوْا فيه ، وقال بعضهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ ^(٢) فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ، ويكون تعجبهم سببا لاستماعهم ، واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفتدة .

الثامن : أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي : ا ، ب ، ت ، ث ... فجاء بعضها مقطعا ، وجاء تمامها مؤلفا ، ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعقلونها ، ويبنون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا ؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون الله عز ^(٣) وجل قد وضعها هذا الوضع ^(٤) فسمى بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى في إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سميع ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

(٢) سورة الروم فصلت ٢٦

(٤) م : « الوضع »

(١) سورة الروم ١ ، ٢

(٣) ت : « الله تعالى » .

العاشر : أنها كالمهَيَّجَةِ لمن سَمِعَهَا من الفصحاء ، والموقظة للهم الراقدة من الباغاء لطلب التساجل ، والأخذ في التفاضل ، وهي بمنزلة زجاجة الرعد قبل الناظر في الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإناعام . وما هذا شأنه خَلِيق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط ، ولم يعان الطريقة ، على ما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطُونَ ﴾ ^(١) .

الثانى عشر : انحصارها في نصف أسماء حروف المعجم ، لأنها أربعة عشر حرفاً على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على ^(٢) من عدد حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفاً ، وقال « لا » مركبة من اللام والألف ؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفاً ، والنطق « بلا » في الهجاء كالنطق في « لا رجل في الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسمه إلا الألف ، فإنه لما لم يُمكن أن يُبتدأ به لكونه مطبوعاً على السكون فلا يقبل الحركة أصلاً تُوصَل إليه باللام ؛ لأنها شابهته في الاعتداد والاتصاف ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم اسم الألف في أول حروف الهجاء ؟ قلت : ذلك اسم الهمزة لوجهين : أحدهما أنه صدره ، والثانى أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثاً ؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالمتكررة أربع مرات ؛ لأنها تليس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يفرض من الحركة والسكون ، ولذلك أخروا ما بعد الطاء

(١) سورة التنبؤ ٨٤

(٢) ت : « عند من قال : إن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً » .

والظاء والعين ؛ لأن صورتها ليست متكررة . وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه^(١) ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف . فإن قلت : هلا روعي صورتها كما روعي عددها ؟ قلت : عرض لبعضها التثقل لفظاً فأهمل .

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضرورية في النطق ، واجبة في الهجاء ، لازمة التقدم في الخط والنطق - إذ المفرد مقدّم على المركب - فقدّمت هذه المفردات على مركباتها في القرآن ، فليس في المفرد ما في المركب ، بل في المركب ما في المفرد وزيادة . ولما كان نزول القرآن في أزمنة متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقياً إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله ، ولا كتاب بعده ، جعل الله تعالى حروفه كالعلامم ، مبيّنة أن هذه السورة هي من قبيل تلك التي أنزلت من عشر سنين مثلاً ، حتى كأنها تنمى لها وإن كان بينهما مدة . وأما نزول ذلك في مددٍ وأزمنة ، أو نزول سورٍ خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع . وأما ترتيب وضعها في المصحف - أعني السور - فله أسباب مذكورة في النوع الثالث عشر .

وأما زيادة بعض الحروف في بعض السور وتغيير بعضها ، فليعلم أن المراد بالإعلام بالحروف فقط ؛ وذلك أنه متى قرأ الإنسان في بعضها شيئاً ، مثل ﴿الْم﴾ السجدة ، لزمه في مثلها مثله ، كآلف لام ميم البقرة ؛ فلما لم يجد دله ذلك الثاني على بطلان الأول ، وتحقق أن هذه الحروف هي علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونها اختصت بسورة البقرة فيحتمل أن

(١) ت : « تنصفه »

ذلك تنبيه على السور ، وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصلت في تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف . ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب لجاءت في أربع عشرة سورة ؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية ؛ وما يقتضى أن يقع فيه التعجيز . ويحتمل أن يكون لمعان آخر ، يحدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر ؛ أو هبة من لدنه سبحانه . ولا يمتنع أن يكون في بقية السور أيضا كما في ذوات الحروف ، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تعلم عليها السور ، لئنبه على فضلها ، وهذا من باب الاحتمال . والأولى أن الأحرف إنما جاءت في تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف ، فتكون السور من جهة العدد مؤدية إلى الحروف من جهة العدد ؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين .

[٣ - الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور : النداء ؛ نحو : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٣) ؛ وذلك في عشر سور ^(٤) .

(١) سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . المجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . المتحة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ . الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ . . . ﴾ . التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ . (٣) سورة المدثر

(٤) بقيته : في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ . الزمل : ﴿ يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[٤ - الاستفتاح بالجلل الخبرية]

الرابع : الجلل الخبرية ؛ نحو ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ . ﴿ براءة من الله ﴾ ^(١) . ﴿ أنى أمر الله ﴾ ^(٢) . ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ ^(٣) . ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . ﴿ سورة أنزلناها ﴾ ^(٤) . ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ ^(٥) . ﴿ الذين كفروا ﴾ ^(٦) . ﴿ إنا فتحنا ﴾ . ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ^(٧) . ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ . ﴿ قد سمع الله ﴾ ^(٨) . ﴿ الحاقة ﴾ . ﴿ سأل سائل ﴾ ^(٩) . ﴿ إنا أرسلنا ﴾ ^(١٠) . ﴿ لا أقسم ﴾ في موضعين ^(١١) . ﴿ عبس ﴾ . ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ^(١٢) . ﴿ لم يكن ﴾ ^(١٣) . ﴿ القارعة ﴾ . ﴿ ألهاكم ﴾ ^(١٤) . ﴿ إنا أعطيناك ﴾ ؛ فتلك ثلاث وعشرون سورة .

[٥ - الاستفتاح بالقسم]

الخامس : القسم ؛ نحو : ﴿ والصفات ﴾ . ﴿ والذاريات ﴾ . ﴿ والطور ﴾ . ﴿ والنجم ﴾ . ﴿ والمرسلات ﴾ . ﴿ والنازعات ﴾ . ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ . ﴿ والسماء والطارق ﴾ . ﴿ والفجر ﴾ . ﴿ والشمس ﴾ . ﴿ والليل ﴾ . ﴿ والضحى ﴾ . ﴿ والتين ﴾ . ﴿ والقاديات ﴾ . ﴿ والعصر ﴾ ؛ فتلك خمس عشرة سورة .

- (٢) سورة النخل
(٤) سورة النور
(٦) سورة القتال
(٨) سورة المجادلة
(١٠) سورة نوح
(١٢) سورة القدر
(١٤) سورة التكاثر

- (١) سورة التوبة
(٣) سورة الأنبياء
(٥) سورة الزمر
(٧) سورة القمر
(٩) سورة المارج
(١١) سورتا القيامة، والبلد
(١٣) سورة البينة

[٦ - الاستفتاح بالشرط]

السادس : الشرط ؛ نحو ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ . ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَاقِقُونَ ﴾ . ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ . ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ؛ فذلك سبع سور .

[٧ - الاستفتاح بالأمر]

السابع : الاستفتاح بالأمر ؛ في ست سور : ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . ﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ في سورتين .

[٨ - الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن : لفظ الاستفهام في : ﴿ هَلْ أَتَى ﴾^(١) . ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ . ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾^(٢) . ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ . ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ . ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾^(٣) ، فذلك ست سور .

[٩ - الاستفتاح بالدعاء]

التاسع : الدعاء في ثلاث سور : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ . ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾ . ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

[١٠ - الاستفتاح بالتعليل]

العاشر : التعليل ، في موضع واحد ؛ نحو : ﴿ لِإِيْلَافٍ قَرِيشٍ ﴾ .
هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسي^(٤) ؛ قال : وما ذكرناه في قسم

(١) سورة الدهر (٢) سورة الفاشية

(٣) سورة الماعون

(٤) هو العلامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشافعي المقدسي ، المعروف بأبي شامة ؛ شارح الشاطبية ؛ وصاحب كتاب الذيل على الروضتين . توفي سنة ٦٦٥ . (شذرات الذهب ٥ : ٣١٨) .

الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ؛ وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا ﴿سَبِّحْ
اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فإنه يدخل أيضاً في قسم الأمر ، و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ .
يحتمل الأمر والخبر ؛ ونظم ذلك في بيتين فقال :

أَتَنَى عَلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ بِثَبُوتِ الْمَدْحِ وَالسَّلْبِ لَمَّا اسْتَفْتَحَ السُّورَا
وَالْأَمْرُ شَرْطُ النِّدَا التَّعْلِيلُ وَالْقَسَمُ الدَّعَا حُرُوفُ التَّهَجِّي اسْتَفْهِمُ الْخَبْرَا

النوع الثامن في خواتم السُّور

وهي مثل الفواتح في الحسن ؛ لأنها آخر ما يقرعُ الأسماع ؛ فلها جاءت متضمنة للعاني البديعة ؛ مع إيدان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد .

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) . وخاتمة سورة الأحقاف : ﴿ بَلَاغٌ ؛ فَمَنْ يَهْلِكْ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) ؛ ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواظ وتحميد وتهليل ، ووعد ووعيد ؛ إلى غير ذلك . كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب ؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلal ؛ ففصل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) ؛ والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيد ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان قد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٤) يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله والضلal المسببين عن معاصيه وتعدى حدوده .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(١) سورة إبراهيم ٥٢

(٣) فاتحة الكتاب ٧

(٤) سورة الفاتحة ٧

وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة ^(١) .

وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران ^(٢) ، بالصبر على تكاليف الدين ، والمصابرة لأعداء الله فى الجهاد ومعاقبتهم ، والصبر على شدائد الحرب والمرابطة فى الغزو المحضوس عليها بقوله : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، والتقوى الموعود عليها بالتوفيق فى المضائق ومهولة الرزق فى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ^(٤) . وبالفلاح لأن ﴿ لعل ﴾ من الله واجبة .

وكالوصايا والفرائض التى ختمت بها سورة النساء ^(٥) ، وحسن الختم بها لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع .

وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة : ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٦) ، ولإرادة المبالغة فى التعظيم أختيرت « ما » على « من » لإفادة العموم ، فيتناول الأجناس كلها .

وكالوعد والوعيد الذى ختمت به سورة الأنعام بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٧) ولذلك أورد على وجه المبالغة فى وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع .

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ٢٨٥ ، ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاضِعْنَا وَإِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ... ﴾ ٢٨٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٢٠٠

(٣) سورة الأقال ٦٠ - (٤) سورة الطلاق ٢ ، ٣

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُو هَلَكَ لَيْسَ لَهُ

وَلَدٌ ... ﴾ ١٧٦

(٦) سورة المائدة ١٢٠ (٧) سورة الأنعام ١٦٥

والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي خُتِمَ به سورة الأعراف ^(١) .
والحفص على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال ^(٢) .
ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذي
ختمت به براءة ^(٣) .

وتسليمته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس ^(٤) . ومثلها خاتمة هود ^(٥) .
ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة يوسف ^(٦) .
والرد على مَنْ كَذَّبَ الرسول الذي ختم به الرعد ^(٧) .

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ﴾ ، آية ٢٠٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، آية ٧٥

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، آية ١٢٩

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ، آية ١٠٩

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، آية ١٢٣

(٦) وذلك قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، آية ١١١

(٧) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ ، آية ٤٣

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في أنّه إلهٌ واحد الذي ختمت به إبراهيم ^(١) .
ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر ^(٢) .

وتسليّة الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به النحل ^(٣) . والتحميد الذي
ختمت به سبحان ^(٤) .

وتخصيصة الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه ، والأمر بالتوحيد الذي ختمت به
الكهف ^(٥) .

وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقيته .

فصل

[في مناسبة فوائح السور وخواتمها]

ومن أسرار مناسبة فوائح السور وخواتمها . وتأمل سورة القصص وابدأها بقصة
مبدأ أمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَن أَكُون ظَهِيْرًا لِّلْمُجْرِمِيْنَ ﴾ ^(١) وخروجه من
وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة ، وختمها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرا

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ هَذَا بِلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ... ﴾ ، آية ٥٢

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ ﴾ ، آية ٩٩

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ، آية ١٢٨ .

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمَلَكِ... ﴾ ،

آية ١١١

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ... ﴾

آية ١١٠

(٦) سورة القصص ١٧

للكافرين ، وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ^(١) .

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) وأورد في خاتمها : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة !

فصل

[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها]

ومن أسرارہ مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها ؛ حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً كما قيل في : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ^(٤) ، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ^(٥) .
وفي الكواشي ^(٦) لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٧) .

(١) سورة القصص ٨٥ (٢) سورة المؤمنون ٢

(٣) سورة المؤمنون ١١٧ (٤) سورة الفيل ٩

(٥) سورة قريش ١

(٦) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الموصلي الشافعي ؛ توفي سنة ٦٨٠

وله كتابان في التفسير أحدهما البصرة والثاني التلخيص ؛ ذكرهما صاحب كشف الظنون

(٧) سورة المائدة ١

النوع التاسع معرفة المكي والمدني

وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والنسخ ، والمكي أكثر من المدني .

اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات :

أحدها أن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة^(١) .

والثاني - وهو المشهور - أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بالمدينة ، والمدني

ما نزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة .

والثالث أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ؛

وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي ؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطبوا به «يأيها

الناس» وإن كان غيرهم داخلياً فيهم ، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا

به «يأيها الذين آمنوا» وإن كان غيرهم داخلياً فيهم .

وذكر الماوردي^(٢) أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية ، وهي : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ مَا تُرْجَعُونَ

فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٣) فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمكة . انتهى .

(١) قال السيوطي في الإتقان (١ : ٩) : « ويدخل في مكة ضواحيها ؛ كالنزل بمكة وعمرات والمدينة ؛

وفي المدينة ضواحيها كالنزل بيدر وأحد وسلم » .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي ؛ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ؛ والهاوي ،

والنفسير ؛ وكتاب الأحكام السلطانية ؛ توفي سنة ٤٥٠ . (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) سورة البقرة ٢٨١

ونزولها هناك لا يُخرجها عن المدنيّ بالأصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدنيّ سواء كان بالمدينة أو بغيرها .

وقال الماورديّ في سورة النساء : هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان ابن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة^(١) ويسلمها إلى العباس ، فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(٢) والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها « يأيها الناس » وليس فيها « يأيها الذين آمنوا » فهي مكية ، وفي الحج اختلاف . وكل سورة فيها « كَلَّا » فهي مكية ، وكل سورة أولها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران ، وفي الرد خلاف . وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة . وكل سورة فيها ذكر المناقنين فمدنية سوى العنكبوت .

وقال هشام^(٣) عن أبيه : كل سورة ذكرت فيها الحدود والقرائض فهي مدنية ، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمي^(٤) بإسناده إلى يحيى بن سلام^(٥) قال : ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكيّ

(١) ت : « البيت » . (٢) سورة النساء ٥٨

(٣) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ؛ صاحب السير والنسب توفى سنة ٢٠٤ (معجم الأدباء

١٩ : ٢٨٧)

(٤) في م : « الداني » تحريف ؛ وهو صاحب المسند الكبير ؛ أخذ الفقه عن البويطى والعريية عن

ابن الأعرابي والحديث عن ابن المديني . توفى سنة ٢٨٠ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٦)

(٥) هو أبو زكريا البصري يحيى بن سلام صاحب التفسير ، سمع بمصر ، ثم سكن إفريقية وتوفى سنة ٢٠٠

(طبقات القراء ٣ : ٣٧٣)

وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ، وما كان من القرآن « يا أيها الذين آمنوا » فهو مدني ، وما كان « يا أيها الناس » فهو مكّي .

وذكر أيضا بإسناده إلى عروة بن الزبير ^(١) قال : ما كان من حدأ أو فريضة فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأم والعذاب فإنه أنزل بمكة .

وقال الجعبري : لمعرفة المكّي والمدني طريقان : سماعي وقياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسي ، قال علقمة ^(٢) عن عبد الله : كل سورة فيها « يا أيها الناس » فقط أو « كلاً » أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين ^(٣) والرعد في وجه ، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولي ^(٤) فهي مكّيّة ؛ وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكّيّة ، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنيّة . انتهى .

وذكر ابن أبي شيبة ^(٥) في مصنفه في كتاب فضائل القرآن : حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : كل شيء نزل فيه « يا أيها الناس » فهو بمكة ، وكل شيء نزل فيه « يا أيها الذين آمنوا » فهو بالمدينة ؛ وهذا مرسل قد أسند عن عبد الله بن مسعود .

(١) هو أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أحد فقهاء المدينة السبعة ؛ توفي سنة ٩٤ . (شذرات الذهب ١ : ١٠٣ : ١٠٤)

(٢) هو علقمة بن قيس النخعي الكوفي ؛ يروي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وحذيفة ، توفي سنة ٦٢ (الخلاصة ٢٣٩)

(٣) هما سورتا البقرة وآل عمران ؛ واقرأ في تفسير القرطبي ٤ : ٣ سبب التسمية .

(٤) هي سورة البقرة ؛ أطول سورة في القرآن .

(٥) هو الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ؛ صاحب المصنف المعروف باسمه . توفي سنة ٢٣٥

(شذرات الذهب ٢ : ٨٥ ، وتهذيب التهذيب)

ورواه الحاكم^(١) في مستدركه في آخر كتاب الهجرة عن يحيى بن معين، قال : حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود به .
ورواه البيهقي^(٢) في أواخر دلائل النبوة ، وكذا رواه البرّار^(٣) في مسنده ثم قال : وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلًا ، ولا نعلم أحدا أسنده إلا قيس . انتهى .

ورواه ابن مردويه^(٤) في تفسيره في سورة الحج عن علقمة عن أبيه ، وذكر في آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه . وقد^(٥) نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره ، وبه قال كثير من المفسرين ، ونقله عن ابن عباس .

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه فقيه نظر ، فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾^(٦) وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٧) . وسورة النساء مدنية ، وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾^(٨) ، وفيها : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾^(٩) أيها الناس . وسورة الحج مكية ، وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(١٠) : فإن أراد المفسرون أَنَّ الغالبَ ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكي^(١١) : هذا

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف بالحكم ؛ صاحب المستدرک علی الصحیحین ؛ توفي سنة ٤٠٥ .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ؛ صاحب كتاب السنن ودلائل النبوة . وغيرهما . توفي سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية ٣ : ٣ - ٥)

(٣) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري ؛ صاحب المسند الكبير ؛ ذكره الذهبي في وفيات سنة ٢٩٢ .

(٤) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ؛ صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخاري ، توفي سنة ٤١٠ (شذرات الذهب ٣ : ١٩٠ . وانظر كشف الظنون) .

(٥) ت : «ومن نص» (٦) سورة البقرة ٢١

(٧) سورة البقرة ١٦٨ (٨) سورة النساء ١

(٩) سورة النساء ١٣٣ (١٠) سورة الحج ٧٧

(١١) هو مكي بن حوش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ ؛ صاحب كتاب الرعاية ، في تجويد القرآن ، وتحقيق لفظ التلاوة ، توفي بقرطبة سنة ٤٣٧ (ابن خلكان ٢ : ١٢٠) .

إنما هوفى الأكثر وليس بعام ، وفي كثير من السور المسكية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . انتهى .
والأقرب تنزيل قول من قال : مكّي ومدني ؛ على أنّه خطاب المقصود به أو جلّ المقصود به أهل مكة «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة .

وفي تفسير الرازي عن علقمة والحسن : أن ما في القرآن «يَأَيُّهَا النَّاسُ» مكّي ، وما كان «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»^(١) بالمدينة ، وأن القاضي قال : إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فسلم ، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين^(٢) بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفهم واسمهم وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين^(٣) بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها انتهى .

فصل

ويقع السؤال : أنه هل نص النبي صل الله عليه وسلم على بيان ذلك ؟ قال القاضي أبو بكر في الانتصار : إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم ، كما أنه لا بد في العادة من معرفة معظي العالم والخطيب ، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصنفاته من أن يعرفوا ما صنّفه أولاً وآخرأ ، وحال القرآن في ذلك أمثل ، والحرص عليه أشد ، غير أنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، ولا ورد عنه أنه قال : اعلّموا أنّ قدر منازل بمكة كذا وبالمدينة كذا ، وفصله لهم . ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر ، وإنا لم نفعله لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ، ليعرف الحكم الذي تضمّنهما ، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه ، وقوله

(١ - ١) سابط من ت

(٢) حاشية ط : « عبارة الإمام الرازي : « المؤمن » بالإنفراد ؛ وخض المصنف يحتمل ؛ لكن الرازي أفرد « المؤمن » أولاً فقال : ويؤمر غير المؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمنون . وفي خض الزركشي الجمع أولاً .

هذا هو الأول المكيّ، وهذا هو الآخر المدني . وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني مما لا يسوغ الجهل به ، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به ، ومواصلة ذكره على أسماعهم ، وأخذهم بمعرفته . وإذا كان كذلك صاغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكيّ أو مدنيّ ، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد ، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكيّ والمدنيّ ، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه : مكية أو مدنية . فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين ؛ وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس ؛ ولزوم العلم به لهم ، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه .

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوريّ في كتاب ” التنبيه على فضل علوم القرآن “ : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً . ووسطاً وانتهاءً ، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكيّ في المدنيّ ، وما يشبه نزول المدنيّ في المكيّ ، ثم ما نزل بالجحفة ، وما نزل ببית المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، ثم ما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً ، وما نزل مشيئاً ، وما نزل مفرداً ، ثم الآيات المدنيّات في السور المكيّة ، والآيات المكيّة في السور المدنيّة ، ثم ما حُل من مكة إلى المدينة ، وما حُل من المدينة إلى مكة ، وما حُل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملاً ، وما نزل مفصّلاً ، وما نزل مرموزاً ، ثم ما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : مدنيّ . هذه خمسة وعشرون وجهاً ؛ من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى .

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أول ما نزل من القرآن بمكة: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ، ثم ﴿ن والقلم﴾ ، ثم ﴿يأياها المزل﴾ ، ثم ﴿يأياها المدثر﴾ ، ثم ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ، ثم ﴿إذا الشمس كورت﴾ ، ثم ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ، ثم ﴿والليل إذا يغشى﴾ ، ثم ﴿والفجر﴾ ، ثم ﴿والضحى﴾ ، ثم ﴿ألم نشرح﴾ ، ثم ﴿والمصر﴾ ، ثم ﴿والعاديات﴾ ، ثم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ، ثم ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ، ثم ﴿أرأيت الذي﴾ ، ثم ﴿قل يأياها الكافرون﴾ ، ثم ﴿سورة الفيل﴾ ، ثم ﴿العلق﴾ ، ثم ﴿الناس﴾ ، ثم ﴿قل هو الله أحد﴾ ، ثم ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، ثم ﴿عسى وتولى﴾ ، ثم ﴿إنا أنزلناه﴾ ، ثم ﴿والشمس وضحاها﴾ ، ثم ﴿والسماء ذات البروج﴾ ، ثم ﴿والتين والزيتون﴾ ، ثم ﴿لا يلاف قريش﴾ ، ثم ﴿القارعة﴾ ، ثم ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ، ثم ﴿الهمزة﴾ ، ثم ﴿المرسلات﴾ ، ثم ﴿ق والقرآن﴾ ، ثم ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ ، ثم ﴿الطارق﴾ ، ثم ﴿اقتربت الساعة﴾ ، ثم ﴿ص والقرآن﴾ ، ثم ﴿الأعراف﴾ ، ثم ﴿الجن﴾ ، ثم ﴿يس﴾ ، ثم ﴿الفرقان﴾ ، ثم ﴿الملائكة﴾ ، ثم ﴿مريم﴾ ، ثم ﴿طه﴾ ، ثم ﴿الواقعة﴾ ، ثم ﴿الشعراء﴾ ، ثم ﴿النمل﴾ ، ثم القصص ، ثم ﴿بنى إسرائيل﴾ ، ثم ﴿يونس﴾ ، ثم ﴿هود﴾ ، ثم ﴿يوسف﴾ ، ثم ﴿الحجر﴾ ، ثم ﴿الأنعام﴾ ، ثم الصافات ، ثم ﴿قمان﴾ ، ثم ﴿سبا﴾ ، ثم ﴿الزمر﴾ ، ثم ﴿حم المؤمن﴾ ، ثم ﴿حم السجدة﴾ ، ثم ﴿حم عسق﴾ ، ثم ﴿حم الزخرف﴾ ، ثم ﴿حم الدخان﴾ ، ثم ﴿حم الجاثية﴾ ، ثم ﴿حم الأحقاف﴾ ، ثم ﴿والذاريات﴾ ، ثم ﴿الغاشية﴾ ، ثم ﴿الكهف﴾ ، ثم ﴿النحل﴾ ، ثم ﴿نوح﴾ ، ثم ﴿إبراهيم﴾ ، ثم ﴿الأنبياء﴾ ، ثم ﴿المؤمنون﴾ ، ثم ﴿آل عمران﴾ ، ثم ﴿التور﴾ ، ثم ﴿الطور﴾ ، ثم ﴿الملك﴾ ، ثم ﴿الحاقة﴾ ، ثم ﴿سأل سائل﴾ ، ثم ﴿عم يتساءلون﴾ ، ثم ﴿النازعات﴾ ، ثم ﴿إذا السماء انقطرت﴾ ، ثم ﴿إذا السماء انشقت﴾ ، ثم ﴿الروم﴾ .

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة ، فقال ابن عباس : العنكبوت . وقال الضحاك وعطاء :

المؤمنون ، وقال مجاهد : ﴿ ويل للمطففين ﴾ . فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة ، وعليه استقرت الرواية من الثقات ، وهي خمس وثمانون سورة .

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها : سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ، ثم الحديد ، ثم محمد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم ﴿ هل أتى ﴾ ، ثم الطلاق ، ثم ﴿ لم يكن ﴾ ، ثم الحشر ، ثم ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المناقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم ﴿ يأيها النبي لم تحرم ﴾ ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة .

ومنهم من يقدّم المائدة على التوبة ، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم المائدة في خطبة حجة الوداع وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ آخِرَ الْقُرْآنِ نَزُولًا سورة المائدة ، فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها » .

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة . وأما ما اختلفوا فيه : فتأخّر الكتاب ، قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء : إنها مكية . وقال مجاهد : مدنية ؛ واختلفوا في ﴿ ويل للمطففين ﴾ فقال ابن عباس : مدنية ؛ وقال عطاء : هي آخر ما نزل بمكة ، فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة ، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة ، على اختلاف الروايات .

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾ ^(١) الآية ، ولها قصة يطول بذكرها الكتاب ^(٢) ونزولها بمكة يوم فتحها ، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة .

ومنها قوله في المائدة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿الْحَاسِرِينَ﴾ ^(٤) نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات ، فبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من هبة القرآن . وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة ، وهي عدة آيات يطول ذكرها .

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي

منه المتنحة إلى آخرها ؛ وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة وسارة ، والكتاب الذي دفعه إليها - وقصتها ^(٥) مشهورة - يخاطب بها أهل مكة .

ومنها قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...﴾ ^(٦) إلى آخر السورة ، مدنيات يخاطب بها أهل مكة .

ومنها سورة الرعد يخاطب أهل مكة ، وهي مدنية .

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) انظر تفصيل القصة في (سيرة ابن هشام ٤ : ٣١ ، ٣٢)

(٣) سورة المائدة ٣ (٤) سورة المائدة ٥

(٥) وذلك حينما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ؛ وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابه إلى قريش يخبرها بالتي أجمع عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم . وانظر تفصيل الخبر في (ابن هشام ١٦ : ١٧)

(٦) سورة النحل ٤١ .

ومن أول براءة إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا لِلشِّرْكَوْنَ نَجَسٌ ﴾ ^(١) خطاب لمشركى مكة ؛ وهي مدينة .

فهذا من جملة ما نزل بمكة في أهل المدينة وحكمه ^(٢) مدني ، وما أنزل في أهل مكة ^(٣) وحكمه مكّي .

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

من ذلك قوله تعالى في النجم : ﴿ الَّذِينَ يَحْتَدِبُونَ كَبَابِرَ الْأَيْمِ ﴾ ^(٤) يعني كلّ ذنب عاقبته النار ، ﴿ والفواحش ﴾ يعني كلّ ذنب فيه حدّ ﴿ إلا اللّهم ﴾ ، وهو بين الحدّين من الذنوب ، نزلت في تنبّهان والمرأة التي راودها عن نفسها فأبت ؛ والقصة مشهورة واستقرت الرواية بما قلنا ؛ والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حدّ ولا غزو .

ومنها قوله تعالى في هود : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ... ﴾ ^(٥) الآية نزلت في أبي مقبل الحسين بن عمر بن قيس ^(٦) والمرأة التي اشترت منه التمر ، فراودها .

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

من ذلك قوله تعالى في الأنبياء : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٧) ، نزلت في نصارى نجران [ومنها] السيد والعاقب .

(١) سورة التوبة ٢٨

(٢) كذا في ط ، م . وفي ت : « أو حكمه » وفي حاشيت : « في خط المصنف : إثبات « أو » في قوله : « أو حكمه » في الموضعين

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة هود ١١٤

(٥) في تفسير القرطبي (٩ : ١١٠ - ١١١) أنها نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو اليسر بن عمرو ؛ ثم ذكر تفصيل الخبر والخلاف الوارد فيه ..

(٦) سورة الأنبياء ١٧

ومنها سورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(١) في رواية الحسين بن واقد ، وقصتها مشهورة .
ومنها قوله تعالى في الأنفال : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾^(٢) الآية .

ما نزل بالجحفة^(٣)

قوله عز وجل في سورة القصص : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^(٤) نزلت بالجحفة والنبي صلى الله عليه وسلم مهاجر .

ما نزل ببيت المقدس

قوله تعالى في الزخرف : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٥) ، نزلت عليه ليلة أُسْرِىَ به .

ما نزل بالطائف

قوله تعالى في الفرقان : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ...﴾^(٦) الآية ، ولذلك قصة عجيبة .

وقوله في : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٧) يعني كفار مكة .

ما نزل بالحديبية

قوله تعالى في الرعد : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٨) نزلت بالحديبية حين صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : اكتب :

(١) سورة العاديات ١ (٢) سورة الأهل ٣٢

(٣) الجحفة : قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل .

(٤) سورة القصص ٨٥ (٥) سورة الزخرف ٤٥ (٦) الفرقان ٤٥

(٧) سورة الانشقاق ٢٢-٢٤ (٨) سورة الرعد ٣٠

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن الرحيم ؛ ولو تعلم أنك رسول الله لتابعناك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ إلى قوله ﴿ متاب ﴾ .

مانزل ليلاً

قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ، نزلت ليلاً في غزوة بنى المصطلق ، وهم حتى من خزاعة والناس يسبيرون .

وقوله تعالى في المائدة : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، نزلت في بعض غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَسُ كل ليلة . قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَحْرَسُنَا اللَّيْلَةَ ؟ » ، فأتاه حُدَيْفَةُ وَسَعْدُ فِي آخِرِينَ مَعَهُمُ الْحَجَفُ ^(٣) وَالسِّيُوفُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِيْمَةٍ مِنْ أَدَمَ ، فَبَاتُوا عَلَى بَابِ الْخِيْمَةِ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ هَزْيعٍ مِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْآيَةَ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْخِيْمَةِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انْصَرَفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ .

ومنها قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ^(٤) الْآيَةَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ فِي اللَّصَافِ . وَنَزَلَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ نَهَاراً ^(٥) .

(٢) سورة المائدة ٦٧

(١) سورة الحج ١

(٣) ط ، م : « يوم الجحفة والوق » تحريف صوابه في ت . والحجف : التروس .

(٤) سورة القصص ٥٦

(٥) حاشية ط : « ترك المؤلف ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ، وقد ذكر العلماء أن آية الكلاله التي في أول سورة النساء نزلت في الشتاء ، وأن الآية التي في آخرها نزلت في الصيف » ونقله السيوطي عن الواحدى في الإتيان .

ما نزل مشيماً

سورة الأنعام نزلت مرة واحدة ، شيعتها سبعون ألف ملك ، طبقوا ما بين السموات والأرض ، لهم زجل بالتسبيح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! » ، وخرّ ساجداً .

قلت : ذكر أبو عمرو بن الصلاح ^(١) في « فتاويه » أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي إسناده ضعف ، ولم نزل له إسناداً صحيحاً ، وقد روى ما يخالفه ، فروى أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالمدينة ؛ اختلفوا في عددها ف قيل : ثلاث : هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... ﴾ ^(٢) الخ الآيات ، وقيل : ست ، وقيل : غير ذلك ، وسائرهما نزل بمكة .

وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك .

وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ ^(٣) نزلت ومعها عشرون ألف ملك .

وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشيع .

الآيات اللدنيات في السور المكية

منها سورة الأنعام ، وهي كلها مكية خلاست آيات ، واستقرت بذلك الروايات .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٤) نزلت هذه في مالك بن الصيف ، إلى آخر الآية ،

والثانية والثالثة .

(١) هو أبو عمرو بن عبد الرحمن الشهرزوري الشافعي ، التوفي سنة ٦٤٣ ؛ وفتاويه كلها بعض طلبته ؛ وهو السكالي إسحاق المعزى الشافعي ؛ في جلد كثير القوائد (كشف الظنون) .

(٢) سورة الأنعام ١٥١

(٣) سورة الزخرف ٤٥

(٤) سورة الأنعام ٩١

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ^(١) نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أخى
عبد الله بن الرضاة، حين قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ ^(٢)، وذلك أنه كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُنزل الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ﴾ ^(٣)، فأملأه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ﴾ ^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ...﴾ الخ الآية، فقال:
إن كنت نبيًا فأنا نبي؛ لأنه خطر بيالى ما ملئت على. فلحق كافرا.

وأما قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَىٰ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ^(٥)، فإنه نزل في مسيلة
الكذاب، حين زعم أن الله سبحانه أوحى إليه. وثلاث آيات من آخرها: ﴿قُلْ
تَعَالَوْا﴾ ^(٦) إلى قوله ﴿تَتَّقُونَ﴾.

سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ﴾ ^(٧) إلى
قوله: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ﴾ ^(٨).

سورة إبراهيم مكية، غير آيتين نزلتا في قتلى بدر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
كُفْرًا...﴾ ^(٩) الخ الآيتين.

سورة النحل، مكية إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ ^(١٠)
والباقي مدني.

(٢) سورة المؤمنون ١٢

(١) سورة الأنعام ٩٣

(٤) سورة الأنعام ٩٣

(٣) سورة المؤمنون ١٤

(٦) سورة الأعراف ١٦٣ - ١٧١

(٥) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣

(٨) سورة النحل ٤١

(٧) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩

سورة بنى إسرائيل مكية ، غير قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) يعنى ثقيفا، وله قصة ^(٢) .

سورة الكهف مكية ، غير قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ ^(٣) نزلت فى سلمان الفارسى ^(٤) .

سورة القصص مكية ، غير آية : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ^(٥) - يعنى الإنجيل - ﴿ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٥) يعنى الفرقان . نزلت فى أربعين رجلا من مؤمنى أهل الكتاب

(١) سورة الإسراء ٧٣

(٢) فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ : ٢٩٩ : « نزلت فى وفد ثقيف ، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا : متعنا بآلهتنا حتى نأخذ ما يهدى لها ؛ فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ؛ وحرمتنا وادبنا كما حرمت مكة ؛ حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ؛ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك ؛ فنزلت هذه الآية » .

(٣) سورة الكهف ٢٨

(٤) عن سلمان الفارسى قال : جاءت المؤمنة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وفزوه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يضنون سلمان وأباذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك ، فأقر الله : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا . وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ۖ ﴾ : فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتصق بهم حتى إذا أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى ، قال : « الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى ، معكم المحباو معكم المات » ، (أسباب النزول للواحدي ٢٢٥)

(٥) سورة القصص ٥٢

قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب فأسلموا ، ولهم قصة ^(١) .

سورة الزمر مكية ، غير قوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ ^(٢) الآية .

الحواميم كلها مكيات ، غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام ^(٣) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ ^(٤) .

الآيات المكية في السور المدنية

منها قوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... ﴾ ^(٥) الآية :

يعنى أهل مكة حتى يخرجك من بين أظهرهم . استقرت به الرواية .

سورة التوبة مدنية ، غير آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ... ﴾ ^(٦) الخ السورة .

سورة الرعد مدنية ، غير قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ إلى قوله : ﴿ جَمِيعًا ﴾ ^(٧)

سورة الحج مدنية ، وفيها أربع آيات مكيات : قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

(١) في تفسير ابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، عن ابن إسحاق : « قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلته عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ؛ فقالوا لهم : خيكم الله تعالى من ركب ! بشكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطعن بحالكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ؛ ما نعلم ركباً أحق منكم ! فقالوا لهم : سلام عليكم لانجاها لكم ؛ لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيراً .. »

(٢) الزمر ٥٣

(٣) في هذا خلاف ، ذكره ابن كثير في التفسير ٤ : ١٥٦ .

(٤) سورة الأنفال ٣٣

(٥) سورة الأحقاف ١٠

(٦) سورة الرعد ٣١

(٧) سورة التوبة ١٢٨

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : (عَقِيم) ^(١) وله قصة .
سورة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مكية لإِقْوَلِهِ : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ^(٢) إِلَى آخِرِهَا فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ ؛
كَذَا قَالَ مِقَاتِلُ بْنُ سَلِيمَانَ .

مَا حَمَلَ مِنَ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ

أَوَّلُ سُورَةٍ حَمَلَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ سُورَةُ يُوسُفَ ، انْطَلَقَ بِهَا عَوْفُ بْنُ عَفْرَاءَ فِي
الْثَمَانِيَةِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا ؛
وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَرَأَهَا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي بَنِي زُرَيْقٍ ، فَأَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ يَبُوتُ مِنْ
الْأَنْصَارِ . رَوَى ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ ثُمَّ حَمَلَ
بَعْدَهَا : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ ^(٣) إِلَى آخِرِهَا . ثُمَّ حَمَلَ بَعْدَهَا الْآيَةَ الَّتِي فِي الْأَعْرَافِ : ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ^(٤) إِلَى قَوْلِهِ ﴿تَهْتَدُونَ﴾ ^(٥) فَأَسْلَمَ عَلَيْهَا
طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَلَهُ قِصَّةٌ .

مَا حَمَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ

مِنْ ذَلِكَ الْأَنْفَالِ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ . ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ ^(٥)
الْآيَةُ ، وَذَلِكَ حِينَ أَوْرَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ كِتَابَ مُسْلِمٍ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
بِأَنَّ الْمَشْرُكِينَ عَيَّرُونَا قَتَلَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَالْأَسَارَى فِي الشَّهْرِ

(١) سورة الحج ٥٢ - ٥٥ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ص ٨٠ وما بعدها

(٢) سورة الماعون ٤

(٣) سورة الإخلاص ٣

(٤) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة البقرة ٢١٧ .

الحرام . فكتبَ بذلكَ عبدُ الله بن جَحْشٍ إلى مسلمي مكة : إِنْ عَيَّرُوكُمْ فَعَيِّرُوهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِكُمْ ^(١) .

ثم حلت آية الرِّبَا من المدينة إلى مكة في حضور ثَقِيف وبنى النخيلة إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ، فقرأ عتاب عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ^(٢) فَأَقْرَأُوا بِتَحْرِيمِهِ ، وتابوا وأخذوا رموس الأموال ، ثم حلت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة ، قرأ هُنَّ على بن أبي طالب رضى الله عنه يوم النحر على الناس ، وفي ترتيبها قصة ^(٣) .

ثم حَلَّتْ من المدينة إلى مكة ، الآية التي في النساء : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ عَفْوَاً غَفُوراً ﴾ ^(٥) فلا تعاقبهم على تخلفهم عن الهجرة ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها إلى مسلمي مكة ، قال جُندُعُ بن ضَمرة اللبني ، ثم أُلْجِدُعِي لبنيه - وكان شيخاً كبيراً : أَلَسْتُ من المستضعفين وأنى لا أهُتدى إلى الطريق ! فحمله بُنُوهُ على سريره متوجهاً إلى المدينة ، فمات بالتَّعْنِيمِ ^(٦) ، فبلغ أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم موته فقالوا : لو لِحِقَ بنا لكانَ أَكْمَلَ لأَجْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ^(٧) : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٨) إلى قوله ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ^(٩) ..

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري : (٤ : ٢٩٩ - ٣١٥) ، وتفسير القرطبي : (٣ : ٤٢ - ٤٣)

(٢) سورة البقرة ٢٧٨

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣ - ٣٦٣ - ٣٦٤

(٤) سورة النساء ٩٩

(٥) سورة النساء ٩٨

(٦) التعنيم : موضع على طريق المدينة يحرم منه المكيون بالعمرة (ياقوت)

(٨) سورة النساء ١٠٠

(٧) انظر تفسير القرطبي (٥ : ٣٤٩)

ما حمل من المدينة إلى الحبشة

هي ست آيات ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جعفر بن أبي طالب في خصومة الرهبان والقسيسين : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۖ ﴾^(١) ، فقرأها جعفر بن أبي طالب عليهم عند النجاشي ، فلما بلغ قوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ۖ ﴾^(٢) قال النجاشي : صدقوا ، ما كانت اليهودية والنصرانية إلا من بعده ، ثم قرأ جعفر : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾^(٣) الآية . قال النجاشي : اللَّهُمَّ إِنِّي وَلِيُّ لَأَوْلِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ ، وقال : صدقوا والمسيح ، ثم أسلم النجاشي وأسلموا .

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة آل عمران ٦٧

(٣) سورة آل عمران ٦٨ .

النوع العاشر معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله ففي صحيح البخارى فى حديث بدء الوحي ما يقتضى أن أول ما نزل ^(١) عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) ثم المدثر ^(٣) .

وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث عائشة رضى الله عنها صريحا وقال :
صحيح الإسناد .

ولفظ مسلم : « أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » .

ووقع فى صحيح البخارى إلى قوله : ﴿ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ^(٤) ؛ وهو مختصر ، وفى الأول زيادة ، وهى من الثقة مقبولة .

وقد جاء ما يعارض هذا ، فى صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » ^(٥) .

وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحي ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ؛ وليس كذلك ، نعم هى أول ما نزل بعد سورة ﴿ اقْرَأْ ﴾ وفترة الوحي ؛ لما ثبت فى الصحيحين ^(٥) أيضا عن جابر

(٢) سورة الطلق ١ - ٥

(١) ت : « أنزل »

(٣) صحيح البخارى (١ : ٦ - ٧) بسنده عن عائشة .

(٤) صحيح مسلم (١ : ١٤٤) بسنده عن يحيى

(٥) صحيح البخارى (١ : ٢٢٨) ، وصحيح مسلم (١ : ١٤٣) ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن

عن جابر ابن عبد الله الأنصارى .

رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه : « بينا ^(١) أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء ؛ فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجئنت ^(٢) منه [فرقا] ^(٣) فرجعت ، فقلت ، زملوني ، زملوني ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ . » .

فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة ، وأخبر في حديث عائشة أن نزول : ﴿ اقْرَأْ ﴾ كان في غار حراء ، وهو أول وحى ، ثم قتر بعد ذلك . وأخبر في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فَعَلِمَ بذلك أن ﴿ اقْرَأْ ﴾ أول ما نزل مطلقاً ، وأن سورة المدثر بعده ؛ وكذلك قال ابن جبان في صحيحه : لا تضاد بين الحديثين ؛ بل أول ما نزل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ بغار حراء ، فلما رجع إلى خديجة رضى الله عنها وصبت عليه الماء البارد ، أنزل الله عليه في بيت خديجة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فظهر أنه لما نزل عليه ﴿ اقْرَأْ ﴾ رجع فتدثر ، فأنزل عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وقيل أول ما نزل سورة الفاتحة ، روى ذلك من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الصوت انطلق هارباً ، وذكّر نزول الملك عليه وقوله قل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) إلى آخرها .

وقال : القاضي أبو بكر في " الانتصار " : وهذا الخبر منقطع ؛ وأثبت الأفاويل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، ويليهِ في القوة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . وطريق الجمع بين الأفاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وأول ما نزل

(١) صحيح مسلم : « بينا »

(٢) جئت : فرغت ، وفي صحيح البخاري : « فرعبت منه » .

(٣) من صحيح مسلم

(٤) فاتحة الكتاب ٢

من السور سورة الفاتحة . وهذا كما ورد في الحديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة »^(١) ، و « أول ما يقضى فيه الدماء »^(٢) وجميع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من "الم" التي بين العباد الدماء ، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل : أول ما نزل للرسالة : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ، وللنبوة : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ، فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام .

وذكر القاضي في "الاتصار" رواية : ثم نزل بعد سورة ﴿اقْرَأْ﴾ ثلاث آيات من أول نوح ، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أول سورة أنزلت « اقرأ » ، ثم نوح .

وذكر الحاكم في "الإكليل" ، أن أول آية أنزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٣) .

وروى في المستدرک عن ابن عباس : أول آية أنزلت فيه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ مُقَاتِلُونَ...﴾^(٤) الآية .

(١) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ١٩٣ عن الطبراني ، ولفظه : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » .

(٢) رواه البخاري في كتاب الديات (٤ : ١٨٦) ، ولفظه : « أول ما يقضى بين الناس في الدماء » .

(٤) الحج : ٣٩ .

(٣) التوبة : ١١١

وأما آخره فاختلفوا فيه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(١) .
وعن عائشة سورة المائدة . وقيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وقال السدى : آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٣) . وفى "صحيح البخارى" ، فى تفسير سورة براءة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ^(٤) ، وآخر سورة نزلت براءة .

وفى رواية غيره : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة النساء .
وذكر ^(٥) ابن الأنبارى عن أبى إسحاق عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ، ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ، ثم ساق سنده من طرق إلى ابن عباس : آخر آية أنزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، وكان بين نزولها ووفاة النبى صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يوما ، وقيل : تسع ليال . انتهى .

وفى مستدرک الحاكم عن شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، أنه قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٦) ثم قرأها إلى آخر السورة . ورواه أحمد فى المسند عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ثم قرأ إلى ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٥) . قال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، فحتم بما فتح به ، بالذى

(٢) سورة البقرة ٢٨١

(٤) سورة النساء ١٧٦

(٦) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

(١) سورة النصر ١

(٣) سورة التوبة ١٢٩

(٥) ت : « وروى » .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١) .

وقال بعضهم : روى البخارى : آخر ما نزل آية الربا .

وروى مسلم : آخر سورة نزلت جميعا : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ .

قال القاضى أبو بكر فى "الاتصاف" : وهذه الأقوال ليس فى شيء منها ما رفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .

ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده .

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية ، التى هى آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخر وتلاوته ، فيظن سماع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب .

النوع الحادى عشر معرفة على كم لغة نزل

ثبت فى الصحيحين^(١) من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأنى جبريلُ على حرف فراجعتُه ، ثم لم أزل^(٢) أستزيده فيزيدنى ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف » . زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام .

وأخرجنا أيضاً من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفى رواية : على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم -^(٣) فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأناها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرسله ، اقرأ » ، فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت » ، ثم قال لى : « اقرأ » ، فقرأت ، فقال : « هكذا أنزلت » ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ؛ فاقروه ما تيسر منه .

وأخرج مسلم نحوه عن أبى بن كعب ، وفيه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإني أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرفٍ ، فرددتُ إليه : أن هوِّن على أمتى ، فردَّ إلى الثانية :

(١) صحيح البخارى (٢٢٦:٣) ، وصحيح مسلم (٥٦١:١) بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٢) اللفظ فى الصحيحين : « ثم لم أزل »

(٣) فى البخارى : « فكذت أساوره فى الصلاة ، فصبرت حتى سلم ، فلبثته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ؟ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ... » .

أقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمي؛ فردّ، إلى الثالثة: أقرأه على سبعة أحرف، ولك^(١) بكل ردة ردّ تكلم مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمي. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم، حتى إبراهيم عليه السلام.

وأخرج قاسم بن أصبغ^(٢) في مصنفه من حديث القبري عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرءوا ولا حرج، ولكن لا تحتّموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة».

وأما ما رواه الحاكم في المستدرک عن سمرة يرفعه: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف» فقال أبو عبيد: تواترت الأخبار بالسبعة إلا هذا الحديث.

قال أبو شامة: يحتمل أن يكون معناه: إن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف، كحذره والرهب والصدق؛ فيقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذه القراءة المشهورة. أو أراد أنزل ابتداء على ثلاثة، ثم زيد إلى سبعة. ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يُقرأ على حرفين، وعلى ثلاثة، وأكثر، إلى سبعة أحرف، توسعة على العباد، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ المترادفة وما يقارب معناها.

وقال ابن العربي: لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها.

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان^(٣) البستي: اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً. وقد وقفت منها على كثير؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصر. والأكثر على أنه محصور في سبعة؛ ثم اختلفوا: هل هي باقية إلى الآن نقرأها؟

(١) في صحيح مسلم (١: ٥٦٢): «فلك».

(٢) هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البياضي الأندلسي، الحافظ؛ أحد أئمة الحديث بالأندلس. مات بقرطبة سنة ٣٠٤. (جذوة المقيس ٣١١ - ٣١٢).

(٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح؛ توفي سنة ٣٥٤. (شذرات الذهب ٣: ١٦).

أم كان ذلك أولاً؟ ثم استقر الحال بعده على قولين .

وقال القرطبي^(١) : إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك، ثم استقرّ على ما هو الآن - هم أكثر العلماء ، منهم سُفيان بن عيينة، وابن وهب، والطبري، والطحاوي . ثم اختلفوا : هل استقرّ في حياته صلى الله عليه وسلم ، أم بعد وفاته ؟ والأكثر على الأول ، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر ، وابن العربي ، وغيرهم ؛ ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر ، فأذن لكلّ منهم أن يقرأ على حرفه ، أي على طريقته في اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد وتدرّبت الألسن ، وتمكّن الناس من الاختصار على الطريقة الواحدة؛ فعارض جبريلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن مرّتين في السنة الآخرة، واستقرّ على ما هو عليه الآن ، فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاختصار على هذه القراءة التي تلقّاها الناس . ويشهد لهذا الحديثُ الآتي ، من مراعاة التخفيف على المجوز والشيخ الكبير ، ومن التصريح في بعضها، بأنّ ذلك مثل هلم، وتعال .

[القول في القراءات السبع]

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال :

أحدها : أنه من المشكل الذي لا يُدرى معناه ؛ لأن العرب تسمّى الكلمة المنظومة حرفاً ، وتسمّى القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المنقطع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً المعنى والجهة . قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي^(٢) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن في التفسير . توفي سنة ٦٧١هـ . (الديباج للذهب ٣١٧) .

(٢) أحد القراء ؛ كان يقرأ بقراءة حمزة ؛ ثم اختار لنفسه قراءة نبت إليه . توفي سنة ٢٣١هـ . (إنباه الرواة ٣ : ١٤٠) .

والثاني: - وهو أضعفها - أن المراد سبعُ قراءات؛ وحكى عن الخليل بن أحمد. والحرف
ها هنا القراءة، وقد بين الطبري في كتاب "البيان" ^(١) وغيره أن اختلاف القراء إنما هو
كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان
عليه المصحف.

وحكى ابن عبد البر ^(٢) عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبرتُ
وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة:

منها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ^(٣)
و﴿أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ^(٣) و﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ^(٤) و﴿وَيَضِيقَ صَدْرِي﴾ ^(٤).

ومنها ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا يتغير صورته كقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا﴾ ^(٥) و﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ^(٥).

ومنها ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا يتغير صورته، كقوله: ﴿كَيْفَ نُنْشِرُهَا﴾ ^(٦)
و﴿نُنْشِرُهَا﴾.

(١) انظر تفسير الطبري ١ : ٥٧ وما بعدها.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبي، صاحب كتاب الاستيعاب
وغیره. توفي سنة ٤٦٣. (شذرات الذهب ٣ : ٣١٤).

(٣) سورة هود ٧٨. وقراءة عامة القراء بالرفع، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر بالنصب على الحال،
(القرطبي ٩ : ٧٦).

(٤) سورة الشعراء ١٣. قرأ يعقوب بنصب القاف عطفاً على ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ قبلها، وقرأ
الباقي بالرفع على الاستئناف. (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١).

(٥) سورة سبأ ١٩؛ والأولى قراءة يعقوب، والثانية قراءة الباقي (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩).

(٦) سورة البقرة ٢٥٩. قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وخلف بالزاي، من الشز وهو
الارتضاع. والباقيون بالراء المهمله؛ من أنشر الله الموتى: أحيام؛ ومنه: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾.
وعن الحسن فتح النون وضم الشين، من «نشر» (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢).

ومنها ما تتغير صورته ولا يتغير معناه: ﴿كَالْمُهِنِ الْمَفُوشِ﴾^(١) و«الصوف المنفوش».

ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿طَلَحَ مَنْضُودٌ﴾^(٢) و«طلع».

ومنها بالتقديم والتأخير ك: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٣)، و«سكرة

الحق بالموت».

ومنها الزيادة والنقصان، مثل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٤) وصلاة

العصر. وقراءة ابن مسعود: ﴿تَسْعُ وَتِسْعُونَ نَفْجَةً﴾^(٥) أنثى. ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ

مُؤْمِنَيْنِ﴾^(٦)، وكان كافراً. قال أبو عمرو: وهذا وجه حسن من وجهه معنى الحديث.

وقال بعض المتأخرين: هذا هو المختار. قال: والأئمة على أن مصحف عثمان أحد الحروف

السبعة، والآخر مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: ﴿وَالذِّكْرُ وَالْأُنْثَى﴾^(٧) كما ثبت في

الصحيحين، ومثل قراءة ابن مسعود: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٨). وقراءة عمر: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٩)؛ والكلمة حق،

والمصحف المنقول بالتواتر مصحف عثمان، ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه المصاحف؛

وهو بضمة عشر حرفاً، مثل «الله الغفور» و«إن الله هو الغفور».

(١) سورة القارعة ٥

(٢) سورة الواقعة ٢٩

(٣) سورة ق ١٩

(٤) سورة البقرة ٢٣٨

(٥) سورة ص ٢٣

(٦) سورة الكهف ٨٠

(٧) سورة الليل ٣، وقراءة الجمهور: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وانظر تفسير القرطبي

٢: ٨١، وأحكام القرآن لابن عربي ٢: ٣٠٩

(٨) سورة المائدة ١١٨، وقراءة الجمهور: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(٩) سورة الجمعة ٩؛ وهي قراءة عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وقراءة الباقيين ﴿فَاسْمُوا إِلَى

ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

والثالث : سبعة أنواع ، كلُّ نوعٍ منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحائه ، فبعضها أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وقصص ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، وغيره .

قال ابنُ عبد البر : وفي ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعاً قال : « كان الكتابُ الأوَّلُ نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وآسر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلُّوا حلاله ، وحرَّموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمتشابهه ^(١) ، وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ^(٢) . قال : وهو حديثٌ عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه . وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال : هذا ^(٣) التفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف ^(٤) في هذه بمعنى الجهة والطريقة كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(٥) . وقال ابن عبد البر : قد ردَّه قوم من أهل النظر ، منهم أحمد بن أبي عمران ، قال : من أوَّلَه بهذا فهو فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرف منها حراماً لا ماسواً ^(٦) أو يكون حلالاً لا ماسواً ^(٦) ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنه حلال كُلُّه ، أو حرام كُلُّه ، أو أمثال كُلِّه . حكاه الطحاوي عنه أنه سمعه منه ، وقال : هو كما قاله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً فالإجماع على

(١) انظر مقدمة التفسير لابن عطية ٢٦٦ (٢) سورة آل عمران ٧

(٣) ابن عطية فيما نقل عن ابن الطيب « فهذا تفسير »

(٤) ابن عطية : « الحروف » (٥) سورة الحج ١١

(٦-٦) ساقط من م

أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة^(١) .

وقال الماوردي : هذا القول خطأ ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام ..

وقال البيهقي في " المدخل " : وقد روي هذا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا مرسل جيد ، وأبو سلمة لم يدرك ابن مسعود ، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود ، ثم قال : فإن صح هذا فمعنى قوله : « سبعة أحرف » أي سبعة أوجه ، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ ولكن المراد به اللغات التي أُميتت القراءة عليها ، وهذا المراد به الأنواع التي نزل القرآن عليها .

والرابع : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ؛ هذا ما لم يُسمع قط ، أي نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ،^(٢) وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة أزد وربيعة^(٣) ، وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر ، وكذلك سائر اللغات ؛ ومعانيها في هذا كله واحدة . وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحيى ثعلب ؛ وحكاها ابن دريد^(٤) عن أبي حاتم السجستاني^(٥) ، وحكاها بعضهم عن القاضي أبي بكر .

(١) مقدمة التفسير ٢٤١ (٢-٢) ساقط من م

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : صاحب كتاب الجهرة في اللغة وناظم القصورة ؛ توفي ببغداد سنة ٣٢١ . (إنباه الرواة ٣ : ٩٢) .

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ؛ صاحب البرد ؛ مات بالبصرة سنة ٢٥٥ . (إنباه الرواة ٢ : ٥٨) .

وقال الأزهرى^(١) في " التهذيب " : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ؛ فإنه أكثر أهل بلسانهم .

وقال البيهقي في " شعب الإيمان " : إنه الصحيح ، أى أن المراد ثمانية السبع ، التى هى شائعة فى القرآن . واحتج بقول ابن مسعود : سمعتُ القراء في جديتهم متقاربين ، اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدكم : هلم ، وتعال ، وأقبل . قال : وكذلك قال ابن سيرين .^(٢) قال : لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التى هى مثبتة فى المصحف الذى هو الإمام بإجماع الصحابة ، وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف ، وإن كانت جائزة فى اللغة ؛ وكأنه يشير إلى أن ذلك كان عند إنزاله ، ثم استقر الأمر على ما أجمعوا عليه فى الإمامة .

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾^(٣) .

قال ابن قتيبة : ولا نعرف فى القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه . وغلطه ابن الأنباري بحروف منها : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعْ وَيَلْمِزْ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٦) وقوله : ﴿ يَعْذَابِ بَيْتِيسِ ﴾^(٧) وغير ذلك .

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى ، صاحب كتاب التهذيب فى اللغة ، توفى سنة ٣٧٠ (الغريب : ٣٨)
(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى ، أحد فقهاء البصرة . توفى سنة ١١٠ . (ابن خلكان ٣٥٤ : ١)

(٣) سورة إبراهيم ٤

(٤) سورة المائدة ٦٠ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٠١

(٥) سورة يوسف ١٢ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢

(٦) سورة سبأ ١٩ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩

(٧) سورة الأعراف ١٦٥ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٣٢

وقال ابن عبد البر: قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر ؛ لأن ذلك من لغته التي طبع عليها . وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن يُنكر عليه عمر لغته .

ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثرها . وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قُرَيْش ، ثم بنو سعد بن بكر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم استُرضِعَ فيهم ، ونشأ وترعرع ، وهو مخالط في اللسان كنانة ، وهذيل ، وثقيفا ، وخزاعة ، وأسداً وضبةً وألفافها ،^(١) لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ، ثم من بعد هذه تمياً وقيساً ، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب .

قال قاسم بن ثابت^(٢) : إن قُلْنَا من الأحرف لقريش ، ومنها لكنانة ولأسد^(٣) وهذيل وتميم وضبة وألفافها ، وقيس ، لكانَ قَدَأَى على قبائل مضر في قراءات سبع تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن . وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة ، وسَلَت لغاتها من الدَّخَل^(٤) ، وبَسَرها الله لذلك ؛ ليظهر أنه نبيُّه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه . ويُثبت سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تفرقها الأمم .

وقيل : هذه اللغات السبع كلها في مُضَر ، واحتجوا بقول عثمان : نَزَلَ القرآن بلسان مُضَر . قالوا : وجاز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لضبة ، ولطابخة ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد .

قال أبو عمر بن عبد البر : وأنكر آخرون كون كل لغات مُضَر في القرآن ؛ لأن

(١) ت : « وأكفافها »

(٢) هو قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الأندلسي ؛ صاحب كتاب الدلائل في شرح غريب الحديث ومعانيه . (جذوة المتبس ٣١٢ ، وإنباء الرواة ١ : ٣٦٢)

(٣) ت : « وأسد »

(٤) الدخَل هنا : الفساد الطاريء على اللغة .

فيها شواذ لا يقرأ بها ، مثل كشكشة قيس ، وعنعنة تميم : فكشكشة قيس يجعلون كاف الموث شيئا ، فيقولون في : ﴿ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ مَرِيًّا ﴾ ^(١) : « رَبُّشِ تَحْتَشِ » ؛ وعنعنة تميم ويقولون في « أن » « عن » ، فيقروءون ﴿ فَعَسَى اللَّهُ » « عَنْ » يَأْتِي بِالْفَتْحِ ﴾ ^(٢) . وبعضهم يُبَدِّلُ السين تاء ، فيقول في « الناس » : « النات » . وهذه لغات يُرْغَبُ بالقرآن عنها . وما نقل عن عثمان معارض بما سبق أنه نزل بلغة قریش ؛ وهذا أثبتُّ عنه ؛ لأنه من رواية ثقات أهل المدينة .

وقد يُشَكِّلُ هذا القول على بعض الناس فيقول : هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟ فيقال له : إنما يلزم هذا إن قلنا : إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عَرَضَةٍ بحرف إلى أن تمر سبعة . وقال الكلابي : خمسة منها لهوازن ، وثنان لسائر الناس .

والخامس : المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة ، بالألفاظ المختلفة ، نحو أقبل ، وهلم ، وتعال ، ومجئ ، وأسرع ، وأنظر ، وأخر ، وأمهل ونحوه . وكاللغات التي في « أف » ونحو ذلك . قال ابن عبد البر : وعلى هذا القول أكثر أهل العلم ؛ وأنكروا على مَنْ قال : إنها لغات ؛ لأنَّ العرب لا تركَّب ^(٣) لغة بعضها بعضا ، ومحال أن يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لفته . وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ : ﴿ كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ ^(٤) « سَعَوْا فِيهِ » ^(٥) . قال : فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث ؛ منهم سفيان بن عيينة ، وابن وهب ، ومحمد بن جرير الطبري ، والطحاوي وغيرهم . وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد .

(٢) سورة المائدة ٥٢

(١) سورة مريم ٢٤

(٤) سورة البقرة ٢٠

(٣) ت : « تركب »

(٥) في الإتيان ١ : ٤٧ « مروا فيه سعا فيه »

وقال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ؛ وليست تختلف في حلال ولا حرام .

واحتج ابن عبد البر بحديث سلمان بن صرد عن أبي بن كعب قال : قرأ أبي آية ، وقرأ ابن مسعود آية خلافها ، وقرأ رجل آخر خلافهما ، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ألم تقرأ آية كذا؟ وقال ابن مسعود : ألم تقرأ آية كذا؟ فقال : « كلكم محسن مجمل » . وقال : « يا أباي ، إني أقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال لي الملك : على حرفين ، فقلت : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال : على ثلاثة ؛ هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس فيها إلا شافٍ كافٍ . قلت غفوراً رحيماً ، أو قلت سميعاً حكيماً ، أو قلت عليماً حكيماً ، أو قلت عزيزاً حكيماً ، أي ذلك قلت فإنه كذلك » .

قال أبو عمر : إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معانٍ متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجهٍ خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده .

وكذلك حديث أبي بكرة قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف ، فقال : اقرأه ، فكل شافٍ كافٍ ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، وآية عذاب بآية رحمة ، نحو هلم ، وتعال ، وأقبل ، واذهب ، وأسرع ، وعجل .

وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب ، أنه كان يقرأ : ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا نَظْرُونَ ﴾^(١) : « أمهلونا أخرجونا ، ارقبونا » و﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ ﴾^(٢) « مروافيه ، سعوافيه » . قال أبو عمر : إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو فيها حرف واحد ، وعلى هذا أهل العلم .

قال : وذكر ابن وهب^(١) في كتاب الترغيب من "جامعه" ، قال : قيل لمالك : أترى أن تقرأ مثل ماقرأ عمر بن الخطاب : ﴿فَانصُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢) ، قال : جائز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فافقهوا ما تيسر منه » ، ومثل «يعلمون» ، و « تعلمون » ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأسا ، وقد كان الناس ولم مصاحف .

قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ؛ فقال لي : ذَهَب . وأخبرني مالك قال : أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا : ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ﴾^(٣) ، فجعل الرجل يقول : « طعام اليتيم » ، فقال : « طعام الفاجر » ، فقلت لمالك : أترى أن يقرأ بذلك ؟ قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعا .

قال أبو عمر : معناه عندي أن يُقرأ به في غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة ؛ لأنَّ ماعدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ؛ وإنما يجري مجرى خبر^(٤) الآحاد ؛ لكنه لا يقدم أحدٌ على القطع في رده .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ مما يخالف المصحف : لم يُصلِّ وراه .

قال : وعلماء مكِّيُّون مجمعون على ذلك إلا شذوذا لا يعرج عليه منهم إلا عثمان . وهذا كله يدلُّ على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرفُ زيد بن ثابت الذي جمع عثمان عليه المصاحف .

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، صاحب الامام مالك ، توفي بمصر ١٩٧ (ابن خلكان ٢٤٩ : ١) .

(٢) سورة الجمعة ٩ وانظر ص ٢١٥ حاشية ٩ من هذا الجزء .

(٣) الدخان ٤٣ ، ٤٤ . وقوله الزختمري في الكشاف ٢ : ٣٦٢ - ٣٦٣ عن أبي الدرداء أنه

كان يقرئ رجلا فكان يقول : « طعام اليتيم » فقال : قل : « طعام الفاجر » .
(٤) ت : « أخبار الآحاد » .

السادس : أن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أَفَإِن لَّكُمْ ﴾ ^(١) ؛ فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجر والرفع ؛ وكل وجه : التنوين وغيره . وسابغها الجزم . ومثل قوله : ﴿ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ ﴾ ^(٢) ؛ ونحوه ، ويحتمل في القرآن تسعة أوجه ، ولا يوجد ذلك في الآيات .

قال ابن عبد البر : وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكمالاته وآياته كلها أن تُقرأ على سبعة أحرف ؛ ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن تُقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ؛ مثل ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ ^(٣) و ﴿ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ ^(٤) و ﴿ عَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ ^(٥) ونحوه ، وذلك ليس هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وهذا المجموع في المصحف : هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف واحد منها ؟ مِثْلُ القاضي أبي بكر إلى أنه جميعها ، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثر من بعده بأنه حرف منها ، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر ، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه .

* * *

والسابع : اختاره القاضي أبو بكر ، وقال : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف ،

(٢) سورة مريم ٢٥

(١) سورة الأنبياء ٦٧

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٥) سورة الأعراف ١٦٥

وأخبروا بصحتها ؛ وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا ، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة ، وألفاظها أخرى ، وليست متضادة ولا منافية .

والثامن : قول الطحاوى ، أن ذلك كان فى وقت خاص لضرورة دعت إليه ؛ لأن كل ذى لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لفته ، ثم لما كثر الناس والكتاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد .

والتاسع : أن المراد علم القرآن يشتمل على سبعة أشياء : علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١) .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ^(٣) .

وعلم التنزيه ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٤) . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٥) .

وعلم صفات الذات ، كقوله : ﴿ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ ﴾ ^(٦) . ﴿ أَلَمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ ^(٧) .
وعلم صفات الفعل ، كقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ ^(٨) . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٩) . ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ^(١١) .

(٢) سورة الإحلاس ١

(٤) سورة النحل ١٧

(٦) سورة النافقون ٨

(٨) سورة النساء ٣٦

(١٠) سورة البقرة ٤٣

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة البقرة ١٦٣

(٥) سورة الشورى ١١

(٧) سورة الجمعة ١

(٩) سورة النساء ١

(١١) آل عمران ١٣٠

وعلم العفو والعذاب، كقوله: ﴿وَمَنْ يَفْرِغْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١). ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٢).
وعلم الحشر والحساب؛ كقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾^(٣). ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٤).
وعلم النبوات. كقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(٥). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٦).
والإمامات كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٧). ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾^(٨). ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾^(٩).

والعاشر أن المراد به سبعة أشياء: المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ، والنسوخ، والجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه، حكاها أبو المعالي بسند له عن أئمة الفقهاء.

والحادى عشر، حكاها عن أهل اللغة، أن المراد الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار، والكناية والحقيقة والجاز، والجمل والمفسر، والظاهر، والغريب.

والثانى عشر، وحكاها عن النحاة، أنها التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) سورة المجز ٤٩ ، ٥٠

(٤) سورة الإسراء ١٤

(٦) سورة إبراهيم ٤

(٨) سورة النساء ١١٥

(٣) سورة غافر ٥٩

(٥) سورة النعام ١٦٥

(٧) سورة النساء ٥٩

(٩) سورة آل عمران ١١٠

والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى ، ومالا يختلف في الأداء واللفظ جميعا .

والثالث عشر ، حكاة عن القراء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها : من إظهار ، وإدغام ، وتفخيم ، وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومدّ وقصر ، وتخفيف وتلين ، وتشديد .

والرابع عشر ، وحكاة عن الصوفية أنه يشمل على سبعة أنواع من المبادلات ، والمعاملات ، وهى الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدعة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة .

وقال ابن حبان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسر في إزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(١) ، فلو كان تعالى أنزله على حرف واحد لا نعكس المقصود . قال : وهذه السبعة التى تتداولها اليوم غير تلك ، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة ؛ وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم ؛ لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ؛ ولم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه الأحرف ؛ ولم يكلفنا الله ذلك ؛ غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة . وقال بعض المتأخرين : الأشبهُ بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ؛ وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ؛ من الإظهار والإدغام

والإمالة والتفخيم والإشمام والهمز والتلين والمد ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(١) ، أى على وجه واحد ؛ وهو أن يعبد في السراء دون الضراء ؛ وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة ؛ فإنها كلها صحّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ؛ فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ، ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها ، واشتهرت عنه ونُسبت إليه ؛ فقل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره ، بل سوغه وحسنه ؛ وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختيران وأكثر ؛ وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صحّ عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة ؛ إذا لو كُلف كل فريق منهم ترك لفته والعدول عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتلين ، والمد ، وغيره لثَقَّ عليهم . ويشهد لذلك ما رواه الترمذى عن أبي بن كعب أنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال : « يا جبريل ، إني بُعِثْتُ إلى أمة أميين ؛ منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ؛ فقال : يا محمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وقال : حسن صحيح .

النوع الثاني عشر في كيفية إنزاله

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(٢) .

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال :

أحدها أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة .

والقول الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة ، وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة . وقيل : في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة ، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل سنة ، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والقول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الأول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون ؛ ويؤيد ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج النَّسَائِيّ في التفسير من جهة حَسَّان عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال :
فُصِّلَ القرآن من الذِّكْرِ فَوُضِعَ في بيت العِزَّة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على
النبي صلى الله عليه وسلم . وإسناده صحيح ، وحسَّان هو ابن أبي الأشرس ، وثقه النَّسَائِيّ وغيره .
وبالثاني قال مقاتل والإمام أبو عبد الله الحليّ (١) في " المنهاج " ، والمأوردى في " تفسيره " .
وبالثالث قال الشعبي وغيره .

واعلم أنه اتفق أهلُ السنة على أن كلام الله منزَّل ، واختلفوا في معنى الإنزال ،
ف قيل : معناه إظهار القرآن ، وقيل : إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء ، وهو عالٍ
من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل أذاه في الأرض وهو يهبط في المكان .

والتنزيل له طريقان : أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخَلَعَ من صورة
البشرية إلى صورة الملائكة (٢) وأخذه من جبريل . والثاني أن الملك انخَلَعَ إلى البشرية
حتى يأخذ الرسول منه ؛ والأول أصعب الحالين .

ونقل بعضهم عن السمرقندي حكاية ثلاثة أقوال في النزول على النبي صلى الله
عليه وسلم ما هو :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .
وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ؛ كلُّ حرف منها بقدر جبل قاف ، وأن
تحت كلِّ حرفٍ معانٍ لا يحيط بها إلا الله عز وجل ، وهذا معنى قول الغزالي : إن هذه
الأحرف سترة لمعانيه .

(١) هو أبو عبد الله حين بن الحسن الحليّ الجرجاني التوفي سنة ٤٠٣ ؛ وكتابه التهاج فيه أحكام
كثيرة ؛ ومائل فقهي مما يتعلق بأصول الإيمان ، رتب على سبعة وسبعين باباً على أن للإيمان بسبعة وسبعين
شعبة . (كشف الظنون ١٨٧١) .

(٢) ط ، م : « الملكة » .

والثاني أنه إنما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاني خاصة ، وأنه صلى الله عليه وسلم عِلِمَ تلك المعاني وعَبَّرَ عنها بلغة العرب ؛ وإنما تَمَسَّكُوا^(١) بقوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) .

والثالث أن جبريل صلى الله عليه وسلم إنما أَلْقَى عليه المعنى ، وأنه^(٣) عَبَّرَ بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك .

فإن قيل : ما السرُّ في إنزاله جملة إلى السماء ؟ قيل : فيه تفخيم لأمره ، وأمرٍ مَنْ نزل عليه ؛ وذلك بإعلان^(٤) سكان السموات السبع أن هذا آخرُ الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ؛ وأتقد صرفناه إليهم لِيُنَزِّلَهُ عليهم . ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجِّمًا بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة .

فإن قيل : في أى زمان نزل جملة إلى سماء الدنيا ؛ بعد ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها ؟ قلت : قال الشيخ أبو شامة : الظاهر أنه قبلها ، وكلاهما محتمل ؛ فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ما ذكرناه ، وإن كان قبلها فقائدته أظهر وأكثر .

فإن قلت : قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٥) ، من جملة القرآن الذي نَزَلَ جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه فما نَزَلَ جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟ قلت : ذكر فيه وجهين : أحدهما أن يكون معنى الكلام : ما حَكَّمْنَا بإنزاله في القدر وقضائه وقدَّرناه في الأزل ونحو ذلك . والثاني أن لفظه لفظُ الماضي ومعناه الاستقبال ؛ أى ينزل جملة في ليلة مباركة هي ليلة القدر ، واختير لفظُ الماضي ؛ إمَّا لتحقيقه وكونه لا بُدَّ منه ؛ وإمَّا لأنه حال اتصاله بالمنزل عليه يكون المضى في معناه محققاً ؛ لأن نزوله منجِّمًا كان بعد نزوله جملة .

(١) الإتيان ١ : ٤٣ : « وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى :

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ . (٣) ط ، م ، « وإنما »

(٥) ط : « يا علام »

(٤) سورة القدر ١ .

فإن قلت : ما السرُّ في نزوله إلى الأرض منجماً ؟ وهلاً نزل جملة كسائر الكتب ؟ قلت : هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه ؛ فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(١) ، يعنون : كما أنزل على مَنْ قبله من الرسل . فأجابهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ، أى أنزلناه كذلك مفرقاً لنثبت به فؤادك ﴿ ، أى لنقوى به قلبك ؛ فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ؛ ويستلزم ذلك لثبته نزول الملك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز ، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام .

وقيل : معنى ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؛ ففرّق عليه ليسر ^(٢) عليه حفظه ؛ بخلاف غيره من الأنبياء ؛ فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة .

فإن قلت : كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي صلى الله عليه وسلم دفعة . قلت : ليس كل ممكن لازم الوقوع ؛ وأيضاً في القرآن أجوبة عن أسئلة ؛ فهو سبب من أسباب تفرق النزول ؛ ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً . وقال ابن فورك ^(٣) : قيل أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب وهو موسى - وأنزل القرآن مفرقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي . وقيل مما لم ينزل لأجله جملة واحدة أن منه الناسخ والمنسوخ ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور ، ومنه ما هو إنكار لما كان . انتهى .

(٢) ط ، م : « لثبت عليه » .

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأديب المتكلم الأصولي ؛ روي أنه بلفت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المائة . توفي سنة ٤٠٦ . وفورك بالقاء المضمونة والواو الساكنة والراء المفتوحة والكاف . (إنباء الرواة ٣ : ١١٠ ، تبين كذب المفتري ٢٣٢ ، التاج - فورك) .

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة؛ وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ؛ فقليل عشر ، وقليل ثلاث عشرة، وقليل خمس عشرة . ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر . وكان كلما أنزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته ويقول : في مفترقات الآيات . « ضعوا هذه في سورة كذا » ، وكان يعرضه جبريل في شهر رمضان كل عام مرة ، وعام مات مرتين .

وفي صحيح البخاري : قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما : أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى « أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضوراً أجلى » .

وأسنده البخاري في مواضع . وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف فاعتكف عشرين بعد أن كان يعتكف عشراً .

النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم

[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

روى البخاري في صحيحه^(١) : عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة^(٢) ، فإذا عمر [بن الخطاب]^(٣) عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ؛ وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالمواطن^(٤) ، فيذهب كثير من القرآن ؛ وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير^(٥) . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ؛ وقد رأيت^(٦) في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهملك^(٧) ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن واجمه . قال زيد : فوالله لو كلفني^(٨) نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من العُصب^(٩) واللِّخاف^(١٠) وصُدور

(١) في كتاب فضائل القرآن .

(٢) فيها استشهاد من الصحابة نحو أربعمائة وخمسين ، وجملة القتلى من المسلمين نحو ألف ؛ وانظر تاريخ الطبري حوادث سني ١١ ، ١٢ .

(٣) من صحيح البخاري .

(٤) في الصحيح : « بالقراء في المواطن » .

(٥) في الصحيح : « هذا واتخير » . (٦) في الصحيح : « ورأيت » .

(٧) في الصحيح : « لا تهملك » .

(٨) في الصحيح : « لو كلفوني » . (٩) العُصب : جريد النخل إذا نحى عنه خوصه .

(١٠) اللِّخاف : حجارة بيضاء عريضة رقائق ، واحدها لُخفة .

الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾^(١) مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره فالحقها في سورتها ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وفي رواية قال ابن شهاب^(٢) : وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول : قَدَّتْ آيَةٌ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمَصْحَفَ ؛ قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٣) فالحقها في سورتها . وخزيمة الأنصاري شهادته بشهادتين . وقول زيد : « لم أجدها إلا مع خزيمة » ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد ؛ لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها ، فلما سمع ذكره . وتتبعه للرجال كان للاستظهار ، لا لاستحداث العلم . وسيأتي أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ؛ والمراد أن هؤلاء كانوا اشتهروا به ، فقد ثبت أن غيرهم حفظه ، وثبت أن القرآن مجموعه محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، مؤتمرا على هذا التأليف ، إلا سورة براءة .

قال ، ابن عباس : قلت لعثمان : ما حاكم أن عدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المثني ؛ فقرتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟ قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وتنزل عليه السور ، وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن (٣) سورة الأحزاب ٢٣ .

التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت « الأنفال » من أوائل ما نزل من المدينة ، وكانت « براءة » من آخر القرآن ؛ وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، ثم كتبت . ثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد ؛ لأن النسخ كان يردُّ على بعض ^(١) ، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض ^(٢) لأدّى إلى الاختلاف واختلاط الدين ، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين .

[نسخ القرآن في المصاحف]

واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف ؛ وليس كذلك لما يتناه ، بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق ، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف : هكذا نقله البيهقي .

قال : وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر والنسخ في المصاحف في زمن عثمان ، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم ، بما كان مثبتاً في صدور الرجال ، وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاه على بن أبي طالب ، وحيد أثره فيه .

وذكر غيره أن الذي استبدَّ به عثمان جمع الناس على قراءة محصورة ، والمنع من غير ذلك ، قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » : لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لَوْحَيْنِ ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت

(٢) ت ، ط : « بعضه » .

(١) ت ، ط : « عليه » .

مع تنزيل ، ومنسوخ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد . انتهى .

وقد روى البخارى في صحيحه ^(١) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدّم على عثمان ، وكان يغزى أهل الشام في فتح إزمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال [حذيفة] لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [في الكتاب] ^(٢) [اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص . والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقا في السُّبِّ واللَّعْنِ وَصُدُّوا الرجال ، فحافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدّموا شيئا أو أخرّوا . وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم بتوقيفٍ لم على ذلك ؛ وأن هذه الآية عقب تلك الآية ؛ فثبت أن سعى الصحابة في جمعه في موضع واحد ، لا في ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ،

(٢) من صحيح البخارى .

(١) في كتاب فضائل القرآن .

كما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٢) ، ثم كان ينزل مفرقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(٣) فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن في الأمة ، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلا وتحقيقا لوعده بحفظه ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) وزال بذلك الاختلاف ، وانفتحت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض ، فيه ، وكان زيد قد شهد العرصة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمد الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس في " المسائل الخمس " : جُمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور ، كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمثلين ؛ فهذا الضرب هو الذي تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر - وهو جمع الآيات في السور - فهو توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحاكم في المستدرك : وقد روى حديث عبد الرحمن بن شماس عن زيد بن ثابت قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ... الحديث ، قال : وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدا ، فقد جُمع بعضه بحضرة النبي

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة القدر ١ .

(٣) سورة الإسراء ١٠٦ .

(٤) سورة الحجر ٩ .

صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة الصديق ؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان في خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسب^(١) في كتاب " فهم السنن " :
كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعُسب ؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشر ، فجعلها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف مُعجز ونظم معروف ، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فكان تزويد ما ليس منه مأمونا ؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه .

فإن قيل : كيف لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؟ قيل : لأن الله تعالى كان قد أئتمنه من النسيان بقوله : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢) أن يرفع حكمه بالنسخ ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن ، فأحدث بضبطه ما لم يحتاج إليه قبل ذلك .

وفي قول زيد بن ثابت : « فجعلته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال » ما أوهم بعض الناس أن أحدا لم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن من قال : إنه جمع القرآن أبي بن كعب وزيد ليس بمحفوظ . وليس الأمر على ما أوهم ؛ وإنما طُلب القرآن متفرقا ليعارض بالمجتمع عند من بقي ممن جمع القرآن ليشترك الجميع في علم ما جمع

(١) أحد رجال الصوفية ؛ ذكره ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة (٢ : ٢٠٧) ؛ وقال : إنه

توفي سنة ٢٤٣ .

(٢) سورة الأعلى ٦ ، ٧ .

فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودع المصحف ، ولا يشكوى أنه يُجمع عن ملأٍ منهم .

فأما قوله : « وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت ، ولم أجدها مع غيره » ؛ يعنى ممن كانوا فى طبقة خزيمة ممن لم يجمع القرآن .

وأما أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومُعَاذ بن جبل ؛ فبغير شك جمعوا القرآن ، والدلائلُ عليه ^(١) متظاهرة ، قال : ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن فى كتاب ، إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن . قال : ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التى كتب منها القرآن كانت عند الصديق لتكون إماما ولم تُفارق الصديق فى حياته ، ولا عمر أيامه . ثم كانت عند حفصة لا تُسكن منها ، ولما احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها فى أيام عثمان ؛ فأخذ ذلك الإمام ، ونسخ فى المصاحف التى بعث بها إلى الكوفة ، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون ^(٢) من قراءتهم المختلفة ، حتى خيف الفساد فجمعوا على القراءة التى نحن عليها . قال : والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ، وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيارٍ وقع بينه وبين مَنْ شَهِدَهُ من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات والقرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن ؛ فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق ؛ روى عن على أنه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أول مَنْ جَمَعَ بين اللوحين ، ولم يحتج الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر إلى جمعه على وجه ما جمعه عثمان ؛ لأنه لم يحدث فى أيامهما من الخلاف فيه ما حدث فى زمن عثمان ؛ ولقد وُقِّىَ لأمر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة .

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرَقَ المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعَمَى ، فإنَّ هذا من فضائله وعلمه ؛ فإنه أصلح ، ولمَّ الشَّعْث ، وكان ذلك واجباً عليه ، ولو تركه لَعَصَى ، لما فيه من التضییع ؛ وحاشاه من ذلك . وقولهم : إنه سَبَقَ إلى ذلك ممنوع لما بيَّناه أنه كُتِبَ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الرَّقَاع والأَكْتاف ؛ وأنه في زمن الصديق جَمَعَهُ في حرف واحد .

قال : وأما قولهم : إنه أحرَقَ المصاحف ؛ فإنه غير ثابت ، ولو ثبت لوجب حمله على أنه أحرَقَ مصاحف قد أودعتْ مالا يحل قراءته .

وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاعٍ في التنزيل ، ولم يحرق إلَّا ما يجب ^(١) إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحدٌ ذلك ، بل رضوه وعدَّوه من مناقبه ، حتى قال عليّ : لو وليت ما وليَ عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل . انتهى ملخصاً .

فائدة

[في عدد مصاحف عثمان]

قال أبو عمرو الداني في "المقتنع" : أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ؛ وبعث إلى كل ناحية واحداً : الكوفة والبصرة والشام ، وترك واحداً عنده . وقد قيل : إنه جعله سبع نسخ ، وزاد : إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين . قال : والأول أصحّ وعليه الأئمة .

فصل

في بيان من جمع القرآن حفظاً

[من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

حفظه في حياته جماعة من الصحابة ، وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالنون حدّ التواتر ، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذى والمستدرک وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمانُ وهو ينزلُ عليه الشُّورُ ذواتُ العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعضَ مَنْ كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ، قال الترمذى : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلُّهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد . وفي رواية : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال الحافظ البيهقى في كتاب " المدخل " : الرواية الأولى أصح ، ثم أسند عن ابن سيرين قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبو الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتيمم الدارى .

وعن الشعبي ، جمعة ستة : أبى ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . وجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة . قال : ولم يجمعه أحدٌ من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب " الانتصار " الكلام في تحلة القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك ؛ ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلة باليمامة ؛ وذلك في أول خلافة أبي بكر ، وما في الصحيحين : قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة ؛ كانوا يُسمون القراء . ثم أول القاضي الأحاديث السابقة بوجوه منها : اضطرابها ، وبين وجه الاضطراب في التدد وإن خُرِجَتْ في الصحيحين ، مع أنه ليس منها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ومنها بتقرير سلامتها ؛ فالمعنى : لم يجمع على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك النفر . ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة . ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ من فيه تلقيا غير تلك الجماعة ، وغير ذلك .

قال الماوردي : وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكله سوى أربعة ، والصحابة متفرقون في البلاد ! وإن لم يكله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون .

قال الشيخ : وقد سمي الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة في أول كتاب القراءات له ، فسمي عددا كثيرا .

قلت : وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي^(١) في كتاب " معرفة القراء^(٢) " ، ما يبين ذلك ، وأن هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم ، واتصلت بنا أسانيدهم ، وأما من جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير فقال : ذُكر الذين عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وهم سبعة : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب - وقال الشعبي :

(١) هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الترمكاني الذهبي ؛ ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ (الدرر الكامنة ٢ : ٢٩٨) .

(٢) هو كتاب طبقات القراء ؛ ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣٧ تاريخ - عن نسخة كبريلي رقم ١١١٦ ؛ وهذا النص موجود في أول مقدمة الكتاب ، ونقله الزركشي باختصار وتصرف .

لم يجمع القرآن أحدٌ من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ؛ ثم ردّ على الشعبيّ قوله : بأن
عاصماً قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ - وأبيّ بن كعب - وهو أقرأ من أبي بكر
وقد قال : يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله وهو مشكل - . وعبد الله بن مسعود ، وأبيّ ،
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الدرداء .

قال : وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ، كما ذنب جيل وأبي زيد ، وسالم مولى أبي
حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ؛ ولكن لم تتصل بنا قراءتهم ، قال : وقرأ على
أبيّ جماعة من الصحابة ؛ منهم أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن السائب .

النوع الرابع عشر معرفة تقسيمه بحسب سورته وترتيب السور والآيات وعددها

[تقسيم القرآن بحسب سورته]

قال العلماء رضى الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام : الطول ، والمثنون ، والمثنائى ، والمفصل .
وقد جاء ذلك فى حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشر عن قتادة عن
أبى المليلح ، عن واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أعطيت السبع الطُّول
مكان التوراة ، وأعطيت المثنى مكان الإنجيل ، وأعطيت المثنائى مكان الزبور ، وفُضِّلَ بالمفصل » .
وهو حديث غريب ، وسعيد بن بشر فيه لين . وأخرجه أبو داود الطيالسى فى
مسنده عن عمران عن قتادة به .

فالسبع الطُّول أولها البقرة ، وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يعدّون الأنفال وبراءة سورة
واحدة ، ولذلك لم يَفْصَلوا بينهما ؛ لأنهما نزلتا جميعا فى منازى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسميت طُولا لطولها . وحكى عن سعيد بن جبیر أنه عدَّ السبع الطُّول : البقرة ، وآل عمران
والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

والطُّول ، بضم : الطاء جمع طُولَى ، كالكبیر جمع كُبْرَى . قال أبو حيان التوحيدى :
وكسرُ الطاء مرذول .

والمثنون : ما ولى السبع الطُّول ؛ سميت بذلك لأنَّ كلَّ سورة منها تزيد على مائة آية
أو تقاربها .

والثاني : ما ولى المثنى ؛ وقد تُسمَّى سور القرآن كلها مثنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾ ^(٢) .

وإنما سمي القرآن كله مثنى لأن الأنباء والقصص تُتَنَّى فيه . ويقال : إن المثنى في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾ ^(٢) هي آيات سورة الحمد ، مماها مثنى لأنها تُتَنَّى في كل ركعة .

والفصل : ما يلي الثاني من قصار السور ؛ سُمِّي مفصلاً لكثرة الفصول التي بين السور بيسم الله الرحمن الرحيم . وقيل : لقلة المنسوخ فيه . وآخره : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، وفي أوله اثنا عشر قولاً :

أحدها : الجاثية .

ثانيها ، القتال ؛ وعزاه الماوردي للأكثرين .

ثالثها : الحجرات .

رابعها : ق ؛ قيل : وهي أوله في مصحف عثمان رضي الله عنه . وفيه حديث ذكره الخطابي في غريبه ، يزويه عيسى بن يونس قال : حدثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفي قال : حدثني عمر بن عبد الله بن أوس بن حذيفة عن جده أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد قميف فسمع [من] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحزب القرآن . قال : وحزب المفصل من « ق » . وقيل : إن أحد رواه في السند . وقال الماوردي في تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة ؛ للحديث المذكور .

الخامس : الصافات .

السادس : الصف .

السابع : تبارك . حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصيف اليمنى في : « نكت التنبيه » ،^(١)

الثامن : ﴿ إنا فتحنا لك ﴾ ؛ حكاه الذممارى في شرح « التنبيه » المسمى : « رفع التمويه » ،^(٢)

التاسع : ﴿ الرحمن ﴾ ، حكاه ابن السّيد في أماليه على « الموطأ » ، وقال : إنه كذلك في مصحف ابن مسعود . قلت : رواه أحد في مسنده كذلك .

العاشر : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر ﴾ .

الحادى عشر : ﴿ سبّح ﴾ ؛ حكاه ابن الفركاح^(٣) في تعليقه عن المرزوقى .

الثانى عشر : ﴿ والضحى ﴾ ، وعزاه الماوردى لابن عباس ؛ حكاه الخطابى في غريبه ؛ ووجهه بأنّ القارىء يفصل بين هذه السور بالتكبير . قال : وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة .

والصحيح عند أهل الأثر أن أوله « ق » ؛ قال أبو داود في سننه في باب تحزيب القرآن : حدثنا مسدد ، حدثنا جرار بن تمام . ح . وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان - وهذا لفظه - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جدّه أوس ، قال عبد الله بن سعيد في حديث أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : [في]^(٤) وقد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبه ، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك في قبة له - قال مسدد : وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٩٣ ؛ وهو نكت على كتاب التنبيه في فروع الشافية لأبى إسحاق الشيرازى .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون : ص ٤٩٠

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٨٩ . (٤) من ابن ماجه .

عليه وسلم من ثقيف - قال : كان ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد : فأما على راحلته - ثم يقول : « لا سواء ، كنا مستضعفين ^(٢) مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ؛ ندال عليهم ويدالون علينا ، فلما كانت ليلة ، أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلت : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : إنه طرأ على حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجي حتى آتته . »

قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تُحزَّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده ..

رواه ابن ماجه ^(٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به . ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي به .

وحينئذ فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة « ق » .

بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء . وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأفقال ، وبراءة . وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل . وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان . وإحدى عشر : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وآل السجدة ، والأحزاب ، وسبا ، وفاطر ، ويس . وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وحَم السجدة ، وحَم عَسَق ، والزخرف ، والدخان ، والجنات ، والأحقاف ، والقتال ،

(١ - ١) اللفظ في ابن ماجه : « فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا فأما على رجليه حتى يراوح بين رجليه ، وأكثر ما يحدثنا ما أتى من قومه من قریش ويقول : ولا سواء ، كنا مستضعفين مستذلين . »
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الإقامة ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، باب في كم يستحب يحتم القرآن .

والفتح ، والحجرات ، ثم بعد ذلك حزب المفصل - وأوله سورة « ق » وأما آل حاميم فإنه يقال : إن حم اسم من أسماء الله تعالى ، أضيفت هذه السورة إليه ؛ كما قيل : سور الله لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله ، قال الكيت :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوِلُهَا مَنَاتِقِي وَمُعَرِّبٌ^(١)

وقد يُجعل اسما للسورة ويدخلُ الإعراب عليها ويُصرف. ومن قال هذا قال في الجمع : الحواميم ؛ كما يقال : طَس والطواسين . وكرِه بعضُ السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : الحواميم ؛ وإنما يقال : آل حم .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن لكل شئ لبابا وللباب القرآن حم - أو قال : الحواميم .

وقال مستقر بن كدام : كان يقال لمن العرائس ؛ ذكر ذلك كله أبو عبيد في فضائل القرآن .

وقال محمد بن زنجويه : ثنا عبد الله ، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبي عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد منزلا ، فمر بأثر غيث ؛ فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات ديمثات ؛ فقال : عجبت من الغيث الأول ، فهذا أعجب وأعجب ؛ فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ؛ وإن مثل هؤلاء الروضات مثل « حم » في القرآن .
أورده البهوى .

(١) الهاشميات ٤ ؛ من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ وَلَا لَمِياً مني وذو الشوقِ يلعبُ

فصل

في عدد سور القرآن وآياته وكمالاته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران القرني : عددُ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة . وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية ، ونضر بن عاصم ، وعاصماً الجحدري ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم . وقال : عدّوا حروف القرآن ؛ فبقوا أربعة أشهر يمدّون بالشعر ، فأجمعوا على أن كلماته سبعٌ وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً . انتهى .

وقال غيره : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ؛ ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات . وقيل : وأربع عشرة آية . وقيل : مائتان وتسع عشرة آية . وقيل : مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية . وقيل : مائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب " البيان " .
وأما كلماته فقال : الفصيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ، فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد : ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله ، كم من حرف هو ؟ قال : فحسبناه ، فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً . قال : فأخبروني عن نصفه ؛ فإذا هو إلى ألفاء من قوله

في الكهف : ﴿ وَلَيَتَلَطَّفْ ﴾ ^(١) . وثلثه الأول عند رأس مائة من براءة ، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء . والثالث إلى آخره . وسبعة الأول إلى الدال ، في قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ ^(٢) والشيع الثاني إلى التاء من قوله في الأعراف : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ^(٣) ، والثالث إلى الألف الثانية من قوله في الرعد : ﴿ أَكْهَبَهَا ﴾ ^(٤) ، والرابع إلى الألف في الحج من قوله : ﴿ جَعَلْنَا مَنَسْكَ ﴾ ^(٥) ، والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ ^(٦) ، والسادس إلى الواو من قوله في الفتح : ﴿ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ ﴾ ^(٧) والسابع إلى آخر القرآن .

قال سلام : علمنا ذلك في أربعة أشهر .

قالوا : وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الأنعام ، والثاني إلى ﴿ وَلَيَتَلَطَّفْ ﴾ من سورة الكهف ، والثالث إلى آخر المؤمنين ، والرابع إلى آخر القرآن . وحكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتاب " البيان " خلافا في هذا كله .

وأما التخريب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها . وقد أخرج أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة . وحزب المفصل من « ق » حتى يختم .

أسند الزبير في كتاب الطبقات عن المبرد . أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي . وذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر . وذكر أبو الفرج :

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| (١) سورة الكهف ١٩ . | (٢) سورة النساء ٥٥ . |
| (٣) سورة الأعراف ١٤٧ . | (٤) سورة الرعد ٣٥ . |
| (٥) سورة الحج ٣٤ ، ٦٧ . | (٦) سورة الأحزاب ٣٦ . |
| (٧) سورة الفتح ٦ . | |

أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود أن ينقّط المصاحف . وذكر الجاحظ في كتاب " الأمصار " أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف .
وأما وضعُ الأعشار ؛ فقليل : إن المأمون العباسي أمر بذلك . وقيل : إن الججاج فعل ذلك .

واعلم أن عددَ سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة ؛ كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس . وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأُنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسمة . ويردّه تسميةُ النبي صلى الله عليه وسلم كلاّ منهما . وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان ؛ لشبهة الرقبة ؛ وجوابه رجوعه إليهم ، وما كتب الكلّ . وفي مصحف أبي ست عشرة ؛ وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين . ولا دليل فيه لموافقتهما ؛ وهو دعاء كُتبَ بعد الختمة .

وعددُ آياته في قول عليّ رضي الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة . وعطاء : ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون . وحيد : ستة آلاف ومائتان واثناعشرة . وراشد : ستة آلاف ومائتان وأربع .

وقال حميد الأعرج ^(١) : نصفه (مَعَى صَبْرًا) ^(٢) في الكهف ، وقيل : عين (تَسْتَطِيعُ) ^(٣) ، وقيل : ثاني لامي (وَلْيَتَلَطَّفْ) ^(٤) .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدد الآي والكلم والحروف أن النبي صلى الله عليه

(١) هو حميد بن قيس الأعرج ؛ أبو صفوان السكي القاري ، توفي سنة ١٣٠ . (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٢٦٥) .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ١٩ .

وسلم ، كان يقف على رموس الآي للتوقيف ؛ فإذا علم محلها وصل للتمام ؛ فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

وأیضا البسمة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ورسم ؛ واعتبار كل منها جائز ؛ وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانب .

وأطول سورة في القرآن هي البقرة ، وأقصرها الكوثر .

وأطول آية فيه آية الدين ^(١) ؛ مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وخمسة وأربعون حرفا .

وأقصر آية فيه ﴿ والضحى ﴾ ، ثم ﴿ والفجر ﴾ ؛ كل كلمة خمسة أحرف تقديرا ثم

لفظا ، ستة رسما ؛ لا ﴿ مدها مئتان ﴾ ^(٢) لأنها سبعة أحرف لفظا ورسما ، وثمانية تقديرا ،

ولا ﴿ ثمّ نظر ﴾ ^(٣) لأنها كلمتان ، خمسة أحرف رسما وكتابة ، وستة أحرف تقديرا ؛

خلافا لبعضهم .

وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة بلا زيادة ﴿ فأسقينا كموه ﴾ ^(٤) أحد عشر لفظا ، ثم

﴿ اقتزفتموها ﴾ ^(٥) عشرة ، وكذا ﴿ أنزل مكموها ﴾ ^(٦) و﴿ ولستضعفين ﴾ ^(٧) ثم

﴿ ليستخلفنهم ﴾ ^(٨) تسعة لفظا ، وعشرة تقديرا .

وأقصرها نحوباء الجر ، حرف واحد ؛ لأنها حرفان ؛ خلافا للداني فيها .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٤) سورة الحجر ٢٢

(٦) سورة مود ٢٨

(٨) سورة التور ٥٥

(١) سورة البقرة ٢٨٢

(٣) سورة للدثر ٢١

(٥) سورة التوبة ٢٤

(٧) سورة النساء ٧٥

فصل

[أنصاف القرآن ثمانية]

قال بعض القراء: إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آيه .
 فنصفه بالحروف: «النون» من قوله: ﴿نُكْرًا﴾ في سورة الكهف، والكاف من نصفه الثاني.
 ونصفه بالكلمات «الدال» من قوله: ﴿والجلود﴾^(١) في سورة الحج، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٢) من نصفه الثاني .
 ونصفه بالآيات: ﴿يَأْفِكُونَ﴾^(٣) من سورة الشعراء، وقوله تعالى: ﴿فَأُتِي السَّحَرَةُ﴾^(٤) من نصفه الثاني .

ونصفه على عدد السور، فالأول الحديد، والثاني من المجادة .

فائدة

سئل ابن مجاهد: كم في القرآن من قوله: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾؟^(٥) فأجاب في أربعة مواضع:
 من النساء وسُبْحَانَ والأحزاب وفاطر .

وسئل الكسائي: كم في القرآن آية أولها شين؟ فأجاب أربع آيات: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾^(٦)، ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(٧)، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾^(٨)، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

- | | |
|---|---------------------|
| (١) سورة الحج ٢٠ | (٢) سورة الحج ٢١ |
| (٣) سورة الشعراء ٤٥ | (٤) سورة الشعراء ٤٦ |
| (٥) سورة النساء ١٢٠ ، الإسراء ٦٤ ، الأحزاب ١٢ ، فاطر ٤٠ | (٦) سورة البقرة ١٨٥ |
| (٧) سورة آل عمران ١٨ | (٨) سورة النحل ١٢١ |

الَّذِينَ ﴿١﴾ . [وسئل] كم آية آخرها شين؟ [فأجاب]: اثنان: ﴿كَا لَمِيزِ الْمَنَفُوشِ﴾ ﴿٢﴾ ،
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ ﴿٣﴾ .

وسئل آخر: كم ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ ؟ قال : خمسة ؛ ثلاثة في الأنعام ، وفي الحجر
واحد ، وفي النحل واحد .

أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية ؛ وذلك في موضعين من
سورة يوسف : أحدهما : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ﴿٥﴾ ، فبين واو « كوكبا »
وياء « رأيت » ثمانية أحرف ، كلهن متحرك ، والثاني قوله : ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ ﴿٦﴾ على قراءة من حرك الياء في قوله ﴿لِي﴾ ، و﴿أَبِي﴾ . ومثل هذين الموضعين
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ ﴿٧﴾ .

وفي القرآن سور متواليات كل سورة تجمع حروف المعجم ؛ وهو من أول : ﴿أَلَمْ
نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿٨﴾ إلى آخر القرآن .

وآية واحدة تجمع حروف المعجم ، قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ...﴾ ﴿٩﴾ الآية .
وسورة ، كل آية منها فيها اسمه تعالى ، وهي سورة المجادلة .

وفي الحج ستة آيات متواليات ، في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى ،
وهي قوله : ﴿لَنَدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ ﴿١٠﴾ .

(٢) سورة الفارعة ٥ .

(١) سورة الشورى ١٣ .

(٣) سورة قريش ١ .

(٤) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، الحج ٢٥ ، النمل ٦ .

(٦) سورة يوسف ٨٠ .

(٥) سورة يوسف ٥ .

(٨) سورة الانشراح ١ .

(٧) سورة القصص ٣٥ .

(١٠) سورة الحج ٥٩ .

(٩) سورة الفتح ٢٩ .

وفي القرآن آيات أولها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ﴾ ثلاث : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ ^(١) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

وفيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ ^(٥) .

آية في القرآن فيها ستة عشر ميا ، وهي : ﴿ قِيلَ يَا نُوْحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ... ﴾ ^(٦) الآية . وآية فيها ثلاث وثلاثون ميا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ ^(٧) .

سورة تزيد على مائة آية ليس فيها ذكر جنة ولا نار ، سورة يوسف .

آية فيها ﴿ الجنة ﴾ مرتان : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٨) .

ثلاث آيات متواليات : الأولى رد على المشبهة ، والأخرى رد على المجبرة ، والأخرى رد على المرجئة : قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) رد على المشبهة ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(١٠) رد على المجبرة ، ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ ^(١١) رد على المرجئة .

ليس في القرآن « حاء » بعدها « حاء » لا حاجر بينهما إلا في موضعين في البقرة

﴿ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى ﴾ ^(١٢) ، وفي الكهف ﴿ لَا أُبْرِحُ حَتَّى ﴾ ^(١٣) .

(٢) سورة الجمعة . ٦

(٤) سورة الاقطار ٦

(٦) سورة هود ٤٨

(٨) سورة الحشر ٢٠

(١١) سورة الكهف ٦٠

(١) سورة يونس ١٠٤

(٣) سورة الكافرون ١

(٥) سورة الانشقاق ٦

(٧) سورة البقرة ٢٨٢

(٩) سورة الشعراء ٩٨ - ١٠٠

(١٠) سورة البقرة ٢٣٥

ليس فيه كافان في كلمة واحدة لا حرف بينهما إلا في موضعين : في البقرة ﴿مَنَاسِكُكُمْ﴾ ^(١) ، وفي المدثر ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ^(٢) .

وأما ما يتعلق بترتيبه ؛ فأما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوزُ تعكيسها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يأمر بذلك في أول برائة تركت بلا بسمة .

وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمرٌ واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .

وأسند البيهقي في كتاب ” المدخل والدلائل ” عن زيد بن ثابت قال : كنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن إذ قال : « طوبى للشام » ، فقيل له : ولم ؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » . زاد في الدلائل : « نؤلف القرآن في الرقاع » .

قال : وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال : فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث - وهو ترتيب السور - كان بحضرة عثمان ؛ واختلف في الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف ، فقيل : حرف زيد بن ثابت ، وقيل : حرف أبي بن كعب ؛ لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد ، أي قرأته وطر يقته .

وفي كتاب " فضائل القرآن " لأبي عبيد عن أبي وائل ، قيل لابن مسعود : إن فلانا يقرأ القرآن منكوساً ، فقال : ذاك منكوس القلب . ورواه البيهقي .

وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلف : هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من فعل الصحابة ، أو يفصل ؟ في ذلك ثلاثة أقوال :

مذهب جمهور العلماء ؛ منهم مالك ، والقاضي أبو بكر بن الطيب - فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من [أحد] قوله - إلى الثاني ، وأنه صلى الله عليه وسلم فوض ذلك إلى أمته بعده . وذهبت طائفة إلى الأول ؛ والخلاف يرجع إلى اللفظ ، لأن القائل بالثاني يقول : إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ؛ ولهذا قال الإمام مالك : إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم . فآل الخلاف إلى أنه : هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي ، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر . فإن قيل : فإذا كانوا قد سمعوه منه ، كما استقر عليه ترتيبه ففي ماذا عملوا الأفسكار ؟ وأتى مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار ؟ قيل : قد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : « صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح سورة البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها . ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران . . . » الحديث . فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة ، وتبياناً لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف ، حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر . فهذا محل اجتهادهم في المسألة .

والقول الثالث ، مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية : أن كثيراً من السور كان قد عُلم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم كالسبع الطُول والحواميم والمفضل ، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، كقوله : « اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » . رواه مسلم . ولحديث سعيد بن خالد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبع الطوال في ركعة . رواه ابن أبي شيبة في مصنفه . وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفضل في ركعة .

وروى البخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهنّ من تلادى ؛ فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها . وفي صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما قراً : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ، ثم ساق بإسناده إلى أبي داود الطيالسي : حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المثني ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضِّلَت بالمفضل » .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما يجمع في المصحف على شيء واحد ؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن . وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورة على حدة ، وليست من براءة .

قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب « المسائل الخمس » : « جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور ، كتقديم السبع الطول وتعقيها بالمثني ؛ فهذا الضرب هو

الذى تولاه الصحابة رضوان الله عليهم . وأما الجمع الآخر فضم الآى بعضها إلى بعض ، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شيء تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل . وكذا قال : الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ ﴾^(١) معناه مثل البقرة إلى سورة هود ، وهي العاشرة . ومعلوم أن سورة هود مكية ، وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة مدنيات نزلت بعدها .

وفسر بعضهم قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلًا ﴾^(٢) أى اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير . وجاء النكير على من قرأه معكوسا . ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يُلْزَم إلا على هذا الترتيب . ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب ؛ وإنما تفرقت سوره وآياته نزولا ، لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ؛ ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكن ليجمعا نزولا . وأبلغ الحكم في تفرقه ما قال سبحانه : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ ﴾^(٣) وهذا أصل بُني عليه مسائل كثيرة .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب : فإن قيل : قد اختلف السلف في ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب في المصحف السور على تاريخ نزولها ، وقدم المكي على المدني . ومنهم جعل من أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(٤) ؛ وهو أول مصحف على ، وأما مصحف ابن مسعود ، فأوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٥) ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف . وفي مصحف أبي كان أوله الحمد ، ثم

(٢) سورة الزمل ٤

(٤) سورة العلق ١

(١) سورة هود ١٣

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

(٥) سورة الفاتحة ٤ .

النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، على اختلاف شديد .
فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من
الصحابة رضی الله عنهم . وذكر ذلك مكّي في سورة براءة ، وأن وضع البسلة في الأول
هو من النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرق في بضع
وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ؛ ويقف جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية . فأتساق السور كاتساق الآيات والحروف ،
كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات .
قال القاضي أبو بكر : ومن نظم السور على المسكى والمدنى لم يدرك أين يضع الفاتحة ،
لاختلافهم في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من
البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به .

تنبيه

[ترتيب وضع السور في المصحف]

لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم :
أحدها بحسب الحروف ، كما في الحواميم . وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ،
كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة . وثالثها للوزن في اللفظ ، كآخر « تبت » وأول
الإخلاص . ورابعها لمساواة جملة السورة لجملة الأخرى مثل ﴿ والضحى ﴾ و ﴿ ألم نشرح ﴾ .
قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية ، والالتجاء إليه في دين
الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملتها لمقصودها؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا قرن فيها ذكر التشابه من بظهور الحجة والبيان؛ فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصراني، وآخرها يتعلق بيوم أحد. والنصارى تمسكوا بالتشابه، فأجيبوا عن شبههم بالبيان. ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال لقبولوا بالبيان، وبه يعلم الجواب لمن تتبع التشابه من القول والفعل. وأوجب الحجج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بتمامه بعد الشروع فيه، ولهذا ذكر البيت والصفاء المروءة. وكان خطاب النصراني في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب؛ ولهذا كانت السور المكيفة فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخطب بها جميع الناس. والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخطبوا: يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل.

وأما سورة النساء فتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس؛ وهي نوعان: مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم؛ كالنسب والصهر، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١) ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾؛ وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم؛ وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والموارث. ومنها العهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها الله على الرسل.

وأما المائدة فسورة العقود، وبين تمام الشرائع؛ قالوا: وبها تم الدين، فهي سورة

التكميل . بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد ، كالتحليل والتحرير ؛ كتحرير الدماء والأموال وعقوبة المعتدين . وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين . وتحريم الميتة والدم والمنخقة ، وتحريم الصيد على المحرم من تمام الإحرام . وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله . ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والحكم بالقرآن ، فقال تعالى : ﴿ اِكْلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَابْتَاعُوا مِنْهُ بِحَقِّ ثَمَرِهِ وَلَٰكِنْ ائْتُوا مِنْهُ اِثْمًا وَيَذُكِرْتُمْ اَنْتُمْ بِهِ عَذَابًا اَلِيمًا ۝١٠١ ﴾ (١) وذكر أنه من ارتد عوض الله بخير منه . ولا يزال هذا الدين كاملاً ؛ ولهذا قيل : إنها آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدينيات : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب ؛ وهو ترتيب المصحف العثماني ، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قدمت فيه سورة النساء على آل عمران ؛ وترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمراً أوجبه الله ، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب ، ولكن ترتيب المصحف العثماني أكمل ؛ وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لثلاث يُفْقَضُ إلى تغييره كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار .

فائدة

[سبب سقوط البسملة أول براءة]

اختلف في السبب في سقوط البسملة أول براءة ؛ فقيل : كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهدٌ وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتاباً ، ولم يكتبوا فيه

البسمة ؛ فلما نزلت « براءة » بنقض العهد الذي كان للكفار ، قرأها عليهم على ولم يبسم على ما جرت به عادتهم . ولكن في صحيح الحاكم أن عثمان رضى الله عنه قال : كانت الأنفال من أوائل ما نزل وبراءة من آخره ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، وظننا أنها منها ، ثم فرقت بينهما ولم أكتب بينهما البسمة . وعن مالك : أن أولها لما سقط سقطت البسمة .

وقد قيل : إنها كانت تعدل البقرة لطولها .

وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان اختلفوا : هل هما سورتان ، أو الأنفال سورة وبراءة سورة تركت البسمة بينهما ؟

وفي مستدرک الحاكم أيضا عن ابن عباس : سألت علياً عن ذلك فقال : لأن البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان .

قال القشيري : والصحيح أن البسمة لم تكن فيها ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها .

فائدة

[في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحاً]

قال القتيبي : السورة ، تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من « أسارت » ، أي أفضلت ، من الشؤر ، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزتها .

ومنهم من شبهها بسور البناء ، أي القطعة منه ، أي منزلة بعد منزلة .

وقيل : من سُورِ المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُور ؛ ومنه السُّوَار لإحاطته بالساعد ؛ وعلى هذا فالواو أصلية .

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً ؛ وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جنى فى شرح منهوكة أبى نواس : إنما سميت سورة لارتفاع قدرها ؛ لأنها كلامُ الله تعالى ؛ وفيها معرفة الحلال والحرام ؛ ومنه رجل سَوَّار ، أى . عربد ؛ لأنه يعلو بفعله ويشتط . ويقال : أصلها من السَّوْرَة وهى الوثبة ، تقول : سُرْتُ إليه وثرْتُ إليه . وجمع سُورة القرآن سُوَر بفتح الواو ، وجمع سورة البناء سُور بسكونها . وقيل : هو بمعنى العلو ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ^(١) نزلوا عليه من علو ، فسميت القراءة به لترْكَب بعضها ^(٢) على بعض . وقيل : لعلو شأنه وشأن قارئه . ثم كره بعضهم أن يقال : سُورة كذا ، والمصحح جوازُه . ومنه قول ابن مسعود : هذا مُقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وأما فى الاصطلاح فقال الجعبرى : حدُّ السورة قرآن يشتمل على آى ذوات فاتحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات . فإن قيل : فما الحكمة فى تقطيع القرآن سُوراً ؟ قلت : هى الحكمة فى تقطيع السور آيات معدودات ؛ لكل آية حدٌ ومطلع ؛ حتى تكون كلُّ سورة بل كل آية فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً ، وفى تسوِير السورة تحقيق لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى . وسُوِّرَت السُّور طويلاً وقصاراً وأوساطاً ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ؛ فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزةٌ إعجاز سورة البقرة . ثم ظهرت لذلك حكمةٌ فى التعليم ، وتدرج الأطفال من السُّور القصار إلى

ما فوقها يسيراً يسيراً ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطُّفْلَ يفرح بإتمام السورة فَرَحَ مَنْ حصل على حَدِّ معتبر . وكذلك المُطِيل في التلاوة يرتاحُ عند ختم كلِّ سورة ارتياحَ المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى ؛ إلى أن كلَّ سورة نَمَطٌ مستقلٌّ ، فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم ، وغير ذلك .

فإن قلت : فهلاً كانت الكتبُ السالفةُ كذلك ؟ قلت : لو جهين : أحدهما أنها لم تكن معجزاتٍ من ناحية النظم والترتيب ، والآخر أنها لم تيسر للحفظ .

وقال الزمخشري : الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة - وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزابور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة ، وبوب المصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم : منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشطَ له ، وأبعثَ على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للسير ؛ ومن ثمة جزي القرآن أجزاءً وأخماساً . ومنها أن الحافظ إذا حذق الشورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفةً مستقلة فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ فينا . ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل . ومنها أن التفصيل يُسبِّبُ تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم ؛ إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة

[في بيان معنى الآية لغة واصطلاحاً]

أما الآية فلها في اللغة ثلاثة معان :

أحدها - جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني : تقول العرب : خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم .

ثانيها - الآية : العجب، تقول العرب : فلان آية في العلم وفي الجمال ، قال الشاعر :

آيةٌ في الجمالِ ليس له في الـ حسن شبهةٌ وما له من نظيرٍ

فكان كل آية عجب في نظمها ، والمعاني المودعة فيها .

ثالثها - العلامة ، تقول العرب : خربت دار فلان وما بقي فيها آية ، أي علامة ؛ فكان كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف في وزنها فقال سيبويه : « قَعْلَةٌ » بفتح العين ، وأصلها « أُيَّةٌ » تحركت الياء وانفتحت ما قبلها فجاءت آية . وقال الكسائي : أصلها « آيَّة » على وزن « فاعلة » ، حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة .

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري في كتاب " المفرد في معرفة العدد " : حدُّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة ؛ وأصلها العلامة ، ومنه : " إن آية مَلِكِهِ " ^(١) لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة ، لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبهة

بما سواها .

وقيل : هي الواحدة من المعدادات في الشَّوَر ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى تجزئ المتحدَّى بها .

وقيل : لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها ^(١) عما بعدها . قال الواحدى : وبعض أصحابنا يجوزُ على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ؛ لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال ابن المنير في البحر : ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ ^(٢) . وقال بعضهم : الصحيح أنها إنما تُعلم بتوقيف من الشارع ، لا مجال للقياس فيه كعرفة السورة ، فالآية طائفة حروف من القرآن ، عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها في آخر القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها والذى بعدها في غيرها ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري : الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ، فعُدوا ﴿ أَلَمْ ﴾ آية حيث وقعت من السورة المفتحة بها ، وهي سِت ^(٣) ، وكذلك ﴿ أَلَمْ ﴾ ^(٤) آية ، و ﴿ أَلَمْ ﴾ ^(٥) لم تعد آية ، و ﴿ أَلَمْ ﴾ ^(٦) ليست بآية في سورها الخمس . و ﴿ طَسَم ﴾ ^(٧) آية في سورتها ، و ﴿ طَه ﴾ و ﴿ يَس ﴾ آيتان ، و ﴿ طَس ﴾ ^(٨) ليست بآية ، و ﴿ حَم ﴾ ^(٩) آية في سورها كلها و ﴿ حَم عَسَق ﴾ ^(١٠) آيتان ، و ﴿ كَهَيِّص ﴾ ^(١١) آية واحدة ، و ﴿ ص ﴾ و ﴿ ق ﴾ و ﴿ ن ﴾ ثلاثها لم تعد آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية .

(١) ت : « وانقطاعه » . (٢) سورة الرحمن ٦٤ .

(٣) البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة .

(٤) سورة الأعراف (٥) سورة الرعد .

(٦) يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٧) الشعراء ، القصص (٨) سورة النمل .

(٩) غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

(١٠) سورة الشورى . (١١) سورة مريم .

وقال بعضهم : إنما عدوا ﴿يَسَ﴾ آية ولم يعدوا ﴿طَسَ﴾ لأن ﴿طَسَ﴾ تشبه المفرد ، كقاييل في الزنة والحروف ، و ﴿يَسَ﴾ تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء ، وليس لنا مفرد أوله ياء .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . قال : وتعدد الآي من مفصلات القرآن ؛ ومن آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ، ومنه ما يكون في أثناؤه ، كقوله : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) على مذهب أهل المدينة ، فإنهم يمدونها آية . وينبغي أن يعول في ذلك على فعل السلف .

وأما الكلمة، فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و«لى» و«له» و«لك» . وقد تكون أكثر . وأكثر ما تكون عشرة أحرف، مثل : ﴿لَيْسَتْخَلَفَهُمْ﴾^(٢) ، و﴿أَنْزَلِمْكُمُوهَا﴾^(٣) و﴿فَأَسْتَفِينَاكُمُوهُ﴾^(٤) : وقد تكون الكلمة آية مثل : ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْقَصْرِ﴾، وكذلك ﴿آلَم﴾، و﴿طَاه﴾، و﴿يَس﴾، و﴿حَم﴾ في قول الكوفيين . و﴿حَمَ عَسَى﴾ عندهم كلمتان ، وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله : ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾^(٥) في سورة الرحمن .

(٢) سورة النور ٥٥

(٤) سورة الحجر ٢٢

(١) الفاتحة ٦

(٣) سورة هود ٢٨

(٥) سورة الرحمن ٦٤ .

خاتمة

[في تعدد أسماء السور]

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان ، كسورة البقرة يقال لها : فسقاط القرآن لمعظمها وبهاؤها . وآل عمران يقال اسمها في التوراة طيبة ، حكاه النقاش ^(١) . والنحل تسمى سورة النعم لما عدّد الله فيها من النعم على عباده . وسورة ﴿ حَمَّ عَسَق ﴾ ، وتسمى الشورى . وسورة الجاثية وتسمى الشريعة . وسورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى القتال .

وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة ، والعنود ، والمنقذة . وروى ابن عطية فيه حديثاً ^(٢) ، وكسورة غافر ، والطول ، والمؤمن ، لقوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(٣) .

وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة براءة ، والتوبة ، والفاضحة ، والحافرة ، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين . قال ابن عباس : ما زال ينزل ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلا ذُكر فيها . وقال حذيفة : هي سورة العذاب . وقال ابن عمر : كنا ندعوها المششقة . وقال الحرث بن يزيد : كانت تدعى المبعثرة ، ويقال لها : المسورة ، ويقال لها : البحوث ^(٤) .

وكسورة القاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً : القاتحة — وثبت في الصحيحين — وأم الكتاب ، وأم القرآن ، وثبتا في صحيح مسلم ؛ وحكى ابن عطية : كراهية تسميتها عن قوم ، والسبع المثاني ، والصلاة ثبتا في صحيح مسلم ، والحمد ، رواه الدارقطني .

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد القرطبي الموصلي النقاش ، صنف في التفسير والقراءات ؛ وتوفي سنة ٣٥١ (الباب ٣ : ٢٣٥) .

(٢) قوله عليه السلام : « سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة ، تنقذ ، صاحبها من أيدي ملائكة العذاب » . قاله القرطبي في التفسير ٦ : ٣٠ .

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) قال القرطبي : « لأنها تبعث عن أسرار المنافقين ، والمبعثرة : البعث » .

وسميت مثنى لأنها تنثنى في الصلاة، أو أنزلت مرتين، والوافية بالفاء لأن تبويضها لا يجوز، ولا شتمها على المعاني التي في القرآن، والكنز لما ذكرنا، والشافية، والشفاء، والكافية، والأساس.

وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن بعدم القطن أن يستخرج من كل سورة معاني - كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها^(١) وهو بعيد.

خاتمة أخرى

[في اختصاص كل سورة بما سميت^(٢)]

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سُميت به، ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريئة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ...﴾^(٣) إلى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾^(٤) لم يرد في غيرها؛

(١) ت: «اشتغالها» تحريف

(٢) هذه الخاتمة مأخوذة من ت، ط.

(٤) سورة الأنعام ١٤٤.

(٣) سورة الأنعام ١٤٢.

كما ورد ذكرُ النساءِ في سُورٍ ؛ إلا أن ماتكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها .

فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكرُ نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، فلم تختصُ باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به ؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب . قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة ؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

وإن قيل : فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود . قيل : لما جُرِّدَ لذكر نوح وقصته مع قومه سورةٌ برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ، وإن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رَغْيِ التسمية ما ذكرنا . وانظر سورة ﴿ ق ﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف . ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة ، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته، حتى لم تكن لتزد ﴿ آلم ﴾ في موضع ﴿ آزر ﴾ ، ولا ﴿ حم ﴾ في موضع ﴿ طس ﴾ ؛ لاسيما إذا قلنا : إنها أعلام لها وأسماء عليها .

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلماتها ؛ ويوضحه أنك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفرادا وتركيبا أكثر عددا في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلماتها وحروفها ؛ فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلماتها في أطراد ذلك في المائلات مما

يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك . وقد اطرّد
هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ؛ فلو وضع موضع ﴿ق﴾
من سورة ﴿ن﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى . وقد تسكرر في
سورة يونس من الكلم الواقع فيها ﴿آر﴾ مائتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلهذا افتتحت
بـ ﴿آر﴾ . وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل .
وهي أطول منها مما يركب على ﴿الر﴾ . من كلمها مائتا كلمة ، مع زيادتها في الطول عليها ،
فلذلك وردت الحروف المقطعة في أولها ﴿الر﴾ .

النوع الخامس عشر معرفة أسماء واشتقاقاتها [أسماء القرآن]

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءاً وأنهى أساميهِ إلى نيف وتسعين .
وقال القاضي أبو المعالي عزيّز بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سَمَّى القرآن
بخمسة وخمسين اسماً :

- سَمَاءُ كِتَاباً فقال : ﴿ حَمِّ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(١) .
- وسمّاه قرآناً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... ﴾ ^(٢) الآية .
- وسمّاه كلاماً فقال : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .
- وسمّاه نوراً فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ ^(٤) .
- وسمّاه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٥) .
- وسمّاه رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ^(٦) .
- وسمّاه فرقاناً فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ... ﴾ الآية ^(٧) .
- وسمّاه شفاءً فقال : ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ ^(٨) .
- وسمّاه موعظةً فقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٩) .

(٢) سورة الواقعة ٧٧
(٤) سورة النساء ١٧٤
(٦) سورة يونس ٥٨
(٨) سورة الإسراء ٨٢

(١) سورة الدخان ١ ، ٢
(٣) سورة التوبة ٦
(٥) سورة لقمان ٣
(٧) سورة الفرقان ١
(٩) سورة يونس ٥٧

- وسماه ذكرًا فقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ^(١) .
- وسماه كريمًا فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٢) .
- وسماه عليًا فقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ^(٣) .
- وسماه حكمة فقال : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ ^(٤) .
- وسماه حكيمًا فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ﴾ ^(٥) .
- وسماه مهينًا فقال : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه مباركًا فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... ﴾ ^(٧) الآية .
- وسماه حَبْلًا فقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٨) .
- وسماه الصراط المستقيم فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٩) .
- وسماه القيم فقال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ ^(١٠) .
- وسماه فَضْلًا فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴾ ^(١١) .
- وسماه نبأ عظيمًا فقال : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(١٢) .
- وسماه أحسن الحديث فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾ ^(١٣) الآية .
- وسماه تنزيلا فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١٤) .
- وسماه رُوحًا فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ^(١٥) .

(١) سورة الأنبياء ٥٠	(٢) سورة الواقعة ٧٧ .
(٣) سورة الزخرف ٤١ .	(٤) سورة القمر .
(٥) سورة يونس ٢٤ ، ١	(٦) سورة المائدة ٤٨
(٨) سورة آل عمران ١٠٣	(٧) سورة ص ٢٩ .
(١٠) سورة الكهف ٢ ، ١	(٩) سورة الأنعام ١٥٣ .
(١٢) سورة النبأ ٢ ، ١	(١١) سورة الطارق ١٣ .
(١٤) سورة الشعراء ١٩٢	(١٣) سورة الزمر ٢ .
	(١٥) سورة الشورى ٥٢ .

- وسماه وخيا فقال : ﴿ إِنَّمَا أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ ^(١) .
- وسماه الثاني فقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِي ﴾ ^(٢) .
- وسماه عريباً فقال : ﴿ قُرْآنَا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٣) ، قال ابن عباس : غير مخلوق .
- وسماه قولاً فقال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ ^(٤) .
- وسماه بصائر فقال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٥) .
- وسماه بياناً فقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه علماً فقال : ﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٧) .
- وسماه حقاً فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٨) .
- وسماه الهادي فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي ﴾ ^(٩) .
- وسماه عجبا فقال : ﴿ قُرْآنَا عَجَبًا يَهْدِي ﴾ ^(١٠) .
- وسماه تذكرة فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ ^(١١) .
- وسماه بالعروة الوثقى فقال : ﴿ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(١٢) .
- وسماه متشابهاً فقال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ ^(١٣) .
- ✓ وسماه صدقاً فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ ^(١٤) أى بالقرآن .
- ✓ وسماه عدلاً فقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ^(١٥) .

(١) سورة الأنبياء ٤٥	(٢) سورة الحجر ٨٧
(٣) سورة الزمر ٢٨	(٤) سورة القصص ٥١
(٥) سورة الجاثية ٢٠	(٦) سورة النساء ١٣٨
(٧) سورة الرعد ٣٧	(٨) سورة آل عمران ٦٢
(٩) سورة الإسراء ٩	(١٠) سورة الجن ٢٩
(١١) سورة الدثر ٥٤	(١٢) سورة لقمان ٢٢
(١٣) سورة الزمر ٢٣ ، ٣٣	(١٤) سورة الأنعام ١١٥

- وسماه إيماناً فقال : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ ^(١) .
- وسماه أمراً فقال : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
- وسماه بشرى فقال : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ ^(٣) .
- ✓ وسماه مجيداً فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ ^(٤) .
- وسماه زبوراً فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ... ﴾ ^(٥) الآية .
- ✓ وسماه مبيناً فقال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه بشيراً ونذيراً فقال : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ ﴾ ^(٧) .
- ✓ وسماه عزيزاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ^(٨) .
- ✓ وسماه بلاغاً فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٩) .
- ✓ وسماه قصصاً فقال : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١٠) .
- ✓ وسماه أربعة أسامي في آية واحدة فقال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ^(١١) . انتهى

تفسير هذه الأسامي

فأما الكتاب ؛ فهو مصدر كتب يكتب كتابةً ، وأصلها الجمع ، وسميت الكتابة لجمعها الحروف ؛ فاشتق الكتاب لذلك ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة . ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً ، قال الله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ

(٢) سورة الطلاق ٥٥

(٤) سورة البروج ٢١

(٦) سورة يوسف ١ ، ٢

(٨) سورة فصلت ٤١

(١٠) سورة يوسف ٣

(١) سورة آل عمران ١٩٣

(٣) سورة النمل ٢

(٥) سورة الأنبياء ١٠٥

(٧) سورة فصلت ٤

(٩) سورة إبراهيم ٥٢

(١١) سورة عبس ١٣ ، ١٤

مَكُونُونَ^(١)، أى اللوح المحفوظ . والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود ؛ وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شئ .

وأما القرآن فقد اختلفوا فيه ؛ فقيل : هو اسم غير مشتق من شئ ؛ بل هو اسم خاص بكلام الله ؛ وقيل : مشتق من القرى، وهو الجمع ؛ ومنه قرئت الماء فى الحوض أى جمعه ؛ قاله الجوهري وغيره^(٢) .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن ؛ ولعل مراده بذلك فى العرف والاستعمال لا أصل اللغة .

وقال المروى : كل شئ جمعه قد قرأته .

قال أبو عبيد : سمي القرآن قرآناً ؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها بعمان ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن و « قرأ » مادته بمعنى جمع^(٤) ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٥) فغاير بينهما ؛ وإنما مادته « قرأ » بمعنى أظهر وبين ، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه ، والقرء : الدم ، لظهوره وخروجه . والقرء : الوقت ؛ فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل : سمي قرآناً لأن القراءة عنه والتلاوة منه ؛ وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفى تاريخ بغداد للخطيب فى ترجمة الشافعى قال^(٦) : « وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ

(١) اللسان (قرا)

(٢) م : « الجمع »

(٣) تاريخ بغداد ٢ : ٦٢ .

(١) سورة الواقعة ٧٨

(٢) سورة الأنعام ٣٨

(٣) سورة القيامة ١٧

ابن قسطنطين وكان يقول: القران اسم وليس مهموزا ؛ ولم يؤخذ من «قرأت» ؛ ولو أخذ من «قرأت» لكان كل ما قرئ [قرآنا] ^(١) ولكنه اسم للقران ؛ مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ، ولا يهمز القران .

وقال الواحدى : كان ابن كثير يقرأ بغير همز ، وهى قراءة الشافعى أيضا . قال البيهقى : كان الشافعى يهمز «قرأت» ولا يهمز القران ؛ ويقول : هو اسم لكتاب الله غير مهموز ، قال الواحدى : قول الشافعى هو اسم لكتاب الله ، يعنى أنه اسم علم غير مشتق ، كما قاله جماعة من الأئمة .

قال : وزهد آخرون إلى أنه مشتق من قرئت الشئ بالشئ إذا ضمته إليه فسمى بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران ، قال : وإلى هذا المعنى ذهب الأشعرى .

وقال القرطبى : القران بغير همز مأخوذ من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ؛ ويشابه بعضها بعضا ، فهى حينئذ قرائن .

قال الزجاج : وهذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ؛ ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ؛ وهذا ما أشار إليه الفارسى ^(٢) فى «الحليات» ؛ وقوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ^(٣) أى جمعه فى قلبك حفظا ، وعلى لسانك تلاوة ، وفى سمعك فهما وعلم . ولهذا قال بعض أصحابنا : إن عند قراءة القارى تسمع قراءته الخلوقة ، ويفهم منها كلام الله القديم ؛ وهذا معنى قوله : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ ^(٤) ، أى

(١) تكملة من تاريخ بغداد .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ؛ أبو على الفارسى ؛ توفى سنة ٣٧٧ ببغداد ؛ والحليات أحد كتبه التى أسماها المسائل الحليات (إنباء الرواة ١ : ٢٧٣)

(٤) سورة فصلت ٢٦ .

(٣) سورة القيامة ١٧

لا تفهموا ولا تعقلوا ، لأن السَّمْعَ الطبيعيَّ يحصل للسامع شاء أو أبى .
وأما الكلام فمشتق من التأثير ، يقال : كَلَّمَهُ إذا أثر فيه بالجرح ، فسمى الكلام كلاماً لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

وأما النور ؛ فلا تَه يدرك به غوامضُ الحلال والحرام .
وأما تسميته « هدى » فلا ن فيه دلالة يَتَنَه إلى الحق ، وتفريقاً بينه وبين الباطل .
وأما تسميته « ذكر » فلفافيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية ؛ وهو مصدر ذكرت ذكرًا ، والذكر : الشرف ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ ^(١) أى شرفكم .
وأما تسميته « تبيان » فلا تَه يَبَيِّن فيه أنواع الحق وكشف أدلته .
وأما تسميته « بلاغ » فلا تَه لم يصل إليهم حالُ أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإبلاغه إليهم إلا به .

وأما تسميته « مُبَيَّن » فلا تَه أَبَانَ وَفَرَّقَ بين الحق والباطل .
وأما تسميته « بشيراً ونذيراً » فلا تَه بَشَّرَ بالجنة وأنذر من النار .
وأما تسميته « عزيزاً » أى بعجزه وعزّة على من يروم أن يأتى بمثله فيتمنر ذلك عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ... ﴾ ^(٢) الآية ، والتقديم لا يكون له مثل ؛ إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع . وقيل المراد بالعزیز نفى المهانة عن قارئه إذا عمل به .

وأما تسميته «فرقانا» فلا نه فرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق،
وبه سمي عمر بن الخطاب الفاروق .

وأما تسميته «مثنى» فلا نه فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانيا
للأول الذي تقدمه فيبين الأول الثاني . وقيل سمي «مثنى» لتكرار الحكم والقصص والمواعظ
فيه . وقيل : إنه اسم الفاتحة وحدها .

وأما تسميته «وحيا» ومعناه تعريف الشيء خفية، سواء كان بالكلام؛ كالأنبياء والملائكة،
أو بإلهام كالنحل وإشارة النمل؛ فهو مشتق من الوحي والعجلة، لأن فيه إلهاما بسرعة
وخفية .

وأما تسميته «حكيا» فلا نه آياته أحكت بذكر الحلال والحرام، فأحكمت عن الإتيان
بمثليها؛ ومن حكته أن علامته : مَنْ علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش ^(١) .

وأما تسميته «مصدقا» فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تغير وتبدل .

وأما تسميته «مهيمننا» فلا نه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله .

وأما تسميته «بلاغاً» ^(٢) فلا نه كان في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .

وأما تسميته «شفاء» فلا نه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر، ومن علمه
وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .

وأما تسميته «رحمة» فإن مَنْ فهمه وعقله كان رحمة له .

وأما تسميته «قصصا» فلا نه فيه قصص الأمم الماضين وأخبارهم .

وأما تسميته «مجيدا» والمجيد الشريف، فمن شرفه أنه حفظ عن التفسير والتبديل

(٢) سبق تعليل هذه التسمية في الصفحة السابقة

(١) ت : « أت يدع الفواحش »

والزيادة والنقصان ، وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله .

وأما تسميته « تنزيلاً » فلا نه مصدر نزله ؛ لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه ، فأداه هو كما فهمه وعلمه .

وأما تسميته « بصائر » فلا نه مشتق من البصر والبصيرة ، وهو جامع لمعانى أغراض المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ ^(١) وأما تسميته ذكرى فلا نه ذكر للمؤمنين ؛ ما فطرهم الله عليه من التوحيد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ^(٢) فالمراد بالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى .

وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في " المرشد الوجيز " ، في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ^(٣) قال : يعنى القرآن . وقال السخاوى : يعنى ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا .

فائدة

ذكر المظفرى ^(٤) في تاريخه : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سمّوه ، فقال بعضهم :

(٢) سورة الأنبياء ١٠٥

(١) سورة الأنعام ٥٩

(٤) هو القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

الدم الحوى ؛ التوفى سنة ٦٣٢ هـ وتاريخه اختص باللغة الإسلامية . (كشف الظنون) .

سموه إنجيلا ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السَّفر ، فكرهوه من يهود . فقال ابن مسعود : رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به .

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السلفي^(١) : سمعت أبا الكرم النحوي ببغداد ؛ وسئل : كل كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾^(٢) .

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ ، توفي سنة ٥٧٦ هـ (ابن خلكات ١ : ٣١) .
(٢) سورة إبراهيم ٥٢ .

النوع السادس عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز

من قبائل العرب

قد تقدم في النوع الحادى عشر ^(١) الإشارة إلى الخلاف فى ذلك ، والمعروف أنه بلغة قريش . وحكى عن أبى الأسود الدئلى أنه نزل بلسان الكعبيين : كعب بن لؤى جد قريش ، وكعب بن عمرو ، جد خزاعة ، فقال له خالد بن سلمة : إنما نزل بلسان قريش ولسان خزاعة ؛ وذلك أن الدار كانت واحدة .

وقال أبو عبيد فى كتاب " فضائل القرآن " ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، وكعب خزاعة ؛ قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الدار واحدة . قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وأما الكلبي فإنه روى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العَجَز من هوازن ^(٢) . قال أبو عبيد : المعجَز هم سعد بن بكر ، وجشم [ابن بكر] ^(٣) ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهذه القبائل هى التى يقال لها عليا هوازن ^(٤) وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصحُ العرب عليا هوازن وسُفلى تميم ؛ فهذه عليا هوازن ، وأما سفلى تميم فبنو دارم .

وقال أبو ميسرة : بكل لسان . وقيل : إن فيه من كل لغات العرب ؛ ولهذا قال الشافعى

(١) من ٢١٩ - ٢٢١

(٢) نقله ابن فارس فى الصحاح ص ٢٨

(٣) من كتاب العاجى

(٤) ونقل ابن فارس عن أبى عبيد : « وأحب أفصح

هؤلاء بنو سعد بن بكر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ، يد أى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر » ، وكان مترجما فيهم .

في " الرسالة "، ^(١) : لا نعلمه يحيط باللغة إلا نبي .

قال الصيرفي : يريد من يُعِث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به .

قال : وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ؛ وزعم أنهم يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم . وذكر قبيح ^(٢) عنينة تميم ، وكسكسة ^(٣) ربيعة ، وعجرفة قيس ^(٤) . وذكر أن عمر رضى الله عنه قال : يا رسول الله ؛ إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحن العرب حقاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي علمني فتعلّمت ، وأدبني فتأدبت » .

قال الصيرفي : ولست أعرف إسناد هذا الحديث ، وإن صحّ فقد دلّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عرف السنة العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في " التمهيد "، ^(٥) : قول من قال : نزل بلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ، لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز . وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف صار في عَجَز هوازن منها خمسة .

وقال أبو حاتم : خصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب ، لقرب جوارهم من مولد

(١) هي رسالة الشافعي في الفقه على مذهبه ؛ رواها جماعة وتنافسوا في شرحها ؛ ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الشافعي ؛ المتوفى سنة ٣٣٠ (وانظر كشف الظنون ٨٧٣ ، وشارات الذهب ٢ : ٣٢٥)

(٢) عنينة تميم ، هي قلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ؛ يقولون : سمعت عن فلان قال كذا ، يريدون « أن » . وروى في حديث قيلة : تحب « عني » نائمة ؛ أرادت تحب « أن » . الصاحبى ٢٤ .

(٣) الكسكة في ربيعة : هي أن يصلوا بالكاف سينا ؛ فيقولون : « عليكس » . الصاحبى ٢٤ .

(٤) في الصاحبى : « عجرفة قيس » وفي اللسان : « والعجرفة والعجرفة : الجفوة في الكلام » .

(٥) هو كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزل الوحي ؛ وإنما ربيعة ومضر أخوان . قال : وأحبُّ الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش ، ثم أدناهم من بطون مِصْرَ .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك^(١) : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين ؛ فمن القليل إدغام : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ ﴾^(٢) في الحشر ، ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٣) في قراءة غير نافع^(٤) وابن عامر^(٥) ؛ فإن الإدغام في الجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قلّ ، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٦) ، ﴿ وَلَيُمْلِكَنَّ لَهُ ﴾^(٧) ، و ﴿ يُخَيِّبُكُمْ اللَّهُ ﴾^(٨) ، ﴿ وَيُمِدُّكُمْ ﴾^(٩) ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ ﴾^(١٠) في النساء والأفقال ، ﴿ وَمَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ ﴾^(١١) ، ﴿ فَلَيَمِدُّ ﴾^(١٢) ، ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً ﴾^(١٣) ، و ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾^(١٤) ، ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي ﴾^(١٥) .

قال : وأجمع القراء على نصب ﴿ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنَّ ﴾^(١٦) لأن لغة الحجازيين

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك جلال الدين الطائى الشافعى ، صاحب الخلاصة ولامية الأفقال ، وإكمال الأعلام لتلك الكلام ، وغيرها من كتب النحو واللغة . توفى سنة ٦٧٢ . (طبقات الشافعية ٥ : ٢٨)

(٢) سورة الحشر ٤
(٣) سورة البقرة ٢١٧
(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو عبد الرحمن اللبى ، أحد القراء السبعة . توفى سنة ١٦٩ .
(طبقات القراء لابن الجزرى ٢ : ٣٣٣ - ٣٣٤)
(٥) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم الجعفى ، إمام أهل الشام فى القراءة ، توفى بدمشق سنة ١١٨ .
(طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٣٢٣) .

(٦) سورة البقرة ٢١٧
(٧) سورة البقرة ٢٨٢
(٨) سورة آل عمران ٣١
(٩) سورة نوح ١٢
(١٠) سورة النساء ١١٥ ، الأفقال ١٣٠
(١١) سورة التوبة ٦٣
(١٢) سورة الحج ١٥
(١٣) سورة طه ٢٧
(١٤) سورة طه ٣١
(١٥) سورة طه ٨١
(١٦) سورة النساء ١٥٧

التزام النصب في المنقطع ، وإن كان بنو تميم يتبعون ؛ كما أجمعوا على نصب ﴿ ما هذا
بَشَرًا ﴾^(١) لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين .

وزعم الزمخشري أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢) أنه استثناء منقطع ، جاء على لغة بني تميم ، ثم نازعه في ذلك .

النوع السابع عشر معرفة ما فيه من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب ، فلا تجوز قراءته وتلاوته إلا بها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ... ﴾ ^(٢) الآية . وهذا يدل على أنه ليس فيه غيرُ العربي ؛ لأن الله تعالى جعله معجزةً شاهدةً لنبية عليه الصلاة والسلام ، ودلالةً قاطعةً لصدقه ، وليتحدثي العربُ العرباء به ، ويحاضرَ البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته ؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ؛ هذا مذهبُ الشافعي وهو قول جمهور العلماء ؛ منهم أبو عبيدة ، وعبد بن جرير الطبري ، والقاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب ” التريب ” ، وأبو الحسين بن فارس اللغوي وغيرهم .

وقال الشافعي في ” الرسالة ” ^(٣) في باب البيان الخامس ما نصّه : « وقد تكلم في العلم مَنْ لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به ، [وأقرب من السلامة له ^(٤)] ، فقال قائل منهم : إن في القرآن عربيًا وأعجميًا ، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب ، ووَجَدَ ^(٥) قائل هذا القول مَنْ قَبِلَ ذلك منه تقليدًا له ، وتَرَكَ المسألة [له ^(٤)] عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه ؛ وبالتقليد أغفل مَنْ أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم . هذا كلامه .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن حكاة ابن فارس : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ^(٦) ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول . قال :

(١) سورة يوسف ٣ . (٢) سورة فصلت ٤٤ .

(٣) الرسالة ص ٤١ تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٤٠

(٤) تكملة من الرسالة (٥) في الأصول «وجدنا» ؛ وما أثبتته عن الرسالة .

(٦) نقله الجواليقي في العرب ٤ « عن أبي عبيد قال : سمعت أبا عبيدة يقول : من زعم أن في القرآن

لسانًا سوى العربية فقد أعظم على الله القول » .

ومعناه أتى بأمر عظيم ؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه . وإن كان كذلك فلا وجه لقول من يُجيز القراءة في الصلاة بالفارسية ؛ لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير، وهذا لا يقول به أحد . انتهى .

ومن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة ؛ لكن صح رجوعه عن ذلك . ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرها أنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم .

فمن ذلك « الطور » : جبل بالسريانية . و « طققا » أى قصدا بالرومية . والقسط والقسطاس : العدل بالرومية . ﴿ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) : تبنا بالعبرانية . والسجل [الكتاب] ^(٢) بالفارسية . والرقم : اللوح بالرومية . والمهل : عكر الزيت بلسان أهل المغرب . والسندس : الرقيق من الستر بالهندية . والإستبرق : الغليظ بالفارسية بحذف القاف ^(٣) . السرى : النهر الصغير باليونانية . طه : أى طأ يارجل بالعبرانية . يُضهر : أى ينضج بلسان أهل المغرب . سينين ^(٤) : الحسن بالنبطية . المشكاة : الكوة بالحشية وقيل الزجاجة تسرج . الدرى : المضىء بالحشية . الأليم : المؤلم بالعبرانية . ﴿ نَظْرِينَ إِنَاهُ ﴾ ^(٥) : أى نضجه بلسان أهل المغرب . ﴿ الْمَلَّةُ الْآخِرَةُ ﴾ ^(٦) : أى الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة . ﴿ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ ^(٧) : أى أمامهم

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٢) من كتاب الإتيان ١ : ١٣٨ ، وفي المغرب ١٩٤ : « قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجِّلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ؛ قيل : السجل بلغة الحبشة الرجل ؛ وقيل كاتب للنبي عليه السلام ... قال أبو بكر سجل : كتاب ، والله أعلم » .

(٣) في المغرب ١٥ : « الإستبرق : غليظ الديباج ، فارسي معرب ، وأصله : (استفره) » .

(٤) الكلمة محرفة في الأصول ، والتصويب من الإتيان ١ : ١٣٩ ، والمغرب ١٩٨ ؛ وفيه : وقيل :

مبارك ؛ وقيل : هو الجبل الذى نادى الله منه موسى « .

(٦) سورة ص ٧ .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٧) سورة الكهف ٧٩ .

بالقبطية . اليم : البحر ، بالقبطية . بطائنها ^(١) : ، ظواهرها بالقبطية . الأب : الحشيش ، بلغة أهل المغرب . ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٢) قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل . ﴿ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٣) قال أبو موسى الأشعري : رضى الله عنه : « ضِعْفَيْنِ » بلغة الحبشة . القسورة : الأسد بلغة الحبشة .

واختار الزخشرى أن التوراة والإنجيل أعجميان ، ورجح ذلك بقراءة « الأنجيل » بالفتح ، ثم اختلفوا ، فقال الطبرى : هذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد . وحكاها ابن فارس عن أبي عبيد .

وقال ابن عطية ^(٤) : « بل كان للعرب ^(٥) العاربة التي نزل القرآن بلغتهم ^(٦) بعض مخالطة ^(٧) لسائر الألسن بتجارات ، وبرحلتى قريش ، وبسفر مسافرين ، كسفر أبي عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة ، وصحبته [لنصارها] ^(٨) مع كونه حجة في اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت في تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربى فكجمله الصريح بما في لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » ، إلى غير ذلك . قال : خفيفة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربت بها فهي عربية بهذا الوجه .

(١) من قوله تعالى في سورة الرحمن ٥٤ . ﴿ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ .

(٢) سورة الزمل ٦ .

(٣) سورة الحديد ٢٨ .

(٤) من مقدمة كتابه في التفسير ص ٢٧٧

(٥) المقدمة : « بلسانها » .

(٦) المقدمة : « فإنه قد كان . »

(٨) من المقدمة .

(٧) في المقدمة : « مخالطة » تصحيف .

قال: « وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظه ^(١) فذلك بعيد؛ بل إحداها أصل والأخرى فرع في الأكثر، لأننا لا ندفع أيضا جواز الاتفاقات ^(٢) إلا قليلا شاذا ». وقال القاضي أبو المعالي عزي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه في كلام العرب؛ لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣).

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل العربية. ثم قال أبو عبيد ^(٤): « والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فربتها بالسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق ». قال: « وإنما فسر هذا لثلاثي يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أَرَادَهُ [الله جلّ وعز] ^(٥)، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشدّ تعظيما للقرآن ».

قال ابن فارس ^(٦): « وليس كل من خالف قائلا في مقالته ينسب ^(٧) إلى الجهل، فقد ^(٨) اختلف الصدر الأول في تأويل [آي من] ^(٩) القرآن ».

قال: « فالتقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره ».

-
- | | |
|---|---------------------------------|
| (١) المقدمة: « لفظ لفظة ». | (٢) المقدمة: « الاتفاق ». |
| (٣) سورة إبراهيم ٤ | (٤) نقله ابن فارس في الصحاحي ٢٩ |
| (٥) من كتاب الصحاحي | (٦) للمدرّسه |
| (٧) الصحاحي: « فقد نسب ». | (٨) الصحاحي: « وذلك أن الصدر » |
| (٩) تمة الكلام: « غالف بعضهم بعضا، ثم خلف من بعدهم خلف، فأخذ بعضهم بقول، وأخذ بعض بقول، حسب اجتهدام ومادتهم الدلالة عليه ». | |

النوع الثامن عشر معرفة غريب

وهو معرفة المدلول ؛ وقد صنف فيه جماعة ؛ منهم أبو عبيد كتاب "المجاز" ،
وأبو عمر غلام ثعلب ^(١) : " ياقوتة الصراط " . ومن أشهرها كتاب ابن عزيّر ^(٢) ،
و " الغريبين " ، ^(٣) للهروي . ومن أحسنها كتاب " المفردات " للراغب .

وهو يتصيد المعاني من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة . قال الشيخ أبو عمرو
ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير : « قال أهل المعاني » فالمراد به مصنفوا الكتب
في معاني القرآن ، كالزجاج ومن قبله .. وفي بعض كلام الواحدى : « أكثر أهل المعاني :
القراء والزجاج وابن الأنبارى قالوا كذا » . انتهى .

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : اسما وفعلا وحرفا ؛ فالحروف لقلتها
تكلم النحاة على معانيها ؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة . وأكثر الموضوعات في علم اللغة
كتاب ابن سيّد ^(٤) ؛ فإن الحافظ أبا محمد علي بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر ؛ بدأ

(١) هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ، توفي سنة ٣٤٥ . (إنباه الرواة ٣ : ١٧١)
(٢) هو محمد بن عزيز الغريزي السجستاني ، صاحب كتاب غريب القرائت ؛ قال السيوطي في الإتيان
١ : ١١٣ : « أظن في تأليفه يمرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري » ؛ وتوفي سنة ٣٣٠ . (بغية الرواة ٧٢)
(٣) يعني غريب القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروي التوفي سنة ٤٠١ (واظن كشف الظنون ١٢٠٩) .
(٤) في الأصل : « ابن السيد » تصحيف ؛ وهو أحمد بن أبان بن سيد القرطبي ، توفي سنة ٣٨٢ ؛ وكتابه
هو : « العالم في اللغة » مرتب على الأجناس ؛ ذكره الفطحي وياقوت ، (واظن معجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ ،
وإنباه الرواة ١ : ٣٠) .

بالفلك وختم بالذرة . ومن الكتب المطولة كتاب الأزهرى و"الموعب" ^(١) لابن التيتانى و"الحكم" لابن سيده ^(٢) ، وكتاب "الجامع" للقزاز ^(٣) ، ، والصحاح ، للجوهري ^(٤) ، و"البارع" ، لأبى على القالى ^(٥) ، ومجمع "البحرين" ، للصاغانى ^(٦) .

ومن الموضوعات فى الأفعال كتاب ابن القوطية ^(٧) ، وكتاب ابن طريف ^(٨) ، وكتاب السرقسطى المنبوز بالبحار ^(٩) ، ومن أجمعها كتاب ابن القطّاع ^(١٠) .

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضرورى ، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى . قال يحيى بن نضلة المدينى : سمعتُ مالك بن أنس يقول : لا أوتى رجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا .

وقال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب .

(١) فى الأصول « المستوعب » ؛ وصوابه من التاج (تين) ، جاء فيه : « هو أبو غالب تمام بن غالب بن عمرو المرسى التيتانى ، صاحب الموعب وشارح الفصيح » .

(٢) هو على بن إسماعيل بن سيده الضرير ، صاحب المختص والحكم ؛ توفى سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القيروانى القزاز ؛ من شيوخ المغرب ؛ توفى سنة ٤١٢ . (بغية الوعاة)

(٤) هو إسماعيل بن حماد أبو نصر ؛ إمام اللغة والأدب فى عصره ، توفى سنة ٣٩٣ (بغية الوعاة ١٩٥) .

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن عيزون البغدادى المعروف بالقالى ؛ صاحب الأملى والنوادر والبارع ، توفى سنة ٣٥٦ (بغية الوعاة ١٩٨) .

(٦) هو الإمام حسن بن محمد الصغانى ، التوفى سنة ٦٥٠ ؛ جمع فى كتابه بين كتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، وبين كتاب التكملة والذيل والصلة من تأليفه (كشف الظنون ١٥٩٩) .

(٧) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي المعروف بابن القوطية ؛ صاحب كتاب تصاريف الأفعال وغيرها . توفى سنة ٣٦٧ (بغية الوعاة ٨٤) .

(٨) هو عبد الملك بن طريف الأندلسى ؛ أخذ عن أبي بكر بن القوطية ؛ وتوفى فى حدود سنة ٤٠٠ ، (بغية الوعاة ٣١٣) .

(٩) هو أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطى المنبوز بالبحار ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٣٣ .

(١٠) هو على بن جعفر بن على السعدنى الصقلى المعروف بابن القطّاع ؛ صاحب كتاب الدرة الخضرية فى شعر أهل الجزيرة ؛ وكتاب تهذيب الأفعال . توفى بعصر سنة ٥١٥ (إنباه الرواة ٢ : ٢٣٨) .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب .

وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴾ ^(١) قال : « ما جمع » وأنشد :
 إِن لَنَا قَلِيلًا نَصَاحَاتًا مَسْتُوثَاتٍ لَوْ يَجِدُن سَاتِقًا ^(٢)

وقال : ما كنت أدرى ما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ^(٣) ، حتى سمعت ابنة ذى يزن الحميري وهي تقول : أفتاحك ، يعني أفاضيك .
 وفي سورة السجدة : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٤) يعني متى هذا القضاء
 وقوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٦) .

وقال أيضاً : ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعريمان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، يعني ابتدأتهما .

وجاءه رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الورا ، فقال ابن عباس : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمَنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَمْقُوبَ ﴾ ^(٧) . قال : ولد الولد .

ومسائل نافع ^(٨) له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس في كل جواب

(١) سورة الانشقاق ١٧

(٢) اللسان (وسق) ونسبه إلى الججاج .

(٣) سورة الأعراف ٨٩

(٤) سورة السجدة ٢٨

(٥) سورة السجدة ٢٨

(٦) سورة هود ٧١

(٧) سورة الفتح ١

(٨) نقلها السيوطي في الإتيان ١ : ١٢٠ - ١٣٣ ، وجاء في صدرها : « بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أكتفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ؛ فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسر هالنا وتأتينا بمصادق من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سألني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ ﴾ ، فقال : العزون : خلق الرفق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرس وهو يقول :

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عِزِينَ

ثم ساق بقية المسائل ...

بيت ذكرها الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، بإسناده، وقال: فيه دلالة على بطلان قول مَنْ أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، وليس كذلك، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك. ثم إن كان ماتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفي فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهد من الشعر.

وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٣) فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدرى عن شفع أو وتر، قال الحسن: مَهْ يَا أَبَا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾! فلما لم يتدبر أبو العالية حرف «في» و«عن» تنبه له الحسن؛ إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت، ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْسُقْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾^(٤) أنه من عَشَوْتُ أعشوشوا إذا نظرت؛ وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يعرض؛ وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عَشَوْتُ إلى الشيء وعَشَوْتُ عنه.

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٤) سورة الزخرف ٣٦

(١) سورة يوسف ٢

(٣) سورة الماعون ٥

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ ﴾^(١) قال : فارغا من الحزن ، لعلها أنه لم يفرق ؛ ومنه « دم فراغ » ، أى لا قود فيه ولا دية .

وقال بعض الأدباء : أخطأ أبو عبيدة في المعنى ؛ لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه لما قال : ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ۖ ﴾^(٢) لأنها كادت تبدى به .

وهذا الباب عظيم الخطر ؛ ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذرا أن يزولوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين . وكان الأصمعي وهو إمام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ، وحكى عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ شَفَّهًا حُبًّا ۖ ﴾^(٣) فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهى لكم شفاف ! ولم يزد على هذا . ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني العربية .

واعلم أنه ليس لغیر العالم بمحقق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله ، ولا يكنى في حقه تعلم السير منها ؛ فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر ؛ وهذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من أفصح قریش ؛ سئل أبو بكر عن « الأب » فقال أبو بكر : أى سماء تظلتى ، وأى أرض تقلتى إذا قلت فى كلام الله ما لا أعلم ! وقرأ عمر سورة « عبس » ، فلما بلغ « الأب »^(٤) قال : الما كهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم قال : لعمر ك يا ابن الخطأب إن هذا لهو التكلف . وروى عنه أيضا أنه قال : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۖ ﴾^(٥) . وفي رواية قال : فما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا ، أو ما أمرنا بهذا .

وما ذاك بجهل منهما لمعنى « الأب » ؛ وإنما يحتمل والله أعلم أن « الأب » من الألفاظ المشتركة فى لبعثهما أو فى لغات ، فخشيا أن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره ؛ ولهذا اختلف

(٢) سورة يوسف ٣٠ .

(٤) سورة ال عمران ٧ .

(١) سورة القصص ١٠ .

(٣) سورة عبس ٣١ .

المفسرون في معنى «الأب» على سبعة أقوال ؛ فقيل : ما ترعاه البهائم ، وأما ما يأكله الآدمي فالحصيد . والثاني : التبن خاصة . والثالث : كل ما نبت على وجه الأرض . والرابع : ما سوى الفاكهة . والخامس : الثمار الرطبة ، وفيه بُعد ، لأنّ الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة ؛ ولا يقال أفردت للتفضيل ، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو : ﴿ فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ . والسادس : أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب . والسابع أنه للأنعام كالفاكهة للناس . ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين : أحدهما أن يكون خفي عليه معناه وإن شهر ، كما خفي على ابن عباس معنى « فاطر السموات » . والثاني تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم ؛ كما كان يقول : أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم ، يريد الاحتراز ؛ فإن من احترز قلت روايته .

النوع التاسع عشر معرفة التصريف

وهو ما يلحق الكلمة بينيتها ^(١)، وينقسم قسمين:

أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني . وينحصرُ في التصغير ،
والتكبير ^(٢) ، والمصدر ، واسمِي الزمان والمكان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ،
والمقصور ، والمدود .

والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارى عليها . وينحصر في الزيادة ، والحذف ، والإبدال ،
والقلب ، والنقل ، والإدغام .

وفائدة التصريف حصولُ المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ؛ فالعلم به أهم من
معرفة النحو في تعرف اللغة ؛ لأن التصريف نظراً في ذات الكلمة ، والنحو نظراً في عوارضها ^(٣) .
وهو من العلوم التي يحتاج إليه المفسر .

قال ابن فارس ^(٤) : من فاته علمه فاته المعظم ؛ لأننا نقول « وجد » كلمة مبهمه ، فإذا
صرفناها اتضحت ^(٥) ، قلنا في المال « وُجدا » وفي الضالة : « وجدانا » وفي الغضب
« مَوْجدة » وفي الحزن « وَجدا » وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ

(٢) م : « التكبير » .

(١) ت : « بنسبها »

(٣) ت : « موارضها » .

(٤) الصاحي ١٦٢

(٥) في الصاحي : « أفضحت » .

حَطَبًا»^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢) ؛ فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل^(٣) .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ؛ فيقولون للطريق في الرمل : « خِبة » ، وللأرض الخخصة والمجدبة « خِبة »^(٤) ، وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهرى أن مادة « ذكر » بالدال المهملة مهملة غير مستعملة ، فكتب التاج الكندى^(٥) على الطرمة ذكر أنه مهمل : مستعمل ، قال الله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾^(٦) ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(٧) . وهذا الذى قاله سهو أوجه الغفلة عن قاعدة التصريف ؛ فإن الدال في الموضعين بدل من الذال ؛ لأن أذْ كَر أصله « اذتكر » افتعل من الذكر ، وكذلك مدْ كَر أصله « مدتكر » مفتعل من الذكر أيضا ، فأبدلت التاء دالا والذال كذلك ، وأدغمت إحداهما فى الأخرى فصار اللفظ بهما كما ترى .

وقال الزمخشري فى تفسير قوله تعالى : ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾^(٨) سهل لهم ركوب^(٩) المعاصى^(١٠) ، من السَّوَّل وهو الاسترخاء ، وقد اشتقه من السَّوَّل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا - يعرض بآبن السَّكَّيت .

وقال أيضا :^(١١) من بدع التفسير أن « الإمام » فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^(١٢) جمع « أم » وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائهم دون

(١) سورة الجن ٤

(٢) سورة الحجرات ٩

(٣) فى الصحاح : « من العدل إلى الجور »

(٤) كذا فى الأصول والصحاح ، وفى اللسان : « الخبة : أرض بين أرضين ، لا مخضبة ولا مجدبة »

(٥) هو أبو اليمى زيد بن الحسن المعروف بالتاج الكندى ، البغدادى مؤلفا ، الدمشقى دارا ووفاة

من علماء النحو واللغة والقراءات ؛ توفى سنة ٦١٣ (إنشاء الرواة ٢ : ١٢) .

(٦) سورة القمر ١٥

(٧) سورة يوسف ٤٥

(٨) الكشاف ٢ : ٣٨٠

(٩) القتال ٢٥

(١٠) الكشاف ١ : ٥٥٣

(١١) فى الكشاف : « العظام »

(١٢) سورة الإسراء ٧١

آبائهم^(١) ، لثلا يفتضح أولاد الزنا . قال : وليت شعري أيهما أبداع ، أصحة لفظة أمه أم [بهاء]^(٢) حكته .

يعنى أن « أمّا » لا يجمع على « إمام » ، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ، ولا لغة العرب .

وقال الراغب في قوله تعالى : ﴿ فَأَدَارَأْنُمُ فِيهَا ﴾^(٣) : هو « تفاعلت »^(٤) ، [أصله : « تدارأت »]^(٥) ، فأريد منه الإدغام تخفيفا ، وأبدل من التاء دال ، [فسكن للإدغام]^(٦) فاجتليت لها ألف الوصل ، فحصل على « أفاعلت »^(٧) .

وقال بعض الأدباء : ﴿ أَدَارَأْنُمُ ﴾ « افتعلت » ؛ وغلط من أوجه :
أولا : أن ﴿ أَدَارَأْنُمُ ﴾ على ثمانية أحرف ، و « افتعلت » على سبعة أحرف .
والثاني : أن الذى يلي ألف الوصل تاء فجعلها دالا .

والثالث : أن الذى يلي الثانى دال ، فجعلها تاء .

والرابع : أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال [منه]^(٨) إلا متحركا ، وقد جعله هذا سا كنا .

والخامس : أن هاهنا قد دخل بين التاء والدال زائد ، وفي « افتعلت » لا يدخل ذلك .

والسادس : أنه أنزل الألف منزلة العين ، وليست بعين .

(١) كنا فى الأصول ، وعبارة الكشف : « وأن الحكمة فى الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وألا يفتضح أولاد الزنا . . . » .

(٢) من الكشف

(٣) سورة البقرة ٧٢

(٤) مفردات الراغب ١٦٨ - ١٦٩

(٦) فى الأصول : « تفاعلت » ؛ صوابه من المفردات .

(٥) تكملة من المفردات

والسابع : أن تاء « افعل » قبله حرفان ، وبمعه حرفان و ﴿ اذْأَرَأَيْتُمْ ﴾ بعدها ثلاثة أحرف .

وقال ابن جني ^(١) : من قال : « اتخذت » « افعلت » من الأخذ ؛ فهو مخطئ .
قال : وقد ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج ، وأنكره عليه أبو علي ؛ وأقام الدلالة على فساده ، وهو أن ذلك يؤدي إلى إبدال الممزة تاء ، وذلك غير معروف .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني ؛ صاحب المصائص وسر الصناعة والتصريف وغيرها من كتب النحو واللغة . توفي سنة ٣٩٢ ، نزهة الألباء ٤٠٦ .

النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها

و يؤخذ ذلك من علم النحو ، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضحها كتاب " الحوفي " ،^(١) ومن أحسنها كتاب " المشكل " ،^(٢) ، وكتاب أبي البقاء العكبري^(٣) ، وكتاب المنتخب المهداني^(٤) ، وكتاب الزمخشري^(٥) ، وابن عطية^(٦) ، وتلامم الشيخ أبو حيان^(٧) .

قالوا : والإعراب يبين للمعنى ؛ وهو الذي يميّز المعاني ، ويوقف على أغراض التكلمين ؛ بدليل قولك : ما أحسن زيدا ، ولاتأكل السمك وتشرب اللبن ، وكذلك

(١) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصري ؛ توفي سنة ٤٣٠ ، وهو صاحب كتاب البرهان في تفسير القرآن ؛ قال صاحب كشف الظنون : « ذكر فيه الغريب والأعراب والتفسير » ، وقال القفطي : « صنف تصنيفا كبيرا في إعراب القرآن أبدع فيه ، تنافس العلماء في تحصيله ، وسمعت أن أحد المشتهرين بهذا النوع اتباع منه نسخة بمصر في عشر مجلدات ، وأحضرها إلى مدينته بالشام ، وهو غير عالم بقدرها ولا عارف بمصنفها ، ولا تنبه على جلالتها اشتد حفظه لها ، وصنعه بها تقليدا ، وادخرها لولده إن طلع من أهل هذا الشأن » وفي دار الكتب المصرية أجزاء قيمة من هذا الكتاب برقم ٥٩ تفسير (وانظر إنباه الرواة ٢ : ٢١٩ ، وحسن المحاضرة ٢ : ٢٢٨ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) هو كتاب مشكل إعراب القرآن ألفه مكى بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة مدينة باستانبول .

(٣) هو كتابه المسمى : إملأ مامن به الرحمن ، من وجوه الإعراب والقراءات في القرآن ، طبع بالمطبعة الليمنية بمصر سنة ١٣٢١ .

(٤) قال ابن الجزري : كان رأسا في القراءات والعربية . . . وأعرب القرآن العظيم إعرابا متوسطا . . . توفي سنة ٦٤٣ (طبقات القراء ٢ : ٣١١)

(٥) في كتابه الكشف ، معروف متداول .

(٦) هو الإمام عبد الحق بن غالب ، المتوفى سنة ٥٤٦ ؛ صاحب كتاب المحرر الوجيز ، في تفسير الكتاب العزيز ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠ تفسير .

(٧) هو أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين ، المعروف بأبي حيان النحوي ، صاحب كتاب البحر المحيط في التفسير ، طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني، فقالوا: مِفْتَحُ اللَّآلَةِ التي يَفْتَحُ بها، ومِفْتَحُ لموضع الفتح، ومِقْصُ اللَّآلَةِ، ومِقْصُ للموضع الذي يكون فيه القَصُّ . ويقولون : امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل يشاركها في الطهارة .

وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسرارهِ النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبراً، أو فاعلة أو مفعولة ، أو في مبادئ الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير، أو جمع قلة أو كثرة ، إلى غير ذلك .

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدها - وهو أول واجب عليه - أن يفهم معنى ما يريد أن يعرِّبه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب ؛ فإنه فرع المعنى ؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من التشابه الذي استأثره الله بعلمه ؛ ولهذا قالوا في توجيه النصب في « كَلَالَة » في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ ^(١) أنه يتوقف على المراد بالكَلَالَة ؛ هل هو اسم للميت أو للورثة أو للمال ؛ فإن كان اسماً للميت فهي منصوبة على الحال ؛ وإن كان تامة لا خبر لها بمعنى وُجد . ويجوز أن تكون ناقصة والكَلَالَة خبرها ، وجزاء أن يخبر عن النكرة لأنها قد وصفت بقوله : « يُورَث » والأول أوجه . وإن كانت اسماً للورثة فهي منصوبة على الحال من ضمير ﴿ يورث ﴾ لكن على حذف مضاف ، أي ذا كَلَالَة ، وعلى هذا فكان ناقصة « ويورث » خبر . ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة . ويجوز أن يكون خبراً فتكون صفة . وإن كانت اسماً للمال فهي مفعول ثان ليورث ، كما تقول : ورثت زيدا مالا وقيل تمييز ، وليس بشيء . ومن جعل الكَلَالَة الورثة فهي نعت لمصدر

محذوف ، أى وارثة كلالة ، أى يورث بالورثة التى يقال لها : الكلالة ، هذا كله على قراءة ﴿يُورَثُ﴾ بفتح الراء ، فأما من قرأ ﴿يُورِثُ﴾ بكسرها مخففة أو مشددة ، فالكلالة هى الورثة أو المال .

ومن ذلك « تقاة » فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَقَوَّا مِنْهُمْ تَقَاةً﴾ ^(١) ، فى نصبها ثلاثة أوجه مبنية على تفسيرها . فإن كانت بمعنى الاتقاء فهى مصدر كقوله تعالى : ﴿أَنْتَبَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ^(٢) ، وإن كانت بمعنى المفعول أى أمرا يجب اتقاؤه ، فهى نصب على المفعول به ، وإن كانت جمعا كرام ورماة ، فهى نصب على الحال .

ومن ذلك إعراب « أخوى » من قوله : ﴿غَنَاءَ أَخَوَى﴾ ^(٣) ، وفيه قولان متضادان : أحدهما أنه الأسود من الجفاف واليبس ، والثانى أنه الأسود من شدة الخضرة ، كما فسر ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ^(٤) فعلى الأول هو صفة لغشاء ، وعلى الثانى هو حال من المرعى ، وأخر لتناسب القواصل .

ومنه قوله تعالى : ﴿الَّذِي يَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ^(٥) ؛ فإنه قيل : الكفات : الأوعية ، ومفردها « كفت » والأحياء والأموات كناية عما نبت وما لا ينبت ، وقيل : الكفات مصدر كفته إذا ضمه وجمعه ؛ فعلى الأول ﴿أحياء وأمواتا﴾ صفة لكفاتا ؛ كأنه قيل : أوعية حية وميتة ، أو حالان ؛ وعلى الثانى فهى مفعولان لمحذوف ، ودل عليه ﴿كفاتا﴾ أى يجمع أحياء وأمواتا .

ومنه قوله : ﴿سَبْعًا مِنَ الثَّانِي﴾ ^(٦) فإنه إن كان المراد به القرآن ، فمن التبويض ، والقرآن حينئذ من عطف العام على الخاص ؛ وإن كانت القائمة فن لبيان الجنس ، أى سبعا هى الثانى .

(٢) سورة نوح ١٧
(٤) سورة الرحمن ٦٤
(٦) سورة الحجر ٨٧

(١) سورة آل عمران ٢٨
(٣) سورة الأعلى ٥
(٥) سورة الرسالات ٢٥

تنبيه : قد يقع في كلامهم : هذا تفسير معنى ، وهذا تفسير إعراب . والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك ، وقد قال سيبويه في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ ^(١) : « تقديره ^(٢) مثلك يا محمد ^(٣) ، ومثل الذين كفروا كمثل الناقى والمنعوق به » .

واختلف الشارحون في فهم كلام سيبويه ، فقليل : هو تفسير معنى ، وقيل : تفسير إعراب ؛ فيكون في الكلام حذفان : حذف من الأول وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق ، وقد أثبت نظيره في الأول ؛ فعلى هذا يجوز مثل ذلك في الكلام .

والثاني : تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة ، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ؛ قال الزمخشري في كشافه القديم : القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دون الشاذ النادر الذي لا يُعثر عليه إلا في موضع أو موضعين . وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والمربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلُكُمْ ﴾ ^(٤) في قراءة الجر ؛ وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ؛ ولأنه إنما يُصار إليه إذا أمِن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يجيء مع عدم حرف العطف ، وهو ها هنا موجود . وأيضا فنحن في غنية عن ذلك كما قاله سيبويه : إن العرب يقرب عندها المسح من الفسل ؛ لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا في المعنى حصل العطف كقوله : * متقلداً سيفاً ورُحاً * ^(٥)

(٢) الكتاب ١ : ١٠٨

(١) سورة البقرة ١٧١

(٣) الكتاب : « وأما المعنى : مثلك ومثل الذين كفروا . . . »

(٤) سورة المائدة ٦

(٥) صدره : * يَأْتِيَتْ بِعَلِّكَ قَدْ غَدَا *

وهو لمبدأه بن الزبيري ؛ كما في حوشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ ليسك . وأنظر أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٠

ومهما أمكن المشاركة في المعنى حسن العطف وإلا امتنع ؛ فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستثناء بأحد الفعلين عن الآخر ، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى : ﴿ سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا ﴾ ^(١) ؛ فإنما أجيز في الكلام ، لأنه رُدَّ إلى الأصل ، والعطف على الجوار خروج عن الأصل ، فافترقا .

الثالث : تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلام لا يختلف معناه بمجرد زيادة ؛ لأن الزيادة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يحتمل من متكلم ، فضلاً عن كلام الحكيم .

وقال ابن الخشاب ” في العتمد “ : اختلف في هذه المسألة ، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ، وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف ، هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها ، فلا أقضى عليها بالزيادة ، ونقله عن ابن درستويه . قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث ، فتعين أن إلينا به حاجة ، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة ، كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها ^(٢) مزيدة عليه ، وبه يرتفع الخلاف .

وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه مقصداً ، ويقع ذلك في عبارة مستوية .

(١) سورة الإنسان : ٤ . (٢) ت : « إلى اللفظ الذي رأوه زائدة عليه » .

الرابع : تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجوير الزمخشري في ﴿لِلْقُرَّاءِ﴾^(١) في سورة الحشر ، أن يكون بدلا من قوله : ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٢) ، وهذا فصل كبير ، وإنما حمله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لا يستحق القريب بقرابته بل لكونه فقيرا ، والشافعي يخالفه . ونظيره إعراب بعضهم : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٣) بدلا من المجرور في قوله تعالى : ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٤) .

الخامس : تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر امرئ القيس وغيره ، وأن نقول في نحو : ﴿اغفر لنا﴾ و ﴿اهدنا﴾ فعلى دعاء أو سؤال ، ولا نقول : فعلى أمر ، تأديبا ، من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء ، على الخلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدي^(٥) في ” البصائر “ : سألت السيرافي عن قوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا بِالْقِسْطِ﴾^(٦) بما انتصب ؟ قال : بالحال ، قلت : لمن الحال ؟ قال : لله تعالى ، قلت : فيقال لله حال ؟ قال : إن الحال في اللفظ لا لمن يُلفظ بالحال عنه ؛ ولكن الترجمة لا تستوفي حقيقة المعنى في النفس إلا بعد أن يصوغ الوهم هذه الأشياء صياغة تسكن إليها النفس ، وينتفع بها القلب ، ثم تكون حقائق الألفاظ في مُفسادها غير معلومة ولا منقوضة باعتقاد ، وكما أن المعنى على بعد من اللفظ ، كذلك الحقيقة على بعد من الوهم .

(٢) سورة الحشر ٧

(٤) سورة الأنبياء ١

(١) سورة الحشر ٨

(٣) سورة الأنبياء ٣

(٥) هو علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي ؛ المتوفى سنة ٣٨٠ ، وكتابه البصائر من أمتع ما ألف من الكتب ، طبع الجزء الأول منه في مطبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، بتحقيق الأستاذين : أحمد أمين والسيد أحمد صقر .

(٦) سورة آل عمران ١٨

السادس : البحث على الأصل والزائد ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَفْقُورَ أَوْ يَفْقُورَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ ^(١) فإنه قد تنوهم « الواو » في الأولى ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون مع « أن » ، وليس كذلك ؛ بل الواو هنا لام الكلمة ، والنون ضمير جمع المؤنث ، فبنى الفعل معها على السكون ؛ فإذا وصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ؛ ومثله : « النساء يرجون » ، بخلاف : « الرجال يرجون » ، فإن الواو فيه ضمير الجمع ، والنون حرف علامة الرفع ؛ وأصله « يَرْجُونَ » أعلت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف ، فإذا دخل الجازم حذف النون ؛ وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف في التقدير .

وكذلك يُبحث عما تقتضيه الصناعة في التقدير ، ولا يؤخذ بالظاهر ، ففي نحو قوله تعالى : ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ ^(٢) يتبادر إلى الذهن أن ﴿ مرحباً ﴾ نصب ، اسم لا ، وهو فاسد ، لأن شرط عملها في الاسم ألا يكون معمولاً لغيرها ؛ وإنما نصب بفعل مضمر يجب إضماره ، و ﴿ لا ﴾ دعاء ، و ﴿ بهم ﴾ بيان للمدعو عليهم . وأجاز أبو البقاء أن ينصب ^(٣) على المفعول به ، أي لا يسمعون مرحباً ، وأجاز في جملة ﴿ لا مرحباً ﴾ أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالا ، أي هذا فوجٌ مقولاً له : ﴿ لا مرحباً ﴾ .

وفيه نظر ؛ لأنه قدر « مقولاً » فقولاً هو الحال ، و ﴿ لا مرحباً ﴾ محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خبر « أن » على التقديم ، وهو فاسد لأنه ليس المراد الإخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سورة س ٥٩

(١) سورة البقرة ٢٣٧

(٤) سورة الحجرات ٧

(٣) إملأ ما من به الرحمن ٢ : ١١٤

فيهم ، وإنما الغرض أنه لو أطاعكم في كثير من الأمر لعنتم ، وإنما ﴿ فيكم ﴾ حال ، والمعنى : واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ^(٢) فإن الجواب وقع فيهما بعد النفي مقروناً بالفاء ، وفي الأولى حذفت النون وفي الثانية أثبتتها ، فما الفرق بينهما ؟ وجوابه أن حذف النون جواباً للنفي هو على أحد معني نصب « ما تأتينا فتحدثنا » أى ما يكون إتيان ولا حديث ، والمعنى الثانى إثبات الإتيان ونفي الحديث ، أى ما تأتينا محدثاً ، أى تأتينا غير محدث ، وهذا لا يجوز فى الآية . وأما إثبات النون فعلى العطف .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشِّرْهُم بِوَاحِدَةٍ نَّسَبُهَا ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ أَبَشِّرْ يَهُودَؤُنَّا ﴾ ^(٤) حيث انتصب « بشرا » فى الأول وارتفع فى الثانى ، فيقال : ما الفرق بينهما ؟ والجواب أن نصب « بشرا » على الاشتغال ، والشاغل للعامل منصوب ، فصح لعامله أن يفسر ناصباً ، وأما فى الثانية فالشاغل مرفوع مفسر رافعا ؛ وهذا كما تقول : أزيد قام ؟ فزيد مرفوع على الفاعلية طلب أداة الفعل ؛ فهذا فى الاشتغال والشاغل مرفوع ، وتقول فيما الشاغل فيه منصوب : أزيداً ضربته ؟

وقريب منه إجماع القراء على نصب « قليل » فى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٥) . واختلفوا فى : ﴿ مَا قَلِيلُهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٦) ؛ وإنما كان كذلك لأن ﴿ قليلاً ﴾ الأول استثناء من موجب ، والثانى استثناء من منفي .

(٢) سورة المرسلات ٣٦

(٤) سورة البقرة ٦٦

(٦) سورة النساء ٦٦

(١) سورة فاطر ٣٦

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة البقرة ٢٤٩

فإن قيل : فلم أجمعوا على النصب في ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) مع أنه استثناء من غير موجب ؟ قيل : لأن هذا استثناء مفرغ ، وهو نعت لمصدر محذوف ، فالتقدير : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً .

ومثله ﴿ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ ^(٢) في سورة الحديد ، قرأها ابن عامر برفع ﴿ كل ﴾ ووافق الجماعة على النصب في النساء . والفرق أن الذي في سورة الحديد شغل الخبر بهاء مضرة ، وليس قبل هذه الجملة جملة فعلية ، فيختار لأجلها النصب ، فرفع بالابتداء ، وأما التي في سورة النساء فإنما اختير فيها النصب ؛ لأن قبله جملة فعلية ، وهي قوله : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ .

تنبيه

قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد ، وكان أبو على الفارسي يلم به كثيراً ، وذلك أنه يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، قالوا : والتمسك بصحة المعنى يؤول لصحة الإعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ^(٣) فالظرف الذي هو ﴿ يوم ﴾ يقتضي المعنى أن يتعلق بالمصدر الذي هو « رجع » ، أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر ؛ لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومفعوله بأجنبي ، فينثذ يحل العامل فيه فعلاً مقدرًا دل عليه المصدر . وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ^(٤) ، فالمعنى يقتضي تعلق « إذ » بالفت ، والإعراب يمنعه للفصل بين المصدر ومفعوله بالخبر ، فيقدر له فعل يدل عليه الفت .

(١) سورة النساء ... (٢) سورة الحديد ١٠ ، والنساء ٩٥ ، وانظر القرطبي ١٧ : ٢٤١ .

(٣) سورة الطلاق ٨ ، ٩ (٤) سورة المؤمن ١٠

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافٍ الْقَبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ .
 إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴾ ^(١) فالمعنى أن العامل في إذا « خير » ، والإعراب بمنه ؛ لأن
 ما بعد « إن » لا يعمل فيما قبلها ، فاقضى أن يقدر له العامل .

تنبيه

على النحوي بيان مراتب الكلام ؛ فإن مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة ، ومرتبة
 المبتدأ قبل مرتبة الخبر ، ومرتبة ما يصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر -
 وإن كانا فضلتين - ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني . وإذا اتصل الضمير
 بما مرتبه التقديم وهو يعود على ما مرتبه التأخير ، فلا يجوز أن يتقدم ، لأنه يكون متقدما
 لفظا ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبه التأخير وهو يعود على ما مرتبه التقديم فلا يجوز أن
 يتقدم ؛ لأنه يكون مقدما لفظا مؤخرارتبة ، فعلى هذا يجوز : « في داره زيد » لاتصال الضمير
 بالخبر ومرتبه التأخير ، ولا يجوز : « صاحبها في الدار » ، لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبه التقديم .

النوع الحادى والعشرون معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأصح

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس فى ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين قدمها أمام تفسيره ، وما وضعه حازم^(١) الأندلسى المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . وهذا العلم أعظم أركان المفسر ، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والحجاز ، وتأليف النظم ، وأن يؤاخذ بين الموارد ، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك . وأمثال الناس بهذا صاحب الكشف . قال السكاكى : واعلم أن شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحه ، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان على المعانى والبيان والتمرن فيها .

وقال الزمخشري : من حق مفسر كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذهب بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدى سليما من القادح ، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل .

وادعى القاضى أبو الطيب فى كتاب " إعجاز القرآن " أن كثيرا من محاسن هذا العلم لا يُبعد من البلاغة القرآنية ؛ بناء على اختياره فى أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم ، وسيأتى الكلام فى ذلك .

فإن قلت : كيف عددت هذا من أنواع علومه ؛ مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يتوضوا فيه ولم ينقل عنهم شئ من ذلك ، وإنما هذا أحدثه المتأخرون ؟

(١) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين القرطاجى ، توفى سنة ٦٨٤ ، ومن كتبه منهاج البلغاء نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بتونس (وانظر شذرات الذهب ٥ : ٣٨٨) .

قلت : إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام ، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ، ولم يُقصد منه تعليم طرق الفصاحة ؛ وإنما جاءت لتكون معجزة ، وما قصد به الإعجاز لاسيلا إلى معرفة طريقه ، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً ؛ إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً ؛ لأنه موجود في الصحف الأولى ؛ لا مع هذه البلاغة المعينة ؛ وإنما كان بليفاً بحسب كمال التكلم ؛ فهذا لم يتكلم السلف في ذلك ، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان ، بخلاف استنباط الأحكام ، فهذا تسكلموا في الثاني دون الأول .

وأعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عدة التفسير ، المطلع على عجائب كلام الله ، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يجب الفصاحة إلا قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(١) ، [لكفى] ، والمعلومات كثيرة ، ومن الله تعالى جمة ، ولم يخص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان . وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) .

ولهدف الواو في قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(٤) نكتة علمية ، فإنه جعل تعليم البيان في وزن خلقه ، وكالبديل من قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ^(٥) لأنه حتى ناطق ؛ وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم في حد الإنسان : حيوان ناطق .

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ، ليتمكن بها من اتباع التصديق به ، وإذعان النفس له .

وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مُثَبِّتاً وناظراً .

(١) سورة الرحمن ١ - ٤

(٢) سورة آل عمران ١٣٨ -

(٤) سورة الرحمن ٣ ، ٤

(٣) سورة النحل ٨٩

(٥) سورة القيامة ٤٠

فنها تحقيق العقائد الإلهية ، كقوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتَى ﴾ ^(١) بعد ذكره النطفة ومعلقها في مراتب الوجود . وكقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٢) فمن يقرع سمعه هذا الكلام المعجز استشعر من روعة النفس ، واقشعرار الجلد ما يمكن خشية الله وعظمته من قلبه .

ومنها بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْتَسِمْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : « فمن أين يكون الشبه » ؟ فانظر كيف أعطى في هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام المرأة فلا أبين من هذا البيان ، ولا أشقى للمرتاب من هذا القول ! فإنه يرى إحدى المقدمتين عيانا ، وهو شبه الولد بأمه ، ويعلم قطعا أنه ليس هناك سبب يحال الشبه عليه غير الذي أنكر . ومنها تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض ، والإرضاء والإغضاب ، والتشجيع والتخويف . ويكون في مدح وذم ، وشكاية واعتذار ، وإذن ومنع . وينضم إلى قوة القول البلاغى معنى متصل بإعانة لها ؛ مثل فضيلة القائل وحمية النازع ، وقوة البليغ على اطراء نفسه ، وتحسين رأيه .

ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل ، وزيادة تفهم ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ ^(٤) ، وكذلك قوله : ﴿ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ^(٥) ؛ وسر هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المثنى عليهم ، فيسارع إلى التصديق ، ويُلْقَى في نفسه نور من التوفيق .

ويكون هذا القول البلاغى ما يسمى الضمير ، ويسمى التمثيل ؛ وأعني بالضمير

(١) سورة القيامة ٤٠

(٢) سورة الزمر ٦٧

(٤) سورة سبأ ٤٦

(٣) سورة الأفعال ٦١

(٥) سورة الصكوت ٤٣

أن يضر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مُسكر فهو حرام ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾^(١) .

وقد يكون هذا الإضرار في القياس الاستثنائي أيضاً ؛ كقولك : لو كان فلان عزيزاً لمنع بأعنة الخيل جاره ، أو جواداً لشبَّ لسارى الليل ناره ، معوّلاً على أنه قد علم أنه مأمّن ولا شبّ ، فيثبت بذلك مقابله وهو البخل والذّالة ؛ ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢) ؛ وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انفَضُّوا من حوله وهى المضرة ، فاتتني عنه صلوات الله عليه أنه فظٌّ غليظ القلب .
ومن أحسن ما أبرز فيه هذا المضر قول الشاعر^(٣) :

ولو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى موالياً
ومثال الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٤) . وحسبك إمامُ المتقين حين سمع
شعرَ القائلة^(٥) :

ما كان ضرركَ لو مننتَ ورُبَّمَا منَ الفتى وهو المغيظُ المحقُّ
قال : « لو بلغنى شعرُها قبل أن أقتله لما قتلته » ، وقال الآخر :
ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتنينَا

(١) سورة الإسراء ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٣) سورة الأعراف ٢٣ .

(٤) مى قتيلة بنت النضر بن الحارث ، وكان النبی علیه السلام قتل أباهما صبراً ، مرجعه من بدر ؛

فقال كلمة مطلعها :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَيْثِيلَ مِظَنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَوْقُوفٌ

والأبيات فى الحماسة - بشرح الرزوقي ٩٦٣

ومن الاستمالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أنفذ منه إلى القلوب ، وأوقع على المطلوب ،
قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار وقد وَجَدُوا في نفوسهم قسمة الغنائم^(١) في غيرهم : يا معشر
الأَنْصار ، أَلَمْ أُجِدْكُمْ كَذَا ! أَلَمْ أُجِدْكُمْ كَذَا ! ثُمَّ قَالَ : أَجِيبُونِي ، فَاَزَادُوا عَلَى قَوْلِهِمْ :
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَمَّا إِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ لَقِلْتُمْ - [فَلصَدَقْتُمْ]^(٢) ،
وَلَصَدَقْتُمْ :- : جِئْتَنَا بِحَالٍ كَذَا وَكَذَا . فَانْظُرْ مَا أَعْجَبَ هَذَا ! اسْتَشْعَرَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنَّ إِمْسَاكَهُمْ عَنِ الْجَوَابِ أَدَبٌ مَعَهُ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ ، فَأَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا صَدَقُوا ،
وَلَمْ يَكُنْ هُوَ بِالَّذِي يَغْضَبُ مِنْ سَمَاعِهِ ، ثُمَّ زَادَهُمْ تَكْرِيماً بِقَوْلِهِ : «أَمَّا تَرْضَوْنَ
أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَنْصَرَفُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ» ، ثُمَّ زَادَ يَمِينَهُ الْمُبَارَكَةَ^(٣)
الْبِرَّةَ عَلَى فَضْلِ مَا يَنْصَرِفُونَ بِهِ ؛ اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِشَفَاعَتِهِ !

وَمَا تَجِدُ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

أَنَاسٌ أَعْرَضُوا عَنَّا بِلا جُرْمٍ وَلَا مَغْنَى
أَسَاءُوا ظَنَّهُمْ فِينَا فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ!
فَإِنْ عَادُوا لَنَا عُدْنَا وَإِنْ خَانُوا فَاخْنُ
وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَغْفَرُوا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى
وَإِنْ قَالُوا : اذْنُ مِنَّا بَعْدُ بِاعْدْنَا مَنِ اسْتَدْنَى

وَمِنَ الْإِغْضَابِ الْعَجِيبِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُواكُمْ فِي
الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

(١) بعد غزوة الطائف ؛ وذلك حينما أعطى رسول الله عليه السلام ما أعطى من الطاءة لفرش وبعض قبائل
العرب ولم يكن للأَنْصار منها شيء ، فوجدوا لذلك في خبر طويل (وانظر سيرة ابن هشام ٤ : ١٤٦) .

(٢) من سيرة ابن هشام

(٣) وذلك قوله : فواللهي قس عمد يده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأَنْصار .

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ^(٢)، وقوله: ﴿أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ^(٣) والله در القائل:

إذا والى صديقك من تُعَادِي فقد عاداك وانقطع الكلامُ

ومن قسم التشجيع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُفَيَّانٌ مَرْصُوصُونَ﴾ ^(٤) وكفى بحبِّ الله مشجعاً على منازلة الأقران ومباشرة الطعان! وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ^(٥)، وكيف لا يكون والقوم صبروا والملك الحق جلّ جلاله وعدم بالمدد الكثير! ثم قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ^(٦).

وقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ ^(٧) وفي مقابلة هذا القسم ما يراد به الأخذ بالحرز والثاني بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلَاقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ^(٨) ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ^(٩).

ومنه الإبانة بالمدح، وربما مدح الكريم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب؛ كما أشار إليه القرآن فيما أسرَّ سيّد البشر لبعض نساته ممن أظهره الله على إفشائه، فأخبر سبحانه أنه عرّف بعضه وأعرض عن بعض؛ ولذلك قيل:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيد قومه التغابي

(٢) سورة المتحنة ١

(٤) سورة الصف ٤

(٧) سورة البقرة ١٩٥

(٩) سورة الأهل ٦٠

(١) سورة المتحنة ٩

(٣) سورة الكهف ٥٠

(٥) سورة آل عمران ١٢٥

(٦) سورة آل عمران ١٢٦

(٨) سورة النساء ١٠٤

ومنه التمثيل ؛ وإنما يكون بأمر ظاهر يُسلِّمُه السامع ، ويقوِّيه مافى القرآن من قصص
الأشقياء تحذيرا لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء ، ترغيبا لما صاروا إليه من الثواب .
وفي الحديث : « أَرَأَيْتَ لَوْ مَضِضْتَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دِينَ » ، كيف ظهر إمكان
نقل الحكم من شبه إلى شبه .

ومنه أن يذكر الترغيب مع التهيب وُبشِّع البشارة بالإندار ، قال الزمخشري : وسيرُهُ
إرادة التسليط لا اكتساب ما يزلف ، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ؛ فلما ذكر الكفار وأعمالهم
وأوعدهم بالعذاب ، ثنَّاه ببشارة عباده المؤمنين .

تنبيه

ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له ، وإن خالف أصل الوضع
اللغوى لثبوت التجوّز ؛ ولهذا ترى صاحب " الكشاف " يجعل الذى سيق له الكلام
معمّدا ، حتى كأنه غيره مطروح .

النوع الثاني والعشرون
معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير
حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وذلك متواتر وآحاد ، ويوجد هذا الوجه من علم القراءة . وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب " التيسير " ، لأبي عمرو الداني ، وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبي ^(١) في لاميته التي عمّ النفع بها ، وكتاب " الإقناع " ، لأبي جعفر بن الباذش ^(٢) ، وفي القراءات العشر كتاب المصباح ^(٣) لأبي الكرم الشهرزوري .

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها ؛ من تخفيف وتثقيل وغيرها ، ثم هاهنا أمور :

أحدها أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل بل مشهورة ، ولا عبرة بإنكار المبرد قراءة حمزة : ﴿ وَالْأَرْحَامِ ﴾ ^(٤) و ﴿ مُضْرِحِي ﴾ ^(٥) ، ولا بإنكار مغاربة النحاة

(١) هو الإمام القاسم بن فiere الشاطبي الضرير ؛ صاحب القصيدة المعروفة بحز الأمان ووجه التهان ؛ توفي سنة ٥٩٠ (وانظر كشف الظنون ٤ : ٦٤٦) .

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف أبو جعفر بن الباذش الأنصاري ؛ قال ابن الجزري : « ألف كتاب الإقناع في السبع من أحسن الكتب ، ولكنه لا يخلو من أوهام نهت عليها في كتابي الإعلام » . توفي سنة ٥٤٠ . (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٨٣)

(٣) سماه صاحب كشف الظنون : « المصباح الزاهر في القراءات العشر الزواهر » لأبي الكرم مبارك ابن الحسن الشهرزوري المتوفى سنة ٥٥٠ ؛ (كشف الظنون ١٧٠٦) .

(٤) النساء ١ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ بخفض الميم عطفا على الضمير

المجرور في « به » على مذهب الكوفيين ، (اتحاف فضلاء البشر ١٨٥) .

(٥) سورة إبراهيم ٢٢ ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُضْرِحِي ﴾ بكسر اللام ؛ ووجهت بأن الكسر على أصل

النقاء الساكنين ، وأصله « مصرخين » ، (اتحاف فضلاء البشر ٢٧٢) .

كابن عصفور قراءة ابن عامر ﴿ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ^(١) والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ؛ فإنّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهى نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر فى استواء الطرفين والواسطة ، وهذا شىء موجود فى كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى كتابه " المرشد الوجيز " ، إلى شىء من ذلك .

الثانى : استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ^(٢) قولنا : إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء ، ومثله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة ؛ يعنى فإنها ليست متواترة . وهذا ضعيف ؛ والحق أن المد والإمالة لاشك فى تواتر المشترك بينهما ، وهو المد من حيث هو مد ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء فى تقدير المد ؛ فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيرا ؛ ومنهم من بالغ فى القصر ، ومنهم من ترايد ، فحزرة وورش بمقدار ست لغات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع ، وعن عاصم : ثلاث ، وعن الكسائى : ألفان ونصف ، وقالون : ألفان ، والشوسى ألف ونصف .

قال الدانى فى التيسير : أطولهم مدّا فى الضربين جميعا - يعنى المتصل والمنفصل - ورش وحمزة ، ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائى ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبى نسيط بخلاف عنه . وهذا كله على التقريب من غير إفراط ، وإما هو على مقدار مذاهبهم من التحقيق والحذف . انتهى كلامه .

فعلّم بهذا أن أصل المدّ متواتر والاختلاف والطرق إنما هو فى كيفية التلقّط به .

(١) سورة الأنعام ١٣٧ ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ . " زين " بضم الزاى وكسر اليا . بالناء للمفعول و " قتل " برفع اللام على النيابة عن فاعل . و " أولادهم " بالنصب على المفعول بالمصدر و " شركائهم " بالخفض على إصافة المصدر إليه فاعلا . (إتحاف فضلاء البشر ٢١٧)

(٢) هو عثمان بن عمر بن يونس أبو عمر الكردى المعروف بابن الحاجب ، توفى سنة ٦٤٦ (نيفة الوعاة ٣٢٣)

وكان الإمام أبو القاسم الشاطبي يقرأ بمدتين : طُولي لورش وحمزة ، ووُسْطى لمن بقي .
وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة لما فيها من طول المدّ وغيره ، فقال :
لا تعجبني ، ولو كانت متواترة لما كرهها . وكذلك ذكر القراء أن الإمالة قسمان : إمالة
محضة ، وهي أن يُنحى بالألف إلى الياء وتكون الياء أقرب ، وبالفتحة إلى الكسرة وتكون
الكسرة أقرب . وإمالة تسمى بَيْنَ بَيْنَ ؛ وهي كذلك ؛ إلا أن الألف والفتحة أقرب ،
وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة . ولا شك في تواتر الإمالة أيضا ، وإنما
اختلافهم في كيفية مبالغة وحضورا .

أما تخفيفُ الهمزة - وهو الذي يطلق عليه تخفيف ، وتلين ، وتسهيل ، أسماء مترادفة -
فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف ، وكلٌّ منها متواتر بلا شك :

أحدها النقل ، وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، نحو ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ ^(١)
بنقل حركة الهمزة ، وهي الفتحة إلى دال « قد » ، وتسقط الهمز فيبقى اللفظ بدالٍ مفتوحة
بعدها فاء ، وهذا النقل نافع من طريق ورش في حال الوصل والوقف ، وقراءة حمزة
في حال الوقف .

الثاني : أن تبدل الهمزة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها إن كان قبلها فتحة أبدلت
ألفها ، نحو « باس » ، وهذا البديل قراءة أبي عمرو بن العلاء ، ونافع من طريق ورش في
فاء الفعل ، وحمزة إذا وقف على ذلك .

الثالث تخفيف الهمز ، بين بَيْنَ ، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه
حركاتها ، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو ، أو مفتوحة فبين الهمزة والألف ،
أو مكسورة فبين الهمزة والياء ، وهذا يسمى إشماما ، وقرأ به كثير من القراء وأجمعوا
عليه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَلَدَّ كَرِينَ ﴾ ^(٢) ونحوه ، وذكره النجاة عن أئمة العرب .

(١) سورة المؤمنون ١

(٢) سورة الأنعام ١٤٣

قال ابن الحاجب في تصريفه : واغتفر^(١) التقاء الساكنين في نحو أَحَسَنُ عندك؟ وآيُنُ الله يمينك؟ وهو في كل كلمة أو لها همزة وصل مفتوحة ودخلت همزة الاستفهام عليها؛ وذلك ما فيه لام التعريف مطلقا ، وفي آيُنُ الله وآيُمُ الله خاصة ، إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها ؛ وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخبار ، ألا ترى أنهم لو قالوا : أَحَسَنُ عندك؟ وحذفوا همزة الوصل على القياس في مثلها لم يعلم استخبار هو أم خبر؟ فأتوا بهذه عوضا عن همزة الوصل قبل الساكن ، فصار قبل الساكن مدة فقالوا : آحَسَنُ عندك؟ وكذلك آيُنُ الله يمينك؟ فيما ذكره . وبعض العرب يجعل همزة الوصل فيما ذكرنا بَيْنَ بَيْنَ ، ويقول أحسن عندك وآيمن الله يمينك؟ فيما ذكرنا ، وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك ، والمشهور الأول . وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بَيْنَ بَيْنَ في رسم المصاحف العثمانية ، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ أَوْ نَبِّئُكُمْ ﴾^(٢) واوا على إرادة التسهيل بَيْنَ بَيْنَ . قاله الداني وغيره .

الرابع تخفيف الإسقاط ، وهو أن تسقط الهمزة رأسا . وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأى الشاطبي ، وقيل الثانية في نحو ﴿ جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾^(٣) ، ووافقه على ذلك في المفتوحتين نافع من طريق قالون ، وابن كثير من طريق البزى ، وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قُنبَل عن ابن كثير في : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾^(٤) بإسقاط همزة ﴿ شُرَكَائِيَ ﴾ .

الثالث : أن القراءات توقيفية وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الزمخشري ، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء . وردَّ على حمزة قراءة

(٢) سورة آل عمران ١٥

(٤) سورة النحل ٢٧ .

(١) الثانية ٢ : ٢١٠

(٣) سورة النحل : ٦١

﴿وَالْأَرْحَامِ﴾^(١) بالخفض ؛ ومثل ما حكى عن أبي زيد والأصمعي ويعقوب الحضرمي أن خطنوا حمزة في قراءته : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِيٍّ﴾^(٢) بكسر الياء المشددة ، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في : ﴿يَفْعِلْكُمْ﴾^(٣) .

وقال الزجاج : إنه خطأ فاحش ؛ ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت : «مُرِّي» بكذا ، لأن الراء حرف مكرر ، ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به ؛ فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء ، ولو أدغمت اللام في الراء^(٤) لزم التكرير من الراء . وهذا إجماع النحويين . انتهى .

وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنة متبعة ؛ ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه في كتابه في قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(٥) «وبنو تميم^(٦) يرفعونه إلا من درى^(٧) كيف هي في المصحف» .

وإنما كان كذلك ، لأن القراءة سنة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه . انتهى .



(١) سورة النساء : ٤١ وانظر الحاشية ٤ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٢ ، وانظر الحاشية ٥ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٣) سورة نوح : ٤ (٤) ت : «ولو أدغمت الراء في اللام» .

(٥) سورة يوسف : ٣١ (٦) الكتاب ١ : ٢٨ .

(٧) الكتاب «يرفعونها إلا من عرف هي» .

الرابع ما تضمنه التيسير^(١) والشاطبية^(٢) ، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : لم يحويا جميع القراءات السبع ، وإنما هي تَزْرُ يسير منها ، وَمَنْ عَنِيَ بقنّ القراءات ، وطالع ما صنفه علماء الإسلام في ذلك ، عِلِمَ ذلك العلم اليقين ، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء السبع ، لبعدها عن بلاد الإسلام ، واجتازوا عند الحج بديار مصر ، وتحفظوا مِمَّنْ كان بها من المصريين شيئاً يسيراً من حروف السبع - وكان المصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات متسعة ، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات - كأبي الطيب بن غلبون^(٣) وابنه أبي الحسن^(٤) طاهر ، وأبي الفتح فلرس بن أحمد^(٥) ، وابن عبد الباقي^(٦) ، وأبي العباس بن نفيس^(٧) ، وكان بها أبو أحمد السامري ، وهو^(٨) أعلام إسناداً .

(١) كتاب التيسير مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأصغار ، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين ؛ فذكر عن كل واحد من القراء روايتين ؛ وعليه جملة شروح ؛ وأضاف إليه ابن الجزري القراءات الثلاث ؛ في كتاب سماه تحبير التيسير . وطبع التيسير في إستانبول سنة ١٩٣٨ بتحقيق الأستاذ وتوبرتزل .
(٢) هي المروفة بكتاب حرز الأمان ووجه التهامي في القراءات السبع الثاني ؛ للعلامة أبي محمد القاسم الشاطبي ؛ نظم فيها كتاب التيسير ، في ١١٧٣ بيتاً وعليها جملة شروح ؛ وطبعت بمصر مراراً (وانظر كشف الظنون) .

(٣) هو عبد النعمان غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٨٩ (حسن المحاضرة ١ : ٢٠٩) .
(٤) أبو الحسن طاهر ؛ أحد الخلفاء المحققين ، ومصنف التذكرة في القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٩٩ (حسن المحاضرة : ٢٠٩ - ٢١٠) .
(٥) هو فلرس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصي القرشي ؛ مؤلف كتاب الثاني في القراءات الثمان ، مات بمصر سنة ٤٠١ (حسن المحاضرة ١ : ٢١٠) .

(٦) جود القراءات على والده ؛ وجلس للأقراء وعمر دهرأ . مات في حدود سنة ٤٥٠ ، (حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .
(٧) هو أحمد بن سعد بن أحمد بن نفيس أبو العباس للصري ؛ مات في رجب سنة ٤٥٣ ، (حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .

(٨) هو عبد الله بن الحسين بن حنون ، أبو أحمد السامري البغدادي ، تولى مصر ، مات بها سنة ٣٨٦ ، (حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٩) .

وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية عليها ، وقتل ملوكهم العلماء .

فكان من قدماء علمائنا من حجّ يأخذ بمصر شيئا يسيرا ، كأبي عمرو الطلمنكي^(١) صاحب الروضة ، وأبي محمد مكي بن أبي طالب^(٢) . ثم رحل أبو عمرو الداني^(٣) لطول إقامته بدانية^(٤) فأخذ عن أبي خاقان ، وفارس ، وابن غلبون ؛ وصنف كتاب " التيسير " . وقرأ على هؤلاء . ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي^(٥) ، فأبعد في الشقة ، وجمع بين طريق المشرق والمغرب ، وصنف كتاب الكامل ، يحتوي على القراءات السبع وغيرها ، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ، ولا أكثر شيوخا .

وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبري^(٦) ، وأبو عبد الله الكارزني^(٧) وكانا متسمي الرواية .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب ، أبو عمر الطلمنكي ، تزل قرطبة ، رحل إلى المشرق ؛ ولقي كثيرا من العلماء بمصر ، منهم ابن غلبون ؛ وعاد إلى الأندلس ، وألف كتاب الروضة . توفي سنة ٤٢٩ (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ١٢٠) .

(٢) ولد بالقيروان ، وحج فسمع بمكة ، ورحل إلى مصر فقرأ على ابن غلبون وابنه ، ثم عاد إلى القيروان ، ورحل إلى الأندلس ، ومات سنة ٣٩٤ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .

(٣) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني القرطبي ، شيخ مشايخ القرنين في عصره ؛ توفي سنة ٤٤٤ (واظن ترجمته في طبقات القراء ١ : ٥٠٣ - ٥٠٥) .

(٤) دانية : مدينة بالأندلس ، من أعمال بلنسية ؛ كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري ؛ وأهلها أقرأ أهل الأندلس ؛ لأن مجاهدا كان يستجلب القراء وفضل عليهم ، وينفق لهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده ؛ فكثروا في بلاده (ياقوت) . (٥) هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي الشكري ؛ قال : في كتابه الكامل : « نفيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخا ، من آخر المغرب إلى باب فرغانة عينا وشمالا وجيلا ومجرا ؛ ولو علمت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته ... » توفي سنة ٤٦٥ (طبقات القراء ٢ : ٣٩٧) .

(٦) هو عبد الكريم بن عبد الصمد أبو معشر الطبري ، صاحب كتاب التلخيص في القراءات الثمات توفي سنة ٤٧٨ ، (طبقات القراء ١ : ٤٠١) .

(٧) في الأصول . « الكارزوني » تصحيف ؛ وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزني الفارسي ؛ تنقل في البلاد وعاش بمكة . قال الذهبي : كان حيا سنة ٤٤٠ ، (طبقات القراء ٢ : ١٣٢) .

وكان بمصر أبو علي المالكى^(١) مؤلف الروضة ، وكان قد قرأ بالعراق ، وأقرأ بمصر .
وبعدهم التاج الكندى^(٢) فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا .
وكان أيضاً ابن ماموية^(٣) بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر .
وبمصر النظام الكوفى^(٤) يُقرئ بالعشر وبغيرها ، كقراءة ابن محيصن والحسن .
وكان بمكة أيضاً زاهر بن رستم^(٥) وأبو بكر الزنجاني^(٦) ، وكانا قد أخذوا عن أبى
الكرم الشهرزورى كتاب المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر ؛ وأقرأ الزنجاني
لبعض شيوخنا .

وكان عز الدين الفاروقى^(٧) بدمشق ، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة ، حتى قيل إنه
أقرأ بقراءة أبى حنيفة .

والحاصل اتساع روايات غير بلادنا ، وأن الذى تضمنه التيسير^(٨) ، والتبصرة ،
والكافى^(٩) وغيرها من تأليفهم ؛ إنما هو قُلٌّ من كَثْرٍ ، ونَزَرٌ من بحر .

وبيانه أن فى هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش وقالون ، وقد روى الناس
عن نافع غيرها ؛ منهم إسماعيل بن أبى جعفر المدنى وأبو خلف وابن حبان ، والأصمعى

- (١) هو الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى . توفى سنة ٤٣٨ (طبقات القراء ١ : ١٢٣٠ .
(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمين الكندى البغدادى تزيل بغداد توفى بدمشق سنة ٦١٣ ،
(طبقات القراء ١ : ٢٩٨) .
(٣) هو أحمد بن محمد بن ماموية أبو الحسن
الدمشقى ، ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء ١ : ١٢٨ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .
(٤) له محمد بن عبد الكريم اللقب بنظام الدين ؛ واطظر طبقات القراء ٢ : ١٧٤ .
(٥) زاهر بن رستم أبو شجاع الأنصبانى الشافعى ؛ مات بمكة سنة ٦٠٩ ، (طبقات القراء ١ : ٢٨٨) .
(٦) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الزنجاني الحجاور بمكة ؛ ذكره ابن الجزرى فى الطبقات ٢ : ٤٨ .
(٧) خطيب دمشق أصله من واسط ؛ ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى موطنه ؛ وتوفى سنة ٦٩٤ ،
(طبقات القراء ١ : ٣٥) .
(٨) التبصرة فى القراءات السبع ، لأبى محمد
(٩) الكافى فى القراءات السبع ، لمحمد ابن
شريح الإشبلى .

والسَّبَّيْ وغيرهم ، ومن هؤلاء مَنْ هو أعلم وأوثق من ورش وقالون ، وكذا العمل في كل راوٍ وقارئ .

الخامس : أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ؛ ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء للموس وعدمه على اختلاف القراءات في ﴿ لَمْ تَسْمُ ﴾ و ﴿ لَا مَسْمُ ﴾ .^(١) وكذلك جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الفصل على اختلافهم في ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ .^(٢)

وكذلك [آية] السجدة^(٣) في سورة النمل مبنية على القراءتين . قال القراء : من خَفَّفَ ﴿ أَلَا ﴾ كان الأمر بالسجود ، ومن شَدَّدَ لم يكن فيها^(٤) أمرٌ به . وقد نوزع في ذلك . إذا علمت ذلك فاختلفوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين : أحدهما أن الله تعالى قال بهما جميعا . والثاني أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن يُقرأ بقراءتين . وهذا الخلاف غريب رأيت في كتاب ” البستان “ ،^(٥) لأبي الليث السمرقندي . ثم اختاروا في المسألة توسطا ، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر فقد قال بهما جميعا

(١) سورة النساء ٤٣ ؛ وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ، وهي قراءة نافع وأبو عمرو ؛ وقرأ حمزة والكسائي ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ، (وانظر تفسير القرطبي ٣ : ٨٨) .

(٣) سورة النمل ٢٥ ، ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٤) التخفيف قراءة الكسائي ورويس وأبو جعفر ، ووجه بأن « أَلَا » للاستفتاح ، والباقيون بتشديد اللام ، (اتخاف فضلاء البشر ٣٣٦) .

(٥) هو كتاب بستان العارفين ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي ، المتوفى سنة ٣٧٥ . قال صاحب كشف الظنون : « وهو مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشريفة والحاصل والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

وتصير القراءات بمنزلة آيتين ، مثل قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾^(١) . وإن كان تفسيرهما واحدا كالبيوت والبيوت^(٢) والمحصنات والمحصنات^(٣) بالنصب والجر ، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعود لسانهم .
فإن قيل : إذا صحَّ أنه قال بأحدهما فبأي القراءتين قال ؟ قيل : بلغة قريش . انتهى .

السادس : أنَّ القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعائة ، جمعها أبو بكر ابن^(٤) مجاهد ؛ ولم يكن متسع الرواية والرحلة كثيره . والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة :

أحدم عبد الله بن كثير المسكي القرشي مولا م ؛ أبو سعيد وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل أبو الصلت ، ويقال له الداري^(٥) . وهو من التابعين ، سمع عبد الله بن الزبير وغيره . توفي بمكة سنة عشرين ومائة ، وقيل اثنتين وعشرين^(٦) .

الثاني نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ؛ مولى جعونة بن شعوب^(٧) الليثي ، هو مدني ؛ أصله من أصبهان ، كنيته أبو رُوَيْم ؛ وقيل أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الرحمن وقيل

(١) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ ومى قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم ؛ وقرأ حمزة والكاظمي وعاصم في رواية أبي بكر والفضل ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ ؛ وانظر ما يترتب على القراءتين من الحكم في تفسير القرطبي ٣ : ٨٩ .

(٢) البيوت ، بكسر الباء قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحمزة والكاظمي وخلف ، (إتخاف فضلاء البشر ٢٥٣) .

(٣) عن الحسن بالكسر والباقون بالفتح . (إتخاف فضلاء البشر ١٨٨) .

(٤) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ القراء في بغداد ؛ ولا يعلم أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ؛ توفي سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ١ : ١٣٩) .

(٥) في الأصول : « الدارني » تصحيف ؛ منسوب إلى عبدالدار ؛ وانظر ترجمته في طبقات القراء ١ : ٤٤٣ .

(٦) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٧) ت : « جعونة بن شعيب » ، وما أثبتته عن طوطبات القراء .

أبو عبدالله . توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة ^(١) .

الثالث عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبيّ الدمشقيّ قاضي دمشق ، وهو من كبار التابعين ، ولد في أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل ولد سنة ثمان من الهجرة ، ومات وهو ابن مائة وعشر سنين . وفي كنيته سبعة أقوال : أحدها أبو عمرو . وقيل أبو محمد ، ، وأبو عبدالله ، وأبو موسى ، وأبو نعيم ، وأبو عثمان ، وأبو مفيث ^(٢) .

الرابع أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبدالله البصري . قيل اسمه زَبَّان ، وقيل يحيى ، وقيل عثمان ، وقيل محبوب ، وقيل اسمه كنيته . توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقرأ على ابن كثير وغيره ^(٣) .

الخامس عاصم بن أبي النّجود (بفتح النون) أبو بكر الأسديّ الكوفي ، توفي بالكوفة سنة سبع ، وقيل ثمان وعشرين ومائة . قال سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما : بهذّلة هو أبو النّجود ^(٤) . وقال عمرو بن علي : بهذّلة أمّه . قال أبو بكر بن داود : هذا خطأ . وقال عبدالله بن أحمد : قال أبي : أنا أختار قراءة عاصم .

السادس حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الزيات التيميّ ، مولاهم ، الكوفي أبو عمار . توفي بجلوان سنة ثمان ، وقيل ست وخمسين ومائة ^(٥) .

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٢) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٤٢٣ - ٤٢٥) .

(٣) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٨٨ - ٢٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٣٤٦ - ٣٤٩) .

(٥) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٦١ - ٢٦٣) .

السابع الكسائي أبو علي بن حمزة الأسدي مولاهم ، الكوفي . توفي سنة تسع وثمانين ومائة ؛ كان قرأ على حمزة ^(١) . قال مكى : وإنما الحق بالسبعة في أيام المؤمنين ؛ وإنما كان السابع يعقوب الحضرمي ، فثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في نسبه يعقوب .

في هؤلاء السبعة من العرب إلا ابن عامر وأبو عمرو .
قال مكى : وإنما كانوا سبعة لوجهين : أحدهما أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف . الثاني أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك . إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى .
وقد ألف ابن جبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتابا في القراءات وسماه كتاب الخمسة ، ذكر فيه خمسة من القراء لا غير . وألف غيره كتابا وسماه الثمانية ، وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي . انتهى .

قلت : ومنهم من زاد ثلاثة وسماه كتاب العشرة .
قال مكى : والسبب في اشتجار هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف ، ووجهها إلى الأمصار ، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيرين العدد ، فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف ، فنظروا إلى إمام مشهور بالفتوة والأمانة في النقل ، وحسن الدين ، وكامل العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفة قراءته على مصحف ذلك العصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ،

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٥٣٥ - ٥٤٠) .

وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ؛ كلهم ممن اشتهرت إمامتهم ، وطال
عمرهم في الإقراء ، وارتحل الناس إليهم من البلدان .

وأوّل من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة ، وتابعه الناس ،
وألحق المحققون ، منهم البغويّ في تفسيره بهؤلاء السبعة [قراءة] ثلاثة ، وهم يعقوب
الحضرميّ ، ^(١) وخلف ^(٢) ، وأبو جعفر بن ^(٣) قعقاع المدنيّ شيخ نافع ؛ لأنها لا تخالف
رسم السبع .

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهرويّ في كتاب الكافي له : فإن قال
قائل : فلم أدخلتم قراءة أبي حفص المدنيّ ويعقوب الحضرميّ في جملتهم ، وهم خارجون عن
السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا السبعة ؛ لأننا وجدنا قراءتهما على
الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ممن بعدهما في العلم والثقة بهما ، واتصال اسنادهما ، وانتفاء
الظن عن روايتهما . ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ؛ وإنما السنة
أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها نقلا وقراءة ولفظا ولم يوجد ظن على أحد من روايتها ؛
ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك تقدم أبا جعفر ويعقوب على غيرهما .

ولا يتوهم أن قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » انصرافه إلى
قراءة سبعة من القراء يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ؛ لأنه يؤدي إلى
أن يكون الخبر متعريّا عن فائدة إلى أن يحدّثوا ؛ ، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من
الصحابة أن يقرأوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه . قال : وإنما ذكرناه لأن
قوما من العامة يتعلّقون به .

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرميّ ؛ إمام أهل البصرة ؛ توفي سنة ٢٠٥ . وانظر ترجمته في طبقات
(القراء ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩) .

(٢) هو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد الأسديّ ، توفي سنة ٢٢٩ - يفتد (طبقات القراء ١ : ٢٧٢) .

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أحد التابعين . توفي سنة ١٣٠ (طبقات القراء ٢ : ٣٨٢) .

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي^(١): «كلُّ ما صحَّ سندُه واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خطُّ المصحف الإمام فهو من السَّبع المنصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين . فلي هذا الأصل يبنى من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ؛ ومتى قد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشيء من الشواذ ؛ وإنما يُذكَر ما يذكرون من الشواذ ؛ ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً .

وقال مكِّي : وقد اختار الناس بعد ذلك ، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقته للمصحف ، واجتماع العامة عليه . والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار . وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم ؛ فقراءة هذين الإمامين أولى القراءات ، وأصحُّها سنداً وأفصحها في العربية ، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : كلُّ قراءة ساعدها خطُّ المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة ؛ فإن اختلف أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة ؛ أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ، ونصَّ عليه الشيخ أبو محمد مكِّي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنَّعه في معاني القراءات السبع ، وأمر بإلحاقه بكتاب الكشف^(٢) ، وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال^(٣) القراء .

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن ، موفق الدين الكواشي الموصل ، صاحب التفسير المسمى كشف الحقائق ، توفي سنة ٦٨٠ (طبقات القراء ١ : ١٥٥) .

(٢) كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعليها ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) جمال القراء وكال الإقراء ؛ لأبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ؛ جمع فيه أنواعاً من الكتب المشتملة على ما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والنسوخ والوقف والابتداء . (كشف الظنون) .

قال أبو شامة رحمه الله : وقد ورد إلى دمشق استفتاء من بلاد العجم عن القراءة الشاذة : هل تجوز القراءة بها ؟ وعن قراءة القارئ عشراً ، كل آية بقراءة قارئ ، فأجاب عن ذلك جماعة من مشايخ عصرنا ؛ منهم شيخا الشافعية والمالكية حينئذ ، وكلاهما أبو عمر وعثمان - يعني ابن الصلاح وابن الحاجب .

قال شيخ الشافعية : يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً ، واستفاض نقله بذلك ، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع ؛ لأنَّ المعترف في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهّد في الأصول ؛ فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فمنوع من القراءة به منع تحريم ، لا منع كراهة ، في الصلاة وخارج الصلاة ، ومنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على مَنْ قَدَّر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك ، وإنما نقلها من نقلها من العلماء لقوائد منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها ؛ هذا طريق من استقام سبيله . ثم قال : والقراءة الشاذة ما نقل قرآناً من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة ، كما يشتمل عليه " المحتسب " ،^(١) لابن جنى وغيره . وأما القراءة بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآناً فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلاً ؛ والمتجري على ذلك متجري على عظيم ، وضالّ ضاللاً بعيداً ، فيعزّز ويمنع بالحبس ونحوه : ويجب منع القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يتمتع فعليه التعزير بشرطه . وأما إذا شرع القارئ في قراءة فينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقى للكلام متعلق بما ابتدأ به ، وما خالف هذا فنه جائز وممتنع وعذره مانع من قيامه بحقه ، والعلم عند الله تعالى .

وقال شيخ المالكية رحمه الله : لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها ،

(١) المحتسب لابن جنى في توجيه القراءات الشاذة ؛ ومنه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية .

عالماً بالعربية كان أو جاهلاً ؛ وإذا قرأها قارئ ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عُرف به وأمر بتركها ، وإن كان عالماً أدب بشرطه ، وإن أصرَّ على ذلك أدب على إصراره ، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك . وأما تبديل « آيتنا » « بأعطينا » و « سوت » « بزيئت » ونحوه ؛ فليس هذا من الشواذ ، وهو أشدَّ تحريماً ، والتأديب عليه أبلغ ، والمنع منه أوجب ، وأما القراءة بالقراءات المختلفة في آي العشر الواحد فالأولى ألا يفعل . نعم إن قرأ بقراءتين في موضع إحداها مبنية على الأخرى مثل أن يقرأ « نفعلكم » بالنون و « خطيئاتكم » بالجمع ومثل : ﴿ إِنْ تَصِلْ أَحَدَهُمَا فَتَذَكَّرْ ﴾ ^(١) بالنصب ، فهذا أيضاً ممتنع وحكم المنع كما تقدم .

قال الشيخ شهاب الدين : والمنع من هذا ظاهر ، وأما ما ليس كذلك فلا يمنع منه ؛ فإن الجمع جائز ، والتخفيف به بأكثر من ذلك كان حاصلاً بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة حروف ، توسعة على القراء ؛ فلا ينبغي أن يضيق بالمنع من هذا ولا ضرر فيه ، نعم أكره تردد الآية بقراءات مختلفة كما يفعله أهل زماننا في جمع القرآن لما فيه من الابتداع ، ولم يرد فيه شيء من المتقدمين ، وقد بلغني كراهته عن بعض متصدري المغاربة المتأخرين .

قلت : وما أفتى به الشيخان نقله النووي في شرح المذهب ^(٢) عن أصحاب الشافعي فقال : قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآناً ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ؛ ومن قال غيره فغالط أو جاهل ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة من قرأ بالشواذ . ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يصلي خلف من يقرأ بها .

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . مع كسر همزة إن ، وهي قراءة حمزة .

(٢) المذهب في الفروع للإمام إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، وشرحه للإمام محي الدين أبوزكريا محي الدين بن شرف النوري المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . (كشف الظنون) ..

الأمر السابع : أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه :

الأول الاختلاف في إعراب الكلمة أوفى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ؛ نحو ﴿ الْبُخْلُ ﴾ و ﴿ الْبَخْلُ ﴾ ^(١) . و ﴿ مِيسِرَةٌ ﴾ و ﴿ مِيسِرَةٌ ﴾ ^(٢) . و ﴿ وَمَا مِنْ أَهْمَاءِهِمْ ﴾ ^(٣) . و ﴿ وَهُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) و ﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ . و ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ ^(٥) .

الثاني الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الخط ؛ نحو ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٦) و ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٧) . و ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ ^(٧) و ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ . و ﴿ وَأَذَّكَرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ^(٨) و ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ؛ وهو كثير يقرأ به ، لما صحت روايته ووافق العربية .

الثالث الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يغير

(١) من قوله تعالى في سورة النساء ٣٧ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الباء والماء ، والباقون بالضم والكون . (إتحاف فضلاء البشر ١٩٠) .
(٢) من قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨ : ﴿ فَتَنْظِرُهُ إِلَىٰ مِيسِرَةٍ ﴾ ، فأنظرة إلى ميسرة ، نافع ، بضم السين وواقعه ابن عيصن ، والباقون بالفتح (إتحاف فضلاء البشر ١٦٦) .

(٣) سورة المجادلة ٢ . قال في الكشاف ٢ : ٤٣٩ : « وقرأ بالرفع أيضاً ، على اللتين : المجازية والقيمة » .

(٤) سورة هود ٧٨ . قرأ الحسن وعيسى بن عمر بفتح الراء ، والعاملة بضمها (تفسير القرطبي ٩ : ٧٦) .

(٥) سورة سبأ ١٧ . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر ﴿ يُجَازَى ﴾

﴿ إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ والباقون بنون الظمة وكسر الزاي ونصب الكفور ، (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩) .

(٦) سورة سبأ ١٩ ، الثانية قراءة يعقوب ، والأولى قراءة الباقي . (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١) .

(٧) سورة النور ١٥ ، والثانية قراءة محمد بن السميع ، والأولى قراءة الباقي . (تفسير القرطبي

١٢ : ٢٠٤) .

(٨) سورة يوسف ٤٥ والثانية عن ابن عباس (تفسير القرطبي ٩ : ٢٠١) .

صورة الخط بها في رأى العين ؛ نحو ﴿ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾ ^(١) و ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾ ، و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ و ﴿ يَقْضِىَ الْحَقُّ ﴾ ^(٣) ، وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأى العين .

الرابع الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يُغَيِّرُ معناها نحو ؛ ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٤) و ﴿ إِلَّا زَقِيَةً وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ كَالْعَيْنِ الْمَفْشُوشِ ﴾ ^(٥) و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَفْشُوشِ ﴾ فهذا يقبل إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ، ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها في الخط ويزيل معناها ، نحو ﴿ أَلَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٦) في موضع ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . و ﴿ طَلَحَ مَنْضُودٌ ﴾ ^(٧) و ﴿ طَلَعَ مَنْضُودٌ ﴾ فهذا لا يُقْرَأُ به أيضا ؛ لمخالفته الخط ، ويُقْبَلُ منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف .

السادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قرأ عند الموت : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ^(٨) ، وبهذا قرأ ابن

(١) سورة البقرة ٢٥٩ ؛ الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وعمره والكسائى والثانية قراءة الباقر . (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٢) سورة سبأ ٢٣ ؛ والثانية قراءة الحسن والأولى قراءة الباقر (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٠) .

(٣) سورة الأنعام ٥٧ ، والأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد والأعرج وابن عباس ، والثانية قراءة الباقر (القرطبي ٦ : ٤٣٩) .

(٤) سورة يس ٢٩ ؛ والثانية قراءة ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٢٥١) .

(٥) سورة الفارعة ٥ ؛ والثانية عن ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٥٥٨) .

(٦) سورة السجدة ١ ، ٢ .

(٧) سورة الواقعة ٢٩ .

(٨) سورة ن ١٩ ؛ وروايتها عند حفص ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ .

مسعود ؛ فهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به لخالفته المصحف ، ولأنه غير واحد .

السابع الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم نحو ﴿ ^(١) أَيْدِيهِمْ ﴾ و﴿ وما عملت ﴾ ، و﴿ نعبجة أُنثى ﴾ ^(٢) ونظائره ، فهذا يقبل منه ما لم يُحْدِ حكماً لم يَقُلْه أحد ، ويُقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف في إثباته وحذفه ، نحو : ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ﴾ ^(٣) في براءة عند رأس المائة ، و﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ ، و﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ^(٤) ، في الحديد ، و﴿ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ ﴾ ؛ ونحو ذلك مما اختلف فيه المصاحف التي وجه بها عثمان إلى الأمصار فيقرأ به إذ لم يُخرجه عن خطِّ المصحف ، ولا يقرأ منه ما لم تختلف فيه المصاحف ، لا يُزاد شيء لم يُزد فيها ، ولا يُنقص شيء لم ينقص منها .

الأمر الثامن ، قال أبو عبيد في كتاب " فضائل القرآن " ، إن القصد من القراءة الشاذة تفسيرُ القراءة المشهورة وتبيين معانيها ؛ وذلك كقراءة عائشة وحفصة : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةَ الْعَصْرِ » ^(٥) .

وكقراءة ابن مسعود : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا » ^(٦) .

-
- (١) سورة يس ٣٥ . قال الزمخشري « وقرئ » : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ ﴾ من غير راجع ؛ وهي في مصاحف أهل الكوفة ، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الكشاف ٢ : ٢٥٢) .
- (٢) سورة ص ٢٣ ؛ حكيت عن ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٢٨١) .
- (٣) سورة التوبة ١٠٠ ، والثانية قراءة ابن كثير ووافقه ابن محيصن (تحف فضاء البشر ٢٤٤) .
- (٤) سورة الحديد ٢٤ ، والثانية عن نافع ، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام ، (الكشاف ٢ : ٤٣٧) .
- (٥) سورة البقرة ٢٣٨ .
- (٦) سورة المائدة ٣٨ ؛ وقراءة حفص : ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ .

ومثل قراءة أبي : « لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاتُوا فِيهِنَّ ^(١) » .

وقراءة سعد بن أبي وقاص : « وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّ فَلِكُلٍّ ^(٢) » .
وكما قرأ ابن عباس : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ » ^(٣) .

— قلت : وكذا قراءته : « وَأَيُّمَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » ^(٤) وقال : ذهب الظن . قال أبو الفتح : يريد أنه ذهب اللفظ الذي يصلح للشك ؛ وجاء اللفظ الذي هو مُصَرِّحٌ باليقين . انتهى —

وقراءة جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(٥) .

فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس القراءة ! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل ؛ على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله ؛ إنما يعرف ذلك

(١) سورة البقرة ٢٢٦ . وقراءة حفص بمحذف « فِيهِنَّ » .

(٢) سورة النساء ١٢ ، وقراءة حفص : ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ ... ﴾ بمحذف « مِنْ أُمِّ » .

(٣) سورة البقرة ١٩٨ ، وقراءة حفص : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَمْتُمْ ... ﴾ بمحذف « فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ » .

(٤) سورة القيامة ٢٨ ، وقراءة حفص : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ .

(٥) سورة النور ٣٣ ؛ وقراءة حفص بدون « لَهُ » .

العلماء ، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ يَقْضِ الْحَقَّ ﴾^(١) فلما وجدتها في قراءة عبد الله : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ علمت أنها إنما هي ﴿ يَقْضِ ﴾ فقرأتها على ما في المصحف ؛ واعتبرت صحتها بتلك القراءة ، وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ أُخْرِجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾^(٢) ، ثم لما وجدتها في قراءة أبي « تنبئهم » علمت أن وجه القراءة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ في أشباه من هذا كثيرة .

فائدة

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان ، وقراءة عاصم وحزمة والكسائي إلى عثمان وعلى وابن مسعود .

فائدة

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأول غير كُنْ في بعض المواضع .

(١) سورة الأنعام ٥٧ ، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن عيصن ﴿ يَقْضُ ﴾ بالصاد المشددة المرفوعة ، وقرأ الباقر بقاء ساكنة وضاد مكسورة ؛ عدا ابن مسعود فإنه يثبت الياء (وانظر النشر ٢ : ٢٤٩ ، والإتحاف ٢٠٩ ، والقرطبي ٦ : ٤٣٩) .
(٢) سورة النمل ٨٢ ، وهي قراءة الجمهور ، (وانظر البحر المحيط ٧ : ٩٧) .

النوع الرابع والعشرون معرفة الوقف والابتداء

وهو فن جليل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن . ويترتب على ذلك فوائد كثيرة ؛ واستنباطات غزيرة . وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات . وقد صنف فيه الزجاج ^(١) قديما كتاب " القطع والاستثفاف " ، وابن الأنباري ، وابن عباد ^(٢) ، والدائمي ^(٣) ، والعماني ^(٤) ، وغيرهم . وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده ، كما يتعلمون القرآن ^(٥) .

وروى عن ابن عباس : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٦) قال : فانقطع الكلام .

(١) كذا ذكره المؤلف ؛ وفي الإتيان : « النحاس » وفي دار الكتب المصرية نسخة مصورة من تأليف أبي جعفر النحاس بهذا الاسم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباد المقرئ النحوي ؛ المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، (ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١) .

(٣) في كتاب الاكتفافي الوقف والابتداء ؛ ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٤١٧ تفسير تيمور .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني المقرئ ، قال ابن الجزري : له في الوقف كتابان ، أحدهما كتاب المرشد . وقد خصه زكريا الأنصاري في كتاب أسماه : المقصد للتأخير مافي المرشد ، طبع في مصر سنة ١٩٣٤ م .

(٥) الخبر بتمامه كما نقله أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني : « قال عبد الله بن عمر : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحمدا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدرى ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده ، وكل حرف منه ينادي : أنا رسول الله إليك لتعمل بي ، وتعتظ بمواعظي » .

(٦) سورة النساء ٨٣ .

مأخوذة إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ،
فهما قراءتان حسنتان ، لا يجوز أن تقدم إحداها على الأخرى . انتهى .

وقال في سورة الزمل : السّلامة عند أهل الدّين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة
الآل يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتم من قال ذلك ؛
وكان رؤساء^(١) الصحابة رضى الله عنهم يُنكرون مثل هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله : قد أكثر المصنّفون في القراءات
والتفسير من الترجيح بين قراءة ﴿مَلِكٍ﴾^(٢) و ﴿مَالِكٍ﴾^(٣) حتى إن بعضهم يُبالغ إلى
حدّ يكاد يُسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ؛ وأنصاف
الرب تعالى بهما ؛ ثم قال : حتى إنى أصلى بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

وقال صاحب " التحرير " ،^(٤) وقد ذكر التوجيه في قراءة ﴿وَعَدْنَا﴾^(٥) و ﴿وَاَعَدْنَا﴾ :
لا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين
والقرّاء والنحويين ؛ وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول ؛ بل مرجعه ما يتعلق
بكثرة الاستعمال في اللغة والقرآن ، أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام .

وحاصله أن القارى يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها ، أو نحو ذلك ؛ وقد تجرأ
بعضهم على قراءة الجمهور في ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٦) فقال : أكره التأنيث لما فيه من
موافقة دعوى الجاهلية في زعمها أن الملائكة إناث ؛ وكذلك كره بعضهم قراءة من قرأ
بغير تاء ؛ لأن الملائكة جمع .

(١) م : د ر هـ س ، (٢) سورة الفاتحة ٣ ، وعاصم والسكّاني ويعقوب وخلف بالآلف ،
والباقون بغير ألف . (إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .

(٣) هو محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب ، صاحب كتاب التحرير والتجيز ، لأقوال أئمة التفسير ،
في معاني كلام السميع البصير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٤) سورة البقرة ٥١ . أبو عمر

وأبو جعفر ويعقوب بغير ألف ، ووافقه ابن عيصن ، والباقون بغير ألف (الإتحاف ١٣٦) .
(٥) سورة آل عمران ٣٩ ، وانظر الإتحاف ١٧٣ .

وهذا كله ليس بجيد ، والقراءتان متواترتان ؛ فلا ينبغي أن ترد إحداهما البتة ؛
وفى قراءة عبد الله ﴿ فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ ﴾ ما يؤيد أن الملائكة مراد به الواحد .

فصل

[فى توجيه القراءة الشاذة]

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة ، ومن أحسن ما وضع
فيه كتاب " المحتسب " ، لأبى الفتح ؛ إلا أنه لم يستوف ، وأوسع منه كتاب أبى البقاء
العكبرى ؛ وقد يستشع ظاهر الشاذ بآدى الرأى فيدفعه التأويل ، كقراءة : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذُ
وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾^(١) ، على بناء الفعل الأول للمفعول
دون الثانى ؛ وتأويل الضمير فى ﴿ وَهُوَ ﴾ راجع إلى الولي .

وكذلك قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ بفتح الواو والراء ؛ على أنه اسم
مفعول ؛ وتأويله أنه مفعول لاسم الفاعل ، الذى هو البارئ ، فإنه يعملُ عملُ الفعل ؛ كأنه
قيل : الذى برأ المصور .

وكقراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢) ، وتأويله أن الخشية هنا بمعنى
الإجلال والتعظيم ؛ لا الخوف .

وكقراءة : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٣) بضم التاء على التكلم لله تعالى ؛
وتأويله على معنى : فإذا أرشدتكَ إليه وجعلتكَ تقصده . وجاء قوله : ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ على
الالتفات ؛ وإلا لقال : ﴿ فتوكل على ﴾ ، وقد نُسب العزم إليه فى قول أم سلمة « ثم عزم
الله لى » ، وذلك على سبيل المجاز . وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام ١٤
(٢) سورة فاطر ٢٨ . قرأ بها عمر بن عبد العزيز ،
وتحكى عن أبى حنيفة (وانظر تفسير القرطبي ١٤ : ٣٤٥)
(٣) سورة آل عمران ١٥٩
(٤) سورة آل عمران ١٨ بكسر الهزة أى على إجراء « شهد » بحرى القول ، (الإتحاف ١٧٢) .

النوع الثالث والعشرون معرفة توجيه القراءات وتبيين جريدها ذهب اليه كل فاري

وهو فن جليل ، وبه تُعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً ، منها كتاب ” الحجة ” لأبي علي الفارسي ، وكتاب ” الكشف ” لمكي^(١) وكتاب ” الهداية ” للمهدوي^(٢) . وكل منها قد اشتمل على فوائد . وقد صنفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ ، ومن أحسنها كتاب ” المختص ” لابن جني ، وكتاب أبي البقاء ، وغيرها .

وفائدته - كما قال الكواشي : أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ؛ إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ؛ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يُسقط القراءة الأخرى ؛ وهذا غير مرضي ؛ لأن كليهما متواترة ، وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب ” اليواقيت ” عن ثعلب أنه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفصل إعراباً على إعراب في القرآن ؛ فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى ؛ وهو حسن .

وقال أبو جعفر النحاس - وقد حكى اختلافهم في ترجيح ﴿ فَكْ رَقَبَةً ﴾^(٣) بالمصدرية والفعلية فقال : والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها . (٢) الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي التوفيق

سنة ٤٣٠هـ (كشف الظنون) (٣) سورة البلد ١٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي

﴿ فَكْ رَقَبَةً ﴾ على الفعل الماضي والمفعول المنصوب ، وقرأ الباقون ﴿ فَكْ رَقَبَةً ﴾ على أنه مصدر

مضاف لا بعده . (وانظر تفسير القرطبي ٢٠ : ٧٠ ، والإمعاف ٤٣٩ ، وإعراب القرآن للعكبري ٥ : ٥٠) .

واستأنس له ابنُ النحاس بقول النبي صلى الله عليه وسلم للخطيب : « بئس الخطيب أنت » حين قال : [مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ] ^(١) ومن يَعْصِهما - ووقف - قال : فقد كان ينبغي أن يصل كلامه فيقول : ومن يَعْصِهما فقد غَوَى ، أو يقف على : « ورسوله فقد رَشِدَ » ؛ فإذا كان [مثلُ هذا] ^(٢) مكروها في الخطب فني كلام الله أشد .

وفيا ذكره نزاع ليس هذا موضعه ، وقد سبق حديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافٍ ؛ ما لم تخم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب » .

وهذا تعليم للتمام ؛ فإنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار وتفصل عما بعدها ؛ نحو : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) ولا توصل بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٤) ، وكذا قوله : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ^(٥) ولا توصل بقوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ ^(٦) وكذا : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٧) ؛ ولا يجوز أن يوصل بقوله : ﴿ وَالظَّالِمُونَ ﴾ ^(٨) وقس على هذا نظائره .

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهذا الفن معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة ؛ قال أبو بكر بن مجاهد : لا يقوم بالتمام [في الوقف] ^(٩) إلا نحوي عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن . وقال غيره : وكذا علم الفقه ؛ ولهذا من لم يقبل شهادة القاذف وإن تاب وقف ^(١٠) عند قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ^(١١) .

(١) تسكئة من كتاب منار الهدى للأشموني ص ٤ .

(٢) سورة البقرة ٨١ (٣) سورة البقرة ٨٢ .

(٤) سورة غافر ٦ (٥) سورة غافر ٧ .

(٦) سورة الشورى ٨ .

(٧) تسكئة من الإتيان ٢ : ٨٧ فيما قل عن ابن مجاهد .

(٨) في الإتيان : « يقف » . (٩) سورة التور ٤ .

فأما احتياجه إلى معرفة النحو وتقديراته ، فلأن مَنْ قال في قوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ
أَيِّكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١) : إنه منصوب بمعنى « كَلِمَةٍ » ^(٢) أو أعمل فيها ما قبلها ، لم يقف
على ما قبلها .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ^(٣) ، ثم يبتدئ ﴿ قَيِّمًا ﴾ ^(٤) ، لئلا
يتخيل كونه صفة له ؛ إذ العِوَجُ لا يكون قَيِّمًا ؛ وقد حكاه ابنُ النحاس عن قتادة .
* وهكذا الوقفُ على ما في آخره هاء ؛ فإنك في غير القرآن ثبتت الهاء إذا وقعت ،
وتحذفها إذا وصلت ؛ فتقول : قَهْ وعِهْ ، وتقول : قِ زيدا ، وعِ كلامي ؛ فأما في القرآن
من قوله تعالى : ﴿ كِتَابِيَّةً ﴾ ^(٥) و ﴿ حِسَابِيَّةً ﴾ ^(٦) و ﴿ سُلْطَانِيَّةً ﴾ ^(٧) و ﴿ مَاهِيَةً ﴾ ^(٨)
و ﴿ لَمْ يَنْسَنَهُ ﴾ ^(٩) و ﴿ اقْتَدِهْ ﴾ ^(١٠) ؛ وغير ذلك ، فالواجب أن يوقف عليه بالهاء ؛ لأنه
مكتوبٌ في المصحف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل ؛
فإن أثبتتها خالف العربية ، وإن حذفها خالف مراد المصحف ، ووافق كلام العرب ،
وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، واتبع المصحف وكلام العرب * .
فإن قيل : فقد جوزوا الوصل في ذلك .

قلنا : أتوا به على نية الوقف ؛ غير أنهم قَصَرُوا زمن الفصل بين النطقتين ، فظن مَنْ
لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضًا ، وليس كذلك .

(١) سورة الحج ٧٨ .

(٢) في الأصول : « كلمة » تحريف ، وفي تفسير القرطبي ١٢ : ١٠١ : « انتصب على تقدير حذف
الكاف ؛ كأنه قال : « كلمة » .

(٤) سورة الكهف ٢ .

(٣) سورة الكهف ١ .

(٦) سورة الحاقة ٢٠ .

(٥) سورة الحاقة ١٩ .

(٨) سورة الفارعة ١٠ .

(٧) سورة الحاقة ٢٩ .

(١٠) سورة الأنعام ٩٠ .

(٩) سورة البقرة ٢٥٩ .

(* - *) ما بين النجمتين ساقط من ث .

ومثله قراءة ابن عامر ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(١) ، بإثبات الألف في حال الوصل ؛ اتبعوا في إثباتها خط المصحف ؛ لأنهم أثبتوها فيه على نية الوقف ، فلهذا أثبتوها في حال الوصل ، وهم على نية الوقف .

وأما احتياجه إلى معرفة التفسير فلا أنه إذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٢) كان المعنى محرمَةٌ عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ كان المعنى محرمَةٌ عليهم أبدا ؛ وأنَّ التَّيَّهَ أربعين ؛ فرجع في هذا إلى التفسير ، فيكون بحسب ذلك .

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٣) ، ثم يبتدىء ؛ فيقول : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ لأنه قيل إنه من كلام الملائكة .

وأما احتياجه إلى المعنى فكقوله : ﴿قَالَ، اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٤) فيقف على ﴿قال﴾ وقفة لطيفة ؛ لثلاث يتوهم كون الاسم الكريم فاعل : ﴿قال﴾ وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام .

وكذا يجب الوقف على قوله : ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٥) ثم يبتدىء : ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٥)

وقوله : ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيَاتِنَا﴾^(٦) ، قال الشيخ عز الدين : الأحسن

(٢) سورة المائدة ٢٦

(٤) سورة يوسف ٦٦

(٦) سورة القصص ٣٥ -

(١) سورة الكهف ٣٧

(٣) سورة يس ٥٢

(٥) سورة يونس ٦٥

الوقفُ على ﴿إِلَيْكَ﴾؛ لأنَّ إضافة الغلبة^(١) إلى الآياتِ أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأنَّ المراد بالآيات العَصَا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم في .

وكذا يستحبُّ الوقفُ على قوله : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾^(٢) ابتداءً بقوله : ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾^(٣) ؛ فَإِنَّ ذلك يبين أَنَّهُ رَدٌّ لقول الكافر : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي تَزُلُّ عَلَيْهِ الذُّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤) . وقال الداني : إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله : ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٥) والابتداء بما بعده^(٥) ؛ أى لأن يرحمهم ، فإن ابن عباس قال في تفسير الآية : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٦) يعنى اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(٧) ، يعنى أهل الإسلام ، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٨) أى لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ والابتداء بقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾^(٩) فإنَّ بذلك يَتَبَيَّنُ الفصل بين الأمرين ؛ لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض ؛ وهو الصّبحُ عن جمل مَنْ جمل قدره ، وأراد ضرّه ، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ؛ ولذلك أمرت به ؛ ولم يَهْتَمْ بذلك يوسف عليه السلام ، ولذلك لم يؤمّر بالاستغفار منه ؛ وإنما همَّ بدفعها عن نفسه لعصمته ؛ ولذلك أكّد أيضاً بعض العلماء الوقفَ على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾^(١٠) ، والابتداء بقوله : ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾^(١١) وذلك للفصل بين الخبرين . وقد قال الداني : إنه كافٍ ، وقيل : تام ، وذكر بعضهم أنه على

(١) إشارة إلى قوله تعالى آخر الآية ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ﴾

(٢) سورة الحجر ٦

(٣) سورة الأعراف ١٨٤

(٤) وبمعناها : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ .

(٥) سورة هود ١١٩

(٦) سورة يوسف ٢٤

(٧) سورة يوسف ٢٩

حذف مضاف ، أى هم بدفعها ، وعلى هذا فالوقف على ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ كالوقف على قوله تعالى : ﴿ لَبِيبٌ لَكُمْ ﴾ ^(١) والابتداء بقوله : ﴿ وهم بها ﴾ كالأبتداء بقوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ^(٢) .

ومثله الوقف مراعاة للتنزيه على قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، وقد ذكر صاحب الاكتفا ^(٤) أنه تام ^(٥) ، وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : وهو الله يعلم سرّكم وجهركم في السموات والأرض .

* وكذلك حكى الزمخشري في كشافه القديم عن أبي حاتم السجستاني في قوله : ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(٦) قال : ليس ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ بوقف صالح ، لا أحب استئناف ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ولا استئناف ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ^(٧) حتى أصله بما قبله ، قال : وإنما لم يستحب ذلك لأنه إنما جاز إسناد الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزاوجة ، فإذا استأنفت وقطعت الثانى من الأول أوم أنك تُسندُه إلى الله مطلقا والحكم في صفاته سبحانه أن تصان عن * الوهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٨) قال صاحب الاكتفا ^(٩) : إنه

(١) سورة الحج ٥

(٢) سورة الأنعام ٣ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ . يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ .

(٣) هو أبو عمرو الداني وانظر ص ٣٤٢ الحاشية ٣

(٤) ص ٧٢ وقد ذكر الأشموني في منار الهدى ص ١٠٧ أنه وقف حسن ، وانظر توجيهه هناك ، ونصير

أبي حيان ٤ : ٧٢ . (* - *) ما بين النجيين ساقط من ت (٥) سورة البقرة ١٤ ، ١٥

(٦) سورة آل عمران ٥٤ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

(٧) سورة آل عمران ٧ (٨) ص ٤٠

تأم على قول من زعم أن الراسخين لم يعلموا تأويله ، وهو قول الأكثرين ، ويصدقه قراءة عبد الله : « وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَتَنَّا بِهِ » .

وكذلك الوقف على : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ^(١) ، والابتداء بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، في كتابه الذي تعقب فيه على صاحب الاكتفا ، واستدرك عليه فيه مواقف كثيرة ، وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم : ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ، ثم رد قولهم ونزه نفسه بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ، فينبغي أن يفصل بين القولين .

ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ ^(٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ ^(٣) . قال صاحب الكافي : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ كافٍ ، سواء قرئ ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ على ما لم يسم فاعله ، أو ﴿ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴾ ، على الإخبار ؛ لأن الإملة في كلتا القراءتين مُسند إلى الله تعالى ، لقوله : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، فيحسن قطعه من التسويل الذي هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال ، وإنما يحسن قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين . ولقد نبه بعض من وصله على حسن هذا الوقف ، فاعتذر بأن الوصل هو الأصل .

ومثله الوقف على قوله : ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ ^(٥) ، والابتداء بقوله : ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم ، أى خلق ، كما جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم وإن كانوا قد ابتدعوها فأنه تعالى خلقها ؛ بدليل قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ؛ هذا مذهب أهل السنة ،

(٢) سورة التتال ٢٥

(١) سورة البقرة ١١

(٣) في القراءات السبع ، لأبي محمد اسماعيل بن أحمد السرخسى (كشف الظنون)

(٤) سورة الحج ٤٤ . (٥) سورة الحديد ٢٧ (٦) سورة الصافات ٩٦ .

وقد نُسب أبو علي الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في الإيضاح^(١) حين تكلم على هذه الآية فقال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿ جَعَلْنَا ﴾ مع وصفها بقوله : ﴿ ابْتَدَعُوها ﴾ ، لأن ما يجعله الله لا يبتدعونه ، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذهبين . ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾^(٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، أى مُعِينُونَ له صلى الله عليه وسلم ؛ فتكون هذه الجملة مستأنفة .

وأما احتياجه إلى المعرفة بالقراءات فلا نه إذا قرأ : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾^(٣) بفتح الحاء ، كان هذا التمام ، وإن ضمَّ الحاء - وهى قراءة الحسن - فالوقف عند ﴿ حَجْرًا ﴾ لأنَّ العرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدة قال : « حُجْرًا » قعيل له : « محجورا » أى لا تُعَاذُونَ كما كنتم تُعَاذُونَ فى الدنيا ؛ حَجَرَ الله ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ قِصَاصٌ ﴾ فهو التام إذا نصب ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ ، ومن رفع فالوقف عند : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ، وتكون ﴿ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ ﴾ ابتداء حكم فى المسلمين وما قبله فى التوراة^(٥) .

(١) كتاب الإيضاح لأبى على الفارسي فى النحو ؛ ألفه لعهد الدولة ، اشتمل على ١٩٦ بابا ، منها ١٦٦ فى النحو والباقي فى التصريف (كشف الظنون) .

(٢) سورة التحريم ٤ . (٣) سورة الفرقان ٢٢ .

(٤) سورة المائدة ٤٥ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُتِبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ .

واعلم أن أكثر القراء ينتفون في الوقف المعنى وإن لم يكن رأس آية ، ونازعهم فيه بعض المتأخرين في ذلك ؛ وقال : هذا خلاف السنة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ويقف ، ثم يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وهكذا ، روت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته آية آية ، ومعنى هذا الوقف على رموس الآي ، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة ، قال : وهذا هو الأفضل ؛ أعني الوقف ^(٣) على رموس الآي وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد ، والوقف ^(٤) عند رموس انتهائها ؛ واتباع السنة أولى . ومن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (شعب الإيمان) وغيره ، ورجح الوقف ^(٥) على رموس الآي وإن تعلقت بما بعدها . قلت : وحكى النحاس عن الأخفش على بن سليمان أنه يستحب الوقوف على قوله : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٦) لأنه رأس آية ، وإن كان متعلقا بما بعده .

[أقسام الوقف]

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وقسمه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن . وقسمه آخرون إلى اثنين ، وأسقط الكافي والحسن .

فالتام هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ؛

(٢) ت : الوقوف

(١) سورة الفاتحة ٢ ، ٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ .

كقوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ؛ وأكثُر ما يوجد عند رؤوس الآي كقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، ثم يتبدى بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) وكذا : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ ^(٣) ثم يتبدى بقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(٤) .

قد يوجد قبل انقضاء الفاصلة ، كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً ﴾ ^(٥) هنا التمام .
لأنه كلام بلفظ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٥) ، وهو رأس الآية .
وكذلك : ﴿ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ^(٦) هو التمام ، لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو
أبي بن خلف ، ثم قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ ^(٦) وهو رأس آية .
وقد يوجد بعدها كقوله تعالى : ﴿ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ ﴾ ^(٧) ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ رأس الآية ،
﴿ وَبِاللَّيْلِ ﴾ ^(٧) التمام ؛ لأنه معطوف على المعنى ، أي والصبح وبالليل .

وكذلك : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ ﴿ وَزُخْرَفًا ﴾ ^(٨) . رأس الآية : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ ، ﴿ وَزُخْرَفًا ﴾ هو
التمام ، لأنه معطوف على ما قبله من قوله : ﴿ سُقُقًا ﴾ ^(٩) .

وآخر كل قصّة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام ، والأحزاب ، والأنصاف ،
والأرباع ، والأثمان ، والأسباع ، والأنساع ، والأعشار ، والأخماس . وقبل ياء النداء ،
وفعل الأمر ، والقسم ولامه دون القول ، و«الله» بعد رأس كل آية ، والشرط مالم يتقدم جوابه
و«كَانَ اللهُ» ، و«ما كان» ، و«ذلك» ، و«لولا» غالبهن تام مالم يتقدمهن قسم أو قول
أو مافى معناه ^(١٠) .

والكافي منقطع في اللفظ متعلق في المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما

- | | | |
|--|-------------------------|--------------------|
| (١) سورة البقرة ٥ | (٢) سورة البقرة ٦ | (٣) سورة البقرة ٤٦ |
| (٤) سورة البقرة ٤٧ | (٥) سورة النمل ٣٤ | (٦) سورة القرآن ٢٩ |
| (٧) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ | (٨) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥ | (٩) سورة الزخرف ٣٣ |
| (١٠) انظر توضيح ذلك مفصلاً في منار الهدى للأشمنوني : ١٤ ، ١٥ . | | |

بعده ، نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ^(١) هنا الوقف ، ثم يتبدى بما بعد ذلك ، وهكذا باقى المعطوفات ، وكل رأس آية بعدها « لام كي » و « إلا » بمعنى « لكن » و « إن » المكسورة المشددة ، والاستفهام ، و « بل » و « ألا » المحققة ، و « السين » و « سوف » على التهدد ، و « نعم » ، و « بئس » ، و « كيلا » ، وغالبهن كاف ، مالم يتقدمهن قول أو قسم ، وقيل « أن » المفتوحة المحققة فى خمسة لا غير . البقرة : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ ^(٤) ، والنساء : ﴿ وَأَنْ تَضِرُوا ﴾ ^(٥) ، والنور : ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ ^(٦) .

والحسن ^(٧) هو الذى يحسن الوقوف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى ؛ نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٩) ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٩) ، و ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٨) لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح ؛ لأنه تابع .

والقبيح هو الذى لا يفهم منه المراد نحو ﴿ الْحَمْدُ ﴾ فلا يوقف عليه ، ولا على الموصوف دون الصفة ، ولا على البديل دون المبدل منه ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، نحو ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ ﴾ ^(١) ، ولا على المجرور دون الجار .

(٢) سورة البقرة ١٨٤

(٤) سورة البقرة ٢٨٠

(٦) سورة النور ٦٠

(٧) انظر صفحة ٩ من كتاب « منار الهدى فى الوقف والابتداء » .
(٩) سورة الحاقة ٤

(١) سورة النساء ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

(٥) سورة النساء ٢٥

(٨) سورة الحمد ٢ - ٤

وأقبح من هذا الوقفُ على قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾^(١) ، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾^(٢) والابتداء بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾^(٣) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(٤) ، ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾^(٥) ؛ لأن المعنى يستحيل بهذا في الابتداء ، ومن تعمد وقصد معناه فقد كفر . ومثله في القبح الوقف على : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ﴾^(٦) ، و﴿مِثْلُ السَّوءِ وَاللَّهُ﴾^(٧) ، وشبهه ، ومثله : ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾^(٨) ، و﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾^(٩) .

وأقبح من هذا وأشنع الوقفُ على النفي دون حروف الإيجاب ، نحو : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١٠) ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١١) ، وكذا ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١٢) ، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٣) ، فإن اضطرَّ لأجل التنفس جاز ذلك ، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج .

وقال بعضهم : إن تعلقت الآية بما قبلها تعلقت لفظياً كان الوقف كافياً ، نحو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ﴾^(١٤) ، وإن كان معنوياً فالوقف على ما قبلها حسن كاف ، نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٥) ؛ وإن لم يكن لا لفظياً ولا معنوياً فتأم ،

(٢) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٤) سورة المائدة ٧٣ .

(٦) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٨) سورة النساء ١١ .

(١٠) سورة محمد ١٩ .

(١٢) سورة المائدة ٩ ، ١٠ .

(١٤) سورة الفاتحة ٦ ، ٧ .

(١) سورة المائدة ١٧ ، ٧٣ .

(٣) سورة المائدة ١٧ .

(٥) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٧) سورة الحل ٦٠ .

(٩) سورة الأنعام ٣٦ .

(١١) سورة الإسراء ١٠٥ .

(١٣) سورة محمد ١ ، ٢ .

(١٥) سورة الفاتحة ٢ .

كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، بعده ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾^(٢)، وإن كانت الآية مضادة لما قبلها كقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(٣)، فالوقف عليه قبيح .

واعلم أن وقف الواجب إذا وقت قبل «والله» ثم ابتدأت بوالله، وهو الوقف الواجب كقوله تعالى: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٤).

وقال بعض النحويين: الجملة التأليفيه إذا عرفت أجزاؤها^(٥)، وتكررت أركانها كان ما أدركه الحسن في حكم المذكور؛ فله أن يقف كيف شاء. وسواء^(٦) التام وغيره؛ إلا أن الأحسن أن يوقف على الأتم وما يقدر به.

وذهب الجمهور إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب: تام، وشبيه [به]^(٧)، وناقص، وشبيه به، [وحسن وشبيه به]^(٧) وقبيح، وشبيه به، وصنفوا فيه تصانيف، فمنها ما أثروه عن النحاة، ومنها ما أثروه عن القراء، ومنها ما استنبطوه، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط، كالوقف على أواخر الآي؛ وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم.

وذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن: التام، والناقص، والحسن، والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومتعمد الوقف على نحوه مبتدع، قال: لأن القرآن معجز، وهو كالمقطعة الواحدة، فكلمة قرآن وبعضه قرآن، وكله تام حسن، وبعضه تام، حكى ذلك أبو القاسم بن برهان النحوي عنه.

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٢) سورة البقرة ٢٧٤

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) ت: «وبستوى» .

(٥) سورة غافر ٦، ٧

(٥) ت: «عرفنا أجزاءها» .

(٧) تكملة من كتاب الإتيان ١: ٨٥ .

وقال ابن الأنباري: لا يتم الوقف على المضاف [دون المضاف إليه] ، ولا على الرفع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الرفع ، ولا على الناصب دون المنصوب ، ولا عكسه ، ولا على المؤكد دون التأكيذ ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، وكذا ظننت ، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا على المفسر عنه دون التفسير ، ولا على المترجم عنه دون المترجم ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم به عنه ، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذى بينهما ، ولا على الذى يليه دون الجواب . وجوز أبو على الوقف على ما قبل « إلا » إذا كانت بمعنى « لكن » كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا أَضْطَرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ ^(١) ، وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) ، و﴿ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ ﴾ ^(٣) ونحوه .

وقال أبو عبيد : يجوز الوقف دون ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِلَّا سَلَاماً ﴾ ^(٦) ، لأن المعنى : لكن يقع خطأ ، ولكن قد يلم ، ولكن يسلمون سلاماً ، وجميعه استثناء منقطع .

وقال غيره : لا يجوز الوقف على المبدل دون البديل إذا كان منصوباً ، وإن كان مرفوعاً جاز الوقف عليه .

والحاصل أن كل شئ كان تعلقه بما قبله كتمتلقى البديل بالمبدل منه أو أقوى لا يجوز الوقف عليه .

(٢) سورة الليل ٢٠

(٤) سورة النساء ٩٢

(٦) سورة مريم ٦٢

(١) سورة الأنعام ١١٩

(٣) سورة النساء ١٥٧

(٥) سورة النجم ٣٢

(١)

مسألة

فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها ، وبين أن تكون للمدح فيجوز ، وجرى عليه الزماني في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢) ؛ قال : ويجوز الوقف عليه خلافا لبعضهم ، وعاملُ الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، فلهذا جاز قطعها عما قبلها ، بخلاف الاختصاص فإنَّ عاملها عامل الموصوف ، وسيأتي في كلام ^(٣) الزمخشري ما يؤيده .

(٤)

مسألة

لا خلاف في التسامح بالوقف على المستثنى منه دون المستثنى إذا كان متصلا ، واختلف في الاستثناء المنقطع ، فمنهم من يجوزُه مطلقا ، ومنهم من يمنعه مطلقا . وفصل ابن الحاجب في أماليه ^(٤) فقال : يجوز إن صُرِّح بالخبر ، ولا يجوز إن لم يصرِّح به ؛ لأنه إذا صرح بالخبر استقلت الجملة واستغنيت عما قبلها ، وإذا لم يصرِّح به كانت مفتقرة إلى ما قبلها . قال : ووجه من جَوَزَ مطلقا أنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه ، فكان مثل قولنا : زيد ، لمن قال : مَنْ أبوك ! ألا ترى أن تقدير المنقطع في قولك : ماني الدار أحد إلا الحارث : لكن الحارث في الدار ، ولو قلت : « لكن الحارث » مبتدئا به بعد الوقوف على ما قبله لكان حسنا ، ألا ترى إلى جواز الوقف بالإجماع على مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

(٢) سورة البقرة ١٥٥

(٤) لم تذكر في ت

(١) لم تذكر في ت

(٣) ص ٣٥٨ من هذا الجزء

(٥) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٠٧ نحو .

لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا^(١) والابتداء بقوله : ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٢) ،
فكذلك هذا . ووجه من قال بالمنع ما رأى من احتياج الاستثناء المنقطع إلى ما قبله لفظاً
ومعنى ؛ أما اللفظ فلا أنه لم يعهد استعمال « إلا » وما فى معناها إلا متصلاً بما قبلها لفظاً ،
ألا ترى أنك إذا قلت : ما فى الدار أحد غير حمار ، فوقفت على ما قبل « غير » وابتدأت به
كان قبيحاً ! فكذلك هذا ، وأما المعنى فلا أن ما قبله مُشعر بتمام الكلام فى المعنى ؛
فإن : ما فى الدار أحد إلا الحمار ، هو الذى صحح قولك : « إلا الحمار » ألا ترى أنك لو قلت :
« إلا الحمار » على انفراده كان خطأ !

مسألة^(٣)

اختلف فى الوقف على الجملة الندائية ، والمحققون كما قاله ابن الحاجب على
الجواز ؛ لأنها مستقلة ، وما بعدها جملة أخرى ؛ وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت
هى فى المعنى .

قاعدة

[فى الذى والذين فى القرآن]

جميع ما فى القرآن من « الذين » و « الذى » يجوز فيه الوصل بما قبله تغتاله ، والقطع
على أنه خبر مبتدأ ، إلا فى سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو العين .

(١) سورة يونس ٤٤ .

(٢) لم تذكر فى ت .

الأول قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ^(١) .
 الثانى قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ^(٢)
 فى البقرة .

الثالث فى الأنعام كذلك ^(٣) .

الرابع قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ ^(٤) .

الخامس فى سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

السادس قوله فى سورة الفرقان : ﴿ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ ^(٦) .

السابع قوله فى سورة حم المؤمن : ﴿ أَسْهَمَ أَصْحَابُ النَّارِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ ^(٧) .

وقال الزمخشري فى تفسير سورة الناس : يجوز أن يقف القارىء على الموصوف ويبتدىء
 ﴿ الَّذِي يُوسُّوس ﴾ إن جعله على القطع بالرفع والنصب ، بخلاف ما إذا جعله صفة ^(٨) . وهذا
 يرجع لما سبق عن الرماني من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .

وجميع ما فى القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول ، قاله
 الجوينى فى تفسيره .

وهذا الإطلاق مردود بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فإنه يجب الوقف

(٢) سورة البقرة ١٤٦

(١) سورة البقرة ١٢١

(٤) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة الأنعام ٢٠ كفى آية البقرة .

(٦) سورة الفرقان ٣٤

(٥) سورة التوبة ٢٠

(٧) سورة غافر ٧

(٨) عبارة الزمخشري فى الكشاف ٢ : ٥٦٩ عند تفسير قوله : ﴿ الَّذِي يُوسُّوس ﴾ : « يجوز
 فى حمله الحركات الثلاث ، فالجر على الصفة ، والرفع والنصب على الشتم ، ويحسن أن يقف القارىء على
 ﴿ الْخَنَّاس ﴾ ، ويبتدىء ﴿ الَّذِي يُوسُّوس ﴾ على أحد هذين الوجهين » .

هنا ، لأن قوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ليس من مقولهم .

قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حسن الوقف ، مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ ^(٢) ، فيحسن الوقوف هاهنا ، لأن فيه إضماراً تقديره : فضرب فانفلق .

فصل

[ملخص في تقسيمات الوقف]

فصل جامع تلخصه من كلام صاحب المستوفي ^(٣) في العربية

قال : تقسيمهم الوقف إلى الجودة والحسن والقبح والكفاية وغير ذلك وإن كان يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعملها ، وقد حصل لقائلها من التشويش ما إذا شئت وجدته في كتبهم المصنفة في الوقوف .

فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطرارى واختيارى .

فلا اضطرارى ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط ؛ وذلك لا ينحصر موضعاً دون موضع ؛ حتى إن حمزة كان يقف في حرفه [على] كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطة أو متطرفة إذا أراد تسهيلها ؛ وحتى إنه روى عنه الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، في نحو قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ ﴾ ^(٤) قالوا : وقف هنا بالتاء على نحو جاءنى « طلحت » إشعاراً بأن الكلام لم يتم عند ذلك ، وكوقفه على ﴿ إلى ﴾

(١) سورة يونس ٦٥

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(٣) هو جمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن أحمد بن الحكيم الفرغانى ؛ وكتاب المستوفى منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٦١ نحو .

(٤) سورة البقرة ٢٠٧

من قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى ﴾ ^(١) بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ، كهذه الصورة « خَلَوْا لِي » ، وعلى هذا يجوز أن يقف في المنظوم من القول حيث شئت ؛ وهذا هو أحسن الوقفين .

والاختيارى وهو أفضلهما ؛ هو الذى لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأى القول ؛ وينقسم بانقسام الانفصال أقساماً :

الأول التام ؛ وهو الذى يكون بحيث يستغنى كل واحد من جزأى القولين اللذين يكتفانه عن الآخر ؛ كالوقف على ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٢) من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) ، والآخر : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) مستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظى .

الثانى الناقص ؛ وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ؛ ولا يكون ما بعده مستغنيا عما قبله ، كالوقف على ﴿ المستقيم ﴾ من قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) ؛ ولأن لك أن تسكت على ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) ، وليس لك أن تقول مبتدئاً : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) .

فإن قيل : ولم لا يجوز أن يُقدَّرَ هاهنا الفعل الذى ينتصب به ﴿ صِرَاطَ ﴾ ؟ قلنا : أول ما فى ذلك أنك إذا قدرت الفعل قبل ﴿ صِرَاطَ ﴾ لم تكن مبتدئاً به من حيث المعنى ، ثم إن فعلت ذلك كان الوقف تاماً ، لأن كل واحد من طرفيه يستغنى حينئذ عن الآخر . والنحويون يكرهون الوقف الناقص فى التنزيل مع إمكان التام ؛ فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَوْحَى ﴾ ^(٦) إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٧) إن كسرت بعده ﴿ إن ﴾ فإن

(١) سورة البقرة ١٠٤

(٢) سورة الفاتحة ٦

(٣) سورة الفاتحة ٥

(٤) سورة الفاتحة ٧

(٥) سورة الفاتحة ٦

(٦) سورة الجن ١٨ .

(٧) سورة الجن ١

فتحتها فإلى قوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾^(١)؛ لأن الأوجه في «أن» في الآية أن تكون محمولة على ﴿أَوْحَى﴾ وهذا أقرب من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾^(٢)، وجعل: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾^(٣) على القسم، فاضطر في ﴿وَأَنْ لَّسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٤) إلى أن جعل التقدير: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥)؛ لأن المساجد لله.

فإن قيل: هذا هو الوجه في فتح «أن» في الجملة التي بعد قوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٥) فلم لا يلزم من جعل الوقف التام ﴿حَطْبًا﴾^(٦) ألا يقف قبله على هذه الجمل في كسر «إن» في أول كل واحدة منها؟

قلنا: لأن هذه الجمل داخلة في القول، وما يكون داخلا في القول لا يتم الوقف دونه؛ كما أن المعطوف إذا تبع المعطوف عليه في إعرابه الظاهر والمقدر لا يتقدمه الوقف تاما.

فإن قيل: فهل يجوز الفصل بالمكسورات بين ﴿أَنَّهُ أَسْمِعُ﴾ وبين ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾^(٧) فيمن فتحهما وقد عطف بالثانية على الأولى.

قيل: أما عندنا فليس ذلك بفصل؛ لأن ما بعد ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ من المكسورات معطوف عليها، وهي داخلة في القول، والقول - أعني ﴿فَقَالُوا﴾ - معطوف على ﴿أَسْمِعُ﴾، و﴿أَسْمِعُ﴾ من صلة «أن» الأولى المفتوحة، فالمكسورات تكون في خبر المفتوحة الأولى، فيعطف عليها الثانية بلا فصل بينها، والثانية عندنا هي المحذوفة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾^(٧) ثم الثالثة هي التي في قوله: ﴿وَأَنْ لَّسَاجِدَ لِلَّهِ﴾.

(٢) سورة الجن ١٥

(٤) سورة الجن ١٩

(٦) سورة الجن ١٥

(٧) سورة الجن ١٦

(١) سورة الجن ١٩

(٣) سورة الجن ١٦

(٥) سورة الجن ١، ٢

(٧) سورة الجن ١٩

ثم إن فتحت التى فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ^(١) رابعة تابعة ؛ فإن فتحت التى بعد ﴿ سمعنا ﴾ كانت هى واللواتى بعدها إلى قوله : ﴿ حَطْبًا ﴾ ^(٢) داخلة فى القول تحللاً على المعنى ، وقد يجوز أن تكون هى الثانية ثم تعدُّ بعدها على النسق .

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضَرَتْ ﴾ ^(٤) وعلى هذا القياس .

الثالث الأنقص ؛ ومثل له بقراءة بعضهم : ﴿ وَإِنْ كَلَّامًا لِّيُؤْفِّيَهُمْ ﴾ ^(٥) ، وقراءة بعضهم : ﴿ لَكِنْ هُوَ اللَّهُ ﴾ ^(٦) والفرق بينهما أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ فى اللفظ ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأى القول إلا قليل لبث ، والذى دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلاً .

ثم إن كلاً من التام والناقص ينقسم فى ذاته أقساماً . فالتام أتمه ما لا يتعلق باللاحق فيه من القولين بالسابق معنى ، كما لا يتعلق به لفظاً ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِّمَّا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ . لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٧) وشأن ما يتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنى وإن كان لا يتعلق به لفظاً ، وذلك كقوله : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(٨) وتعلق الثانى فيه بالأول تعلق الحال بذى الحال معنى .

-
- | | |
|---|--|
| (١) سورة الجن ١٩ | (٢) سورة الجن ١٦ |
| (٣) سورة التكويد ١١ | (٤) سورة التكويد ١٤ |
| (٥) سورة هود ١١١ بتخفيف « إن » من الثقيلة ؛ وهى قراءة نافع وابن كثير وأبو بكر (تفسير القرطبي ٩ : ١٠٤) . | (٦) سورة الكهف ٣٨ ؛ وهى قراءة عن الكشاف (تفسير القرطبي ١٠ : ٤٠٥) . |
| (٧) سورة الشورى ٤٨ ، ٤٩ | (٨) سورة يس ٣٠ |

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذَاءً ﴾ ^(٢) إلى قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(٣) ، فهذه الحال قد عطف بعضها على بعض في المعنى ، وظاهر كل واحد منها الاستئناف في اللفظ .

ونحو قوله تعالى : ﴿ فَهَمَّ بِهِ مُنْتَشِكُونَ . بَلْ قَالُوا ﴾ ^(٤) ، وأنت تعلم أن « بل » لا يُبتدأ بها .

ونحو ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ ^(٥) ؛ فإن ما بعده منقطع عنه لفظاً إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى ، وتعلقه قريب من تعلق الصفة بالموصوف إلى قوله : ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ ^(٦) .

ونحو قوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ ^(٧) ؛ فإن الوقف عليه تام ، ولكنه ليس بالأنتم ، لأن ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٧) ، كالعلة لما قبلها ، فهو متعلق به معنى ؛ وإن كان لا تعلق له من جهة اللفظ ، فقس على هذا ما سواه ، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالاً ، وليس إذا حاولت بيان قصة وجب عليك ألا تقف إلا في آخرها ؛ ليكون الوقف القول على الأنتم ؛ ومن ثم أتى به من جل الوقف على ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٨) غير تام .

(٢) سورة الأنبياء ٥٨
(٤) سورة الزخرف ٢١ ، ٢٢
(٦) سورة الواقعة ٩٤
(٨) سورة النساء ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٥٢
(٣) سورة الأنبياء ٦٣
(٥) سورة الواقعة ٧
(٧) سورة الحج ١

فصل

[متى يحسن الوقف الناقص]

يحسنُ الوقف الناقص بأمور :

منها أن يكون لضربٍ من البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾^(١) إذ به تبين أن « قَيِّمًا » منفصل عن « عِوَجًا » وأنه حالٌ في نية التقدم .
وكما في قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّا تُكْمُ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴾^(٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدٍ نَاهَذَا ﴾^(٣) ؛ ليبين أن « هذا » ليس من مقولهم .

ومنها أن يكون على رءوس الآي ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ مُتَّبِعُونَ . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(٤) ، ونحوه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا ﴾^(٥) . وكان نافع يقف على رءوس الآي كثيرا ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَيْخَانُسُيُونَ أَنْتُمْ نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٦) .

ومنها أن تكون صورته في اللفظ صورة الوصل بعينها ، نحو قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى . نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى . تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾^(٧)

(٢) سورة النساء ٢٣
(٤) سورة الكهف ٣ ، ٤
(٦) سورة المؤمنون ٥٥ ، ٥٦

(١) سورة الكهف ١ ، ٢
(٣) سورة يس ٥٢
(٥) سورة الأنعام ١٥٥ ، ١٥٦
(٧) سورة الماعز ١٥ - ١٨

ومنها أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف ، فلا يجوز فيه إلا الوقف صيغة ، كقوله :
﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ﴾^(١)

هذا في الناقص ؛ ومثاله في التام : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ . نَارٌ حَامِيَّةً ﴾^(٢) .

فصل

[خواص الوقف التام]

من خواص التام المراقبة ، وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البذل ، كل واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر ، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر ، كالحال بين « حياة » وبين « أشركوا » من قوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُمَرُّ ﴾^(٣) ، فإنك إن جعلت القطع على ﴿ حياة ﴾ وجب أن تتبدى فتقول : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ ﴾^(٣) ، على الوصل لأن ﴿ يود ﴾ صفة للفاعل في موضعه ، فلا يجوز الوقف دونه ، وكذلك إن جعل للقطع ﴿ أشركوا ﴾ وجب أن يصل ﴿ عَلَى حَيَاةٍ ﴾^(٣) ، على أن يكون التقدير : وأحرص من الذين أشركوا - والله أعلم بمراده .

ومنه أيضا ما تراه بين ﴿ لَا رَبَّ ﴾^(٤) ، وبين ﴿ فِيهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ لَا رَبَّ فِيهِ ﴾^(٤) .

• (٢) سورة القارعة ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢

(١) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦

(٣) سورة البقرة ٩٦

فصل

[انقسام الناقص بانقسام خاص]

يتقسم الناقص بانقسام ما مر من التعلق اللفظي بين طرفيه ، فكما كان التعلق أشد وأكثراً كان الوقف أقص ، وكما كان أضعف وأوهى كان الوقف أقرب إلى التمام ، والتوسط يوجب المتوسط .

فن وكيد التعلق ما يكون بين توابع الاسمية والفعلية وبين متبوعاتها ؛ إذا لم يمكن أن يتمحل لها في إعرابها وجه غير الإتيان ؛ ومن ثم ضعف الوقف على ﴿ مُنْتَصِرِينَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ . فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ . وَقَوْمِ نُوحٍ ﴾ ^(١) فيمن جر ^(٢) - غاية الضعف .

وضُعمُ على ﴿ أَيْمٍ ﴾ من قوله : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَيْمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنْبٍ ﴾ ^(٣) .
وضُعمُ على ﴿ بِهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ سَوْءًا يُجْزَىٰ بِهِ . وَلَا يُجِدُّ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ^(٤) .

وضُعمُ على ﴿ أَبَدًا ﴾ ^(٥) من قوله : ﴿ مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ^(٥) .

على أن هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقساماً ؛ فإنه ليس بين البذل والمبدل منه من التعلق بين الصفة والموصوف على ما ذكرناه .

(٢) أي جر « قوم » ، وهي قراءة أبي عمرو

(١) سورة النازعات ٤٣ - ٤٦

(الأنعام ٤٠٠) (٣) سورة ت ١٠ - ١٣ (٤) سورة النساء ١٢٣

(٥) سورة الكهف ٤ ، ٣ .

وأوهى من هذا التعلق ما يكون بين الفعل وبين ما ينتصب عنه من الزوائد التي لا يخلّ حذفها بالكلام كبير إخلال ، كالظرف ، والتمييز ، والاستثناء المنقطع ؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿ عَجَبًا ﴾ من قوله : ﴿ أُمِّ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ ^(١) أو هي من الوقوف المذكورة . فإن وسّطت بين التعلق بالمذكور من المتعلق الذي للفعل أو الحال المختصة ، أو الاستثناء الذي يتغير بسقوطه المعنى وانتصب - كان لك في الوقف على نحو ﴿ مَسْغَبَةٍ ﴾ ^(٢) من قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ ^(٣) . وعلى نحو ﴿ قَلِيلًا ﴾ ^(٤) من قوله تعالى : ﴿ يُرْأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبِّذِينَ ﴾ ^(٥) . وعلى نحو ﴿ مَصِيرًا ﴾ من قوله : ﴿ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ ﴾ ^(٦) . وعلى نحو ﴿ وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ زَوْجَهَا ﴾ ، من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(٧) . وعلى نحو ﴿ نَذِيرًا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ^(٨) مرتبة بين المرتبتين المذكورتين .

فهذه ثلاث مراتب للوقف الناقص كما ترى ؛ ياراء ثلاث طبقات من التعلق المذکور ، فإن قسمت طبقة من الطبقات انقسمت يارائها مرتبة من المراتب ؛ فقد خرج لك بحسب هذه القسمة - وهي القسمة الصناعية - ستة أصناف من الوقف في الكلام : خمسة منها بحسب الكلام نفسه ، وهي الأنتم ، والنام ، والذي يشبه التام ، والناقص المطلق ، والأنقص . وواحد من جهة التكلم أو القارى ، وهو الذي بحسب انقطاع النفس كما سبق عن حمزة .

(٢) سورة البلد ١٤ ، ١٥
(٤) سورة النساء ٩٧ ، ٩٨
(٦) سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الكهف ٩ ، ١٠
(٣) سورة النساء ١٤٢ ، ١٤٣
(٥) سورة النساء ١

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لا شيء من انقطاع النفس إلا ومعه الوقف ، والوقوف أمرها على سبيل الجواز إلا الذي بُنى عليه الكلام وما سواه ، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تطابق به انقطاع نفسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيا على الكلام الذي تنثثه بإخراجه على الوجه المذكور .

ومما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل ؛ فإنه أعون شيء عليه ، وقد أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ^(١) .

ويدعو إليه اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريرا من غير فصل ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى الْتَقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(٣) .

فصل

[في الكلام على « كلا » في القرآن]

« كلا » في القرآن على ثلاثة أقسام :

إحداها ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعا باعتبار معنيين .

والثاني ما لا يوقف عليه ولا يبدأ به .

(٢) حورة الطارق ، ٦ ، ٥

(١) سورة الزمل ٣

(٣) سورة التوبة ١٠٨ .

والثالث ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه ، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفاً ؛ تضمنها خمس عشرة سورة ؛ كلها في النصف الأخير من القرآن ؛ وليس في النصف الأول منها شيء . وللشيخ عبد العزيز الديريني ^(١) رحمه الله :

وما نزلت « كَلَّا » يثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جبارية ، فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول . وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلهم وضعفهم .

والأول اثنا عشر حرفاً :

منها في سورة مريم : ﴿ أُمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلَّا ﴾ ^(٢) .

ومنه [فيها] : ﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ﴾ ^(٣)

وفي « المؤمنين » : ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ ^(٤)

وفي المعارج : ﴿ يَتَجَبَّه . كَلَّا ﴾ ^(٥) . وفيها : ﴿ جَنَّةٌ نَعِيم . كَلَّا ﴾ ^(٦) .

وفي المدثر : ﴿ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا ﴾ ^(٧) . وفيها : ﴿ صُحُفًا مُنشَرَّة . كَلَّا ﴾ ^(٨) .

وفي القيامة : ﴿ أَتَيْنَ الْمَفْرَ . كَلَّا ﴾ ^(٩) .

(١) هو أبو محمد عبد العزيز أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الشهير بالديريني ؛ المصري ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ وصاحب الأربعة السمة بالتيسير في علم التفسير ؛ تزايد على ألف ومائتي بيت ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٠ . وتوفي سنة ٦٩٤ . (وانظر طبقات السبكي ٥ : ٧٥)

(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة مريم ٨١ ، ٨٢

(٤) سورة المعارج ١٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٣٩

(٥) سورة المدثر ١٠ ، ١١

(٦) سورة المدثر ١٠ ، ١١

(٧) سورة المدثر ١٠ ، ١١

(٨) سورة المدثر ١٠ ، ١١

(٩) سورة المدثر ١٠ ، ١١

- وفي عبس : ﴿ تَلَهَّى . كَلَّا ﴾ ^(١) .
 وفي التطفیف : ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا ﴾ ^(٢) .
 وفي الفجر : ﴿ أَهَانِي . كَلَّا ﴾ ^(٣) .
 وفي الهمة : ﴿ أَخْلَدُهُ . كَلَّا ﴾ ^(٤) .

- والثاني ثلاثة أحرف :
 في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٥) .
 وفيها : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٦) .
 وفي سبأ : ﴿ أَلَحَقْتُمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ﴾ ^(٧) .

- والثالث ثمانية عشر حرفاً ^(٨) :
 في المدثر : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ^(٩) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ ^(١٠) .
 وفي القيامة : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ ^(١١) . ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ^(١٢) .
 وفي النبأ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٣) .
 وفي عبس : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ﴾ ^(١٤) .

- | | |
|--------------------------|--|
| (١) سورة عبس ١٠ ، ١١ | (٢) سورة المطففين ١٣ ، ١٤ |
| (٣) سورة الفجر ١٦ ، ١٧ | (٤) سورة الهمة ٣ ، ٤ |
| (٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ | (٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ |
| (٧) سورة سبأ ٢٧ | (٨) كذا ذكر العدد في جميع الأصول ؛ وما أورده أربعة عشر فقط . |
| (٩) سورة المدثر ٣٢ | (١٠) سورة المدثر ٥٤ |
| (١١) سورة القيامة ٢٠ | (١٢) سورة القيامة ٢٦ |
| (١٣) سورة النبأ ٤ | (١٤) سورة عبس ٢٣ |

- وفي الانقطار: ﴿كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ﴾^(١) .
 وفي التطفيف: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾^(٢) . ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ﴾^(٣) .
 وفي الفجر: ﴿كَلَّا إِذَا﴾^(٤) .
 وفي العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ﴾^(٥) . ﴿كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَه﴾^(٦) . ﴿كَلَّا لَا تَطْمَعُ﴾^(٧) .
 وفي التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٨) .

وقسمها مكي أربعة أقسام :

الأول : ما يحسن الوقف فيه على «كلا» ، على معنى الرد لما قبلها والإنكار له ؛ فتكون بمعنى : ليس الأمر كذلك ، والوقف عليها في هذه المواضع هو الاختيار ؛ ويجوز الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو «إلا» ؛ وذلك أحد عشر موضعا :

منها الموضعان في مريم . وفي المؤمنين .

وفي سبأ: ﴿الْحَقِّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا﴾^(٩) . وموضعان في المعارج . وموضعان في المدثر . وموضع في المطففين ، والفجر ، والحطمة . قال : فهذه أحد عشر موضعا ، الاختيار عندنا وعند أكثر أهل اللغة أن تقف عليها على معنى النفي والإنكار لما تقدمها ، ويجوز أن تبتدى بها على معنى «حقا» ، لجعلها تأكيداً للكلام الذي بعدها ، أو الاستفتاح .

الثاني : ما لا يحسن الوقف عليه فيها ، ولا يكون الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو «إلا»

(٢) سورة التطفيف ٧

(٥) سورة العلق ٦

(٧) سورة العلق ١٩

(٩) سورة سبأ ٢٧

(١) سورة الانقطار ٩

(٣) سورة التطفيف ١٥

(٤) سورة الفجر ٢١

(٦) سورة العلق ١٥

(٨) سورة التكاثر ٣

أو تعلقها بما قبلها وبما بعدها ، ولا يوقف عليها ، ولا يبتدأ بها ، والابتداء بها في هذه المواضع أحسن ، وذلك في ثمانية عشر موضعا : موضعان في المدثر : ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ . كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ، ^(١) ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ^(٢) . كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ^(٣) .

وثلاثة في القيامة : ﴿ أَيْنَ الْمَفَرِّ . كَلَّا ^(٤) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ . كَلَّا ^(٥) ﴿ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلَّا إِذَا ^(٦) .

وموضع في عم : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ^(٧) .

وموضعان في عبس : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا ^(٨) ، ﴿ تَلَهَّى . كَلَّا ^(٩) .

وموضع في الانقطار : ﴿ مَا شَاءَ رَبِّكَ . كَلَّا ^(١٠) .

وثلاثة مواضع في المطففين : ﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ ^(١١) .

﴿ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ ^(١٢) . ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا ^(١٣) .

وموضع في الفجر : ﴿ حُبًّا جَمًّا . كَلَّا ^(١٤) .

وثلاثة مواضع في العلق : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلَّا ^(١٥) . ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ

اللَّهُ يَرَى . كَلَّا ^(١٦) . ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا ^(١٧) .

(١) سورة المدثر ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة المدثر ٥٣

(٣) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٤) سورة القيامة ٢٥ ، ٢٦

(٥) سورة عبس ٢٢ ، ٢٣

(٦) سورة المطففين ٨ ، ٩

(٧) سورة المطففين ١٤ ، ١٥

(٨) سورة الفجر ٢٠ ، ٢١

(٩) سورة العلق ١٤ ، ١٥

(١٠) سورة المدثر ٥٤

(١١) سورة القيامة ١٩ ، ٢٠

(١٢) سورة عم ٤

(١٣) سورة عبس ٢٢ ، ٢٣

(١٤) سورة المطففين ٨ ، ٩

(١٥) سورة المطففين ١٧ ، ١٨

(١٦) سورة العلق ٥ ، ٦

(١٧) سورة العلق ١٨ ، ١٩

وموضعان في التكاثُر : ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

فهذه ثمانية عشر موضعا ، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبتدأ بها ، و« كَلَّا » على معنى « حقا » ، أو « إلا » وألا يوقف عليها .

الثالث : ما لا يحسنُ الوقف فيه عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، ولا تكون موصولة بما قبلها من الكلام ، ولا بما بعدها ، وذلك موضعان : في ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) . وكذا في التكاثُر : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) ، فلا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها .

الرابع : ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها ، وهو موضعان في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٦) . قال : فهذا هو الاختيار ؛ ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها ولا تبتدئ بها .

[الكلام على « بلى »]

وأما ﴿ بلى ﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعا ، في ست عشرة سورة ، وهي على ثلاثة أقسام :

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة التكاثُر ٢ ، ٣ | (٢) سورة التكاثُر ٥ |
| (٣) سورة عم ٤ ، ٥ | (٤) سورة التكاثُر ٤ |
| (٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ | (٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ |

أحدها ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك عشرة مواضع : موضعان في البقرة : ﴿ مَا لَا يَعْلَمُونَ . بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ ^(١) . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَىٰ ﴾ ^(٢)

وموضعان في آل عمران : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ ﴾ ^(٣) . ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا ﴾ ^(٤) . وموضع في الأعراف : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ^(٥) ، وفيه اختلاف . وفي النحل : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ ﴾ ^(٦) :

وفي يس : ﴿ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ﴾ ^(٧) :

وفي غافر : ﴿ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ^(٨) .

وفي الأحقاف : ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ﴾ ^(٩) .

وفي الانشقاق : ﴿ أَنْ لَنْ يَحْمُورَ بَلَىٰ ﴾ ^(١٠) :

فهذه عشرة مواضع يُختار الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها ، غير متعلقة بما بعدها . وأجاز بعضهم الابتداء بها .

والثاني ما لا يجوز الوقف عليها، لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها، وذلك في سبعة مواضع :

في الأنعام : ﴿ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ ^(١١) . وفي النحل : ﴿ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَىٰ ﴾ ^(١٢) .

وفي سبأ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ ^(١٣) . وفي الزمر : ﴿ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ﴾ ^(١٤) .

وفي الأحقاف : ﴿ بَلَىٰ وَرَبَّنَا ﴾ ^(١٥) .

وفي التغابن : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ ^(١٦) .

- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة البقرة ٨٠ ، ٨١ | (٢) سورة البقرة ١١١ ، ١١٢ |
| (٣) سورة آل عمران ٧٥ ، ٧٦ | (٤) سورة آل عمران ١٢٥ |
| (٥) سورة الأعراف ١٧٢ | (٦) سورة النحل ٢٨ |
| (٧) سورة يس ٨١ | (٨) سورة غافر ٥٠ |
| (٩) سورة الأحقاف ٣٣ | (١٠) سورة الانشقاق ١٤ ، ١٥ |
| (١١) سورة الأنعام ٣٠ | (١٢) سورة النحل ١٥ (١٥) آية ٣٣ |
| (١٣) سورة سبأ ٣٨ | (١٤) سورة الزمر ٣ (١٤) آية ٥٩ |
| (١٥) سورة الأحقاف ٧ | (١٦) سورة التغابن ٧ |

وفي القيامة : ﴿ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَىٰ ۖ ﴾ ^(١) .

وهذه لاختلاف في امتناع الوقف عليها، ولا يحسن الابتداء بها ، لأنها وما بعدها جواب .

الثالث : ما اختلفوا في جواز الوقف عليها ؛ والأحسن المنع ؛ لأن ما بعدها متصل بها وبما قبلها ، وهي خمسة مواضع .

في البقرة : ﴿ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ ﴾ ^(٢) .

وفي الزمر : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ ۖ ﴾ ^(٣) .

وفي الزخرف : ﴿ وَنَجَّوْهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا ۖ ﴾ ^(٤) .

وفي الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ۖ ﴾ ^(٥) .

وفي الملوك : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ۖ ﴾ ^(٦) .

[الكلام على « نعم »]

﴿ وَأَمَّا نَعَمْ ﴾ ففي القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ۖ ﴾ ^(٧) ، واختار الوقف على « نعم » لأن ما بعدها

ليس متعلقا بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار ، و ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ من قولهم .

والثاني والثالث في الأعراف والشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ ۖ ﴾ ^(٨) .

الرابع في الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ ﴾ ^(٩) .

والختار ألا يوقف على « نعم » في هذه المواضع لتعلقها بما بعدها وبما قبلها لاتصاله بالقول .

وضابط ما يختار الوقف عليه أن يقال : إن وقع بعدها « ما » اختير الوقف عليها وإلا فلا .

أويقال : إن وقع بعدها واو لم يجز الوقف عليها وإلا اختير ، وأنت مخير في أيهما شئت .

(١) سورة القيامة ٣ ، ٤

(٢) سورة البقرة ٢٦٠

(٣) سورة الزمر ٨٠

(٤) سورة الحديد ٩

(٥) سورة الملوك ٤٣

(٦) سورة الأعراف ١٨

(٧) سورة الشعراء ١١٤

(٨) سورة الصافات ١٨

(٩) سورة الأعراف ١١٤

النوع الخامس والعشرون علم مرسوم الخط

ولما كان خطُ المصحف هو الإمام الذي يعتمدُه القارىءُ في الوقف والتمام ، ولا يمدو رسومَه ، ولا يتجاوز مرسومه ، قد خالف خطُ الإمام في كثير من الحروف والأعلام ، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق ؛ بل على أمرٍ عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه .

ولما كتب الصحابة المصحفَ زمنَ عثمان رضى الله عنه اختلفوا في كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » ، وقال النفر القرشيون : « التابوت » ، وترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوا : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قريش .

قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض ^(١) . وقال أبو البقاء في كتاب اللباب ^(٢) : « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف ؛ فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام ، والعمل على الأول » . فحصل أن الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع به الاقتداء السلكي ، وهو رسم المصحف ، وخط جرى على ما أثبتته اللفظ وإسقاط ما حذفه ؛ وهو خط العروض ، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل . وخط جرى على العادة المعروفة ؛ وهو الذي يتكلم عليه النحوي .

(١) عبارة ابن درستويه في كتاب الكتاب ص ٧ : « ووجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس هجاؤه ، ولا يخالف خطه ؛ ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف . ورأينا العروض إنما هو إحصاء وما لفظ به من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، قلما نعرض لذكرهما في كتابنا هذا » . (٢) الورقة ٢٠٠ ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣ ؛ نحو .

واعلم أن الشيء في الوجود أربع مراتب : الأولى حقيقته في نفسه . والثانية مثاله في الذهن - وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة اللفظ الدال على المثال الذهني والخارجي . والرابعة الكتابة الدالة على اللفظ - وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم ، كاختلاف اللغة العربية والفارسية ، والخط العربي والهندي ؛ ولهذا صنف الناس في الخط والهجاء ؛ إذ لا يجرى على حقيقة اللفظ من كل وجه .

وقال الفارسي : لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والهجاء قال لي : اكتب كتابنا هذا ، قلت له : نعم إلا أني آخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : « ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط » .

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب فقه اللغة : « ^(١) يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ؛ فلما أصاب الأرض الفرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام . قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ^(٢) .

والذي نقوله : إن الخط توقيفي لقوله : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(٣) . وقال تعالى : ﴿ نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ^(٤) . [وإذا كان كذا] ^(٥) ، فليس يتعبد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب ^(٦) .

(١) هو المروف بالصاحي، ص ٧ وما بعدها .

(٢) فقه اللغة : « تكثر وتختلف » .

(٣) سورة العلق ٤ ، ٥ .

(٤) سورة القلم ١

(٥) تكملة من كتاب الصاحي

(٦) في الصاحي بعد هذه الكلمة : « فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فعي لا نعلم صحته

إلا من خبر صحيح » .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً^(١).

ومذهبنا [فيه التوقيف، فنقول]^(٢): إن أسماء هذه الحروف داخلية في الأسماء التي علم الله تعالى آدم عليه السلام.

قال: «وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره، وإنما نقول: إن هذين العلمين كانا قديماً^٣، وأتت عليهما الأيام، وقلّا في أيدي الناس، ثم جدّهما هذان الإمامان.

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم]^(٤) ذلك كتابتهم المصحف على الذي يُعلِّله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً، نحو «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك [كله]^(٥) حجة، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصحف».

(١) بعده في الصحابي: قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتجهز إسرائيل؟ فقال: إني لأذن لرجل سوء، قالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضبط والعصر. وقيل لآخر: أتجز فلسطين؟ فقال: إني لأذن لقوى. قالوا: وسمع بعض فصحاء العرب ينشد:

* نحن بني علقمة الأخيار *

فقيل له: لم نصبت «بني»، فقال: ما نصبت. وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء. قالوا: وحكي الأخفش عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال، فقال: وما الدال؟ وحكي أن أبا حية النيمري سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال:

كفى بالنأي من أسماء كافٍ وليس لسقمها إذ طال شافٍ

قلنا: والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء ... »

(٢) تكلّة من كتاب الصحابي.

(٣-٤) الصحابي: «فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات أن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك؛ بل نقول: إن هذين العلمين كانا قديماً ... »

وأُسند إلى القراء قال : اتباعُ المصحف إذا وجدتُ له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحبُّ إليّ من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ؛ إلا على الكتابة الأولى . رواه أبو عمرو الداني في المقنع ^(١) ثم قال : ولا يخالف نه من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر ^(٢) : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف : أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا . قال أبو عمرو : يعني الواو والألف الزيدتين في الرسم لحنّي ، المعدومتين في اللفظ ، نحو [الواو في] ^(٣) : ﴿ أولوا الأبواب ﴾ ، ﴿ وأولات ﴾ و : ﴿ الربوا ﴾ ، ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفةُ خط مصحف عُمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حيّ غض ، وأما الآن فقد يخشى الإلباس ؛ ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ؛ لثلا يُوقع في تفسير من الجهال . ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه ؛ لثلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء أحكته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شعب الإيمان : مَنْ كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئا ؛ فإنهم أكثرُ علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ؛ فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكا عليهم . وروى بسنده عن زيد قال : القراءة

(١) س ١٠ (٢) س ٣٠ مع تصرف واختصار ؛ وقد أسقط المؤلف أمثلة زيادة الألف (٣) من المقنع .

سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : يعني ألا تخالف الناس برأيك في الانباع .
قال : وبمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذهب
العربية في القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف ، واتباع حروف المصاحف عندنا كالشئ
القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدّاها .

مسألة

[في كتابة القرآن بغير الخط العربي]

هل يجوز كتابة القرآن بقلم غير العربي ؟ هذا مما لم أر للعلماء فيه كلاما . ويحتمل
الجواز ؛ لأنه قد يحسنه من يقرأ بالعربية ، والأقرب النع ، كما تحرم قراءته بغير لسان
العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلما غير العربي قال تعالى :
﴿ يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(١) .

[اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه]

واعلم أن الخط جرى على وجوه : فيها ما زيد عليه على اللفظ ؛ ومنها ما نقص ، ومنها
ما كُتب على لفظه ، وذلك لحكم خفية ، وأسرار بهية ، تصدى لها أبو العباس المراكشي
الشهير بابن ^(٢) البناء ؛ في كتابه : ” عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل “ ، وبين أن هذه
الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها .

(١) سورة الشعراء ١٩٥

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء ؛ توفي سنة ٧٢١ ،

ذكر كتابه صاحب كشف الظنون .

ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود ، والمقامات . والخط
إنما يُرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي .

[الزائد وأقسامه]

الأول : ما زيد فيه ، والزائد أقسام :

[القسم الأول : زيادة الألف]

الأول الألف ؛ وهي إما أن تزد من أول الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها .
فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود ، مثل ؛ ﴿ لَا أَذْبَحَنَّهُ ﴾ ^(١) ،
﴿ وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾ ^(٢) زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من
المقدم عليه لفظاً ؛ فالذبح أشد من العذاب ^(٣) ، والإيضاع أشد إفساداً من زيادة
الخبال ^(٤) ؛ واختلفت المصاحف في حرفين : ﴿ لَا إِلَى الْجَحِيم ﴾ ^(٥) و ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُخْشَرُونَ ﴾ ^(٦) ؛
فمن رأى أنَّ مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الخمر ^(٧) ، وأن
حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم ^(٨) في الدنيا أثبت الألف . ومن

(١) سورة التوبة ٧

(٢) سورة النمل ٢١

(٣) يشير إلى أول آية النمل : ﴿ لَا عَذَابَ لَهُ عَذَاباً شَدِيداً ... ﴾

(٤) يشير إلى أول آية التوبة : ﴿ لَوْ جَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً ... ﴾ .

(٥) سورة الصافات ٦٨ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيم ﴾ .

(٦) سورة آل عمران ١٥٨ : ﴿ وَلَئِنْ مَثُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تَخْشَرُونَ ﴾ .

(٧) يشير إلى ما سبق في آية الصافات : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ... ﴾ ﴿ إِنَّ
لَهُمْ عَلَيْهَا شَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ .

(٨) إشارة إلى أول آية عمران : ﴿ وَلَئِنْ مَثُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ... ﴾ .

لم ير ذلك لأنه غيبٌ عنا ، فلم يستوِ القسمان في العلم بهما لم يثبتته ، وهو أولى .
وكذلك: ﴿لَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ﴾^(١)، ﴿أَفَلَمْ يَأْيِسْ﴾^(٢) لأن الصبر
وانتظار الفرج أخفُّ من الإياس ، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار .
والثاني^(٣) يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود؛ لزيادتها بعد الواو
في الأفعال ، نحو « يرجوا » ، و « يدعوا » ، وذلك لأن الفعل أثقل من الاسم ؛ لأنه
يستلزم فاعلاً ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيره ، فالفعل أزيد من الاسم في الوجود ،
والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمّة أثقل الحركات ، والمتحرك أثقل من الساكن ،
فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل ، نفع الواو
التي هي ضمير الفاعلين أولى ، لأن الكلمة جملة ، مثل « قالوا » ، و « عصوا » ، إلا أن
يكون الفعل مضارعاً وفيه النون علامة الرفع ، فتختص الواو بالنون ، التي هي من جهة
تمام الفعل ؛ إذ هي إعرابه فيصير ككلمة واحدة وسطها واو ؛ كالعيون والسكون ، فإن
دخل ناصب أو جازم مثل : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾^(٤) ثبتت الألف .
وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل ، نحو : ﴿سَمِعُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾^(٥) ،
فإنه سعى في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود .
وكذلك: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^(٦) ، و ﴿جَاءُوا ظُلُمًا وُزُورًا﴾^(٧) ، ﴿وَجَاءُوا بِأَبْهَمٍ﴾^(٨) ،
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ﴾^(٩) ، فإن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح .
وكذلك ﴿فَإِنْ فَأَوْ﴾^(١٠) ، وهو في القلب والاعتقاد .

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٤

(٧) سورة الفرقان ٤

(٩) سورة البقرة ٢٢٦

(١) سورة يوسف ٨٧

(٣) أي زيادة الألف في آخر الكلمة

(٥) سورة سبأ ٥

(٦) سورة الأعراف ١١٦

(٨) سورة يوسف ١٦ ، ١٧

وكذا ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(١) اختاروها سكناً، لكن لا على الجهة المحسوسة؛ لأنه سوى بينهما، وإنما اختاروها سكناً لمرضاة الله؛ بدليل وصفهم بالإيتار مع الخصوصية؛ فهذا دليل زهدهم في محسوسات الدنيا، وكذلك ﴿فَاءُوا﴾^(٢) لأنه رجوع مغنوى.

وكذلك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَمْفُو عَنْهُمْ﴾^(٣)، حذفت ألفه لأن كيفية هذا الفعل لا تدرك، إذ هو ترك المؤاخذة؛ إنما هو أمرٌ عقلى.

وكذلك ﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾^(٤)، هذا عتوٌّ على الله، لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت من: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٥)، ولم تسقط من: ﴿وَإِذَا مَاغَضِبُواهُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٦)، لأن «غضبوا» جملة بعدها أخرى، والضير مؤكد للفاعل في الجملة الأولى، و«كالوهم» جملة واحدة، الضير جزء منها.

وكذلك زدت الألف بعد الهمزة في حرفين: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾^(٧) و﴿مَا إِنِّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ﴾^(٨) تنبيهاً على تفصيل المعنى؛ فإنه يُبَوِّءُ يابمين من فعل واحد، وتنوء المفاتيح بالعصبة، فهو نوءان للمفتاح، لأنها بثقلها أثقلتهم فالت وأمالتهم، وفيه تذكير بالمناسبة يُتَوَجَّه به من مفاتيح كنوز مال الدنيا المحسوس، إلى مفاتيح كنوز العلم الذى ينوء بالعصبة أولى القوة في يقينهم، إلى ما عند الله في الدار الآخرة.

وكذلك زدت بعد الهمزة من قوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ﴾^(٩) تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الأفراد، يدل عليه قوله:

(٢) سورة النساء ٩٩

(٤) سورة التطفيف ٣

(٦) سورة المائدة ٢٩

(٨) سورة الواقعة ٢٣

(١) سورة الحشر ٩

(٣) سورة الفرقان ٢١

(٥) سورة الشورى ٣٧

(٧) سورة القصص ٢٦

﴿ كَأَمْثَالِ ﴾ ، وهو على خلاف حال : ﴿ كَأَنَّهُمْ لُلُّؤْلُؤُا ﴾ ^(١) فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل .

وقال أبو عمرو : كتبوا ^(٢) ﴿ اللؤلؤا ﴾ في الحج والملائكة ^(٣) بالألف ، واختلف في زيادتها ، فقال أبو عمرو : كما زادوها في « كانوا » ، وقال الكسائي : لمكان الهمزة . وعن محمد بن عيسى الإصبهاني . كل ما في القرآن من « لؤلؤ » فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين : في الحج والإنسان ^(٤) .

وقال عاصم الجحدري : كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة .

والثالث ^(٥) تكون لمعنى في نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَمٍّ ﴾ ^(٦) ، زيدت الألف دليلا على أن هذا الجي هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود الجي ، وقد عبر عنه بالماضي ، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله ، فيستوى في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك الجي ؛ ويدل عليه قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ ^(٨) ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ ^(٩) ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف في الدنيا ، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضا .

(٢) القنع ص ٤٢ ...

(١) سورة الطور ٢٤

(٣) سورة الحج ٢٣ ، فاطر ﴿ الملائكة ﴾ ٣٣ : ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

وَلُؤْلُؤًا ﴾ .

(٤) آية ١٩ ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا ﴾ .

(٦) سورة الفجر ٢٣

(٥) أي زيادة الألف وسط الكلمة

(٨) سورة الفرقان ١٢

(٧) سورة الشعراء ٩١

(٩) سورة الزمر ٦٩ .

وكذلك : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝ ﴾^(١) ، الشيء هنا معدوم ، وإنما علمناه من تصوّر مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه ، من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود ، فزيدت الألف تنبيهاً على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود في الأذهان ، معدوم في الأعيان .

وهذا بخلاف قوله في النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ۝ ﴾^(٢) ، فإن الشيء هنا من جهة قول الله ، لا يعلم كيف ذلك ، بل نؤمن به تسليماً لله سبحانه فيه ، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا ، فلا تشبيه ولا تعطيل .

وكذلك : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْنَاهُ ۝ ﴾^(٣) ، زيدت الألف بين اللام والهمزة ، تنبيهاً على تفصيل مهمّ ظاهر الوجود .

ومثله زيادتها في « مائة » ، لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين : آحاد وعشرات .

قال أبو عمرو في المقنع^(٤) : لاختلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ في الدّرج ، نحو : ﴿ عيسى ابن مريم ۝ ﴾^(٥) و ﴿ المسيح ابن مريم ۝ ﴾^(٦) وهو نفت ، كما أثبتوها في الخبر نحو : ﴿ عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ ۝ ﴾^(٧) ، و ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۝ ﴾^(٧) ، ولم تحذف إلا في خمسة مواضع .

قال : ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في « مائة » و « مائتين » ، حيث وقعا ،

(١) سورة الكهف ٢٣

(٣) سورة هود ٩٧

(٥) سورة البقرة ٨٧

(٧) سورة التوبة ٣٠

(٢) سورة النحل ٤٠

(٤) ص ٣١ ، ٣٢ مع تصرف في العبارة

(٦) سورة المائدة ١٧

ولم تُزد في « فثة » ولا « فنتين » وزيدت في نحو: ﴿ تَبَوَّأَ يَأْتِمِسِي ﴾ ^(١) و ﴿ لَتَنُوءَا بِالْعَصْبَةِ ﴾ ^(٢).. ولا أعلم همزة متطرفة قبلها سا كن رسمت [خطأ] في المصحف إلا في هذين الموضعين. [ولا أعلم همزة متوسطة قبلها سا كن رسمت في المصحف إلا في قوله : ﴿ مَوْنَلَا ﴾ ^(٣) ، في الكهف لا غير .

[القسم الثاني : زيادة الواو]

الزائد الثاني الواو ، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود ، في أعظم رتبة في العيان ، مثل : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ ^(٥) .
ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .

وكذلك « أولى » و « أولوا » و « أولات » ، زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على « أصحاب » ، فإن في « أولى » معنى الصحبة وزيادة التملك والولاية عليه ، وكذلك زيدت في « أولئك » و « أولائكم » حيث وقعا بالواو ، لأنه جمعٌ مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود ، وليس للفرق بينه وبين « أولئك » كما قاله قوم لا يتفاضله « بأولا » .

[القسم الثالث : زيادة الياء]

الزائد الثالث الياء ، زيدت لاختصاص ملكوتي باطن ؛ وذلك في تسعة ^(٦) مواضع كما قاله في المقنع :

- | | |
|----------------------|--|
| (١) سورة المائدة ٢٩ | (٣) سورة الكهف ٥٨ والزيادة من المقنع |
| (٢) سورة القصص ٧٦ | (٤) سورة الأعراف ١٤٥ |
| (٥) سورة الأنبياء ٣٧ | (٦) في الأصول : « سبعة » وصوابه من المقنع ص ٥٠ . |

﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ^(١) .

﴿ مَنْ نَبَأِى الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِى ﴾ ^(٣) .

﴿ وَإِنِّى ذِى الْقُرْبَى ﴾ ^(٤) .

﴿ وَمِنْ آتَايَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٥) .

﴿ أَفَإِنْ مِتَّ ﴾ ^(٦) .

﴿ مِنْ وَرَائِى حِجَابٍ ﴾ ^(٧) .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ ^(٨) .

و ﴿ بِأَيْدِيكُمْ الْمَقْتُونُ ﴾ ^(٩) .

قال أبو العباس المراكشى : إنما كتبت ﴿ بِأَيْدٍ ﴾ بياءين فرقا بين « الأيدى » الذى هو القوة ، وبين « الأيدى » جمع « يد » ، ولا شك أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدى ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر فى دراك المملوكوتى فى الوجود .

وكذلك زيدت بعد الهمزة فى حرفين :

﴿ أَفَإِنْ مَاتَ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة الأنعام ٣٤

(٤) سورة النحل ٩٠

(٦) سورة الأنبياء ٣٤

(٨) سورة التاريات ٤٧

(١) سورة آل عمران ١٤٤

(٣) سورة يونس ١٥

(٥) سورة طه ١٣٠

(٧) سورة الشورى ٥١

(٩) سورة ن ٦

وذلك لأن موته مقطوع به ، والشرط لا يكون مقطوعاً به ، ولا مارُتَّب على الشرط هو جواب له ، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق ، فتقديره: « أهم الخالدون إن مت » ؟! فاللفظ للاستفهام والربط ، والمعنى للإنكار والنفي ، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى ، الظاهر لفهم ، الباطن في اللفظ .

وكذلك زيدت بعد الهمزة في آخر الكلمة في حرف واحد ، في الأتعام : ﴿ مِنْ نَبَأِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) تنبيها على أنها أنباء باعتبار أخبار ، وهي ملكوتية ظاهرة .
وكذلك ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ ﴾ ^(٢) كتبت يباءين ، تخصيصاً لهم بالصفة لحصول ذلك وتحقيقه في الوجود ؛ فإنهم هم المفتونون دونه ، فانفصل حرف « أَيْ » يباءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً ، لكنه باطن فهو ملكوتي ، وإنما جاء اللفظ بالإيهام على أسلوب المجاملة في الكلام ، والإمهال لهم ؛ ليقع التدبُّر والتذكُّر ^(٣) ، كما جاء : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٤) ، ومعلوم أننا على هدى ، وهم على ضلال .

[الناقص وأقسامه]

الوجه الثاني ما نقص عن اللفظ ، ويأتي فيه أيضاً الأقسام السابقة :

[القسم الأول : حذف الألف]

الأول الألف ، كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود ، له اعتباران : اعتبار من جهة ملكوتية ، أو صفات حالية ، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس

(١) سورة الأنعام ٣٤

(٣) م : « التذكر »

(٢) سورة القلم ٦

(٤) سورة سبأ ٢٤

فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك واعتباراً من جهة ملكية حقيقية في العلم ، أو أمور سُفلية ؛ فإن الألف تثبت .

واعتبر ذلك في لفظتي « القرآن » و « الكتاب » فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكت في الكتاب ، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل ؛ قال الله تعالى في هود : ﴿ اَرَكِتَبٌ اُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ^(١) . وقال في فصلت : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ اِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ﴾ ^(٣) . ولذلك ثبت في الخط ألف « القرآن » وحذفت ألف « الكتاب » .

وقد حُذِفَتِ ألف « القرآن » في حرفين ؛ هوفيها مرادف للكتاب في الاعتبار ؛ قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٤) ، وفي الزخرف : ﴿ اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٥) ، والضمير في الموضعين ضمير الكتاب ^(٦) المذكور قبله . وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٧) ، فقرينته هي من جهة المعقولة . وقال في الزخرف : ﴿ وَاِنَّهُ فِي اُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ^(٨) .

وكذلك كل ما في القرآن من « الكتاب » و « كتاب » فبغير ألف ؛ إلا في أربعة مواضع هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي :

في الرعد : ﴿ لِكُلِّ اَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ^(٩) ، فإن هذا « كتاب » الآجال

(٢) سورة فصلت ٣

(٤) سورة يوسف ٢

(٦) في سورة يوسف ١ : ﴿ آيَاتُ الْكِتَابِ

(١) سورة هود ١

(٣) سورة القيامة ١٧

(٥) سورة الزخرف ٣

الْمُبِينِ . وفي الزخرف ٢ : ﴿ وَاَلْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ . (٧) يوسف ٢ ، والزخرف ٣

(٩) سورة الرعد ٢٨

(٨) سورة الزخرف ٤

فهو أخص من الكتاب المطلق ، أو المضاف إلى الله .
 وفي الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ ^(١) ، فإن هذا
 « كتاب » إهلاك القرى ، وهو أخص من كتاب الآجال .
 وفي الكهف : ﴿ وَأَنْتُمْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ ﴾ ^(٢) ، فإن هذا أخص
 من « الكتاب » الذي في قوله : ﴿ أَنْتُمْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) ، لأنه أطلق
 هذا ، وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنى في الوجود ، والأخص أظهر تنزيلا .
 وفي النمل : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٤) ، هذا « الكتاب » جاء
 تابعا للقرآن ، والقرآن جاء تابعا للكتاب ، كما جاء في الحجر : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
 وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٥) ، فإني النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلي ، فهو تفصيل
 للكتاب الكلي بمجوامع كليته .

ومن ذلك حذف الألف في : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء
 وانفراده ، وأن عنه انقضت الأسماء ؛ فهو بكلّيتها يدلّ عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع
 الأسماء كلّها ، أوّلها ، ولهذا لم يتسم به غيرُ الله ، بخلاف غيره من أسمائه ، فلها ظهرت الألف
 معها ، تنبيها على ظهور التسمية في الوجود ، وحذفت الألف التي قبل الهاء من أسم الله ،
 وأظهرت التي مع اللام من أوّله ، دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان ، الباطن
 من جهة الإدراك والعيان .

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه : « الرحمن » حيث وقع ، بيانا لأننا
 نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود ، فلا يفرّق في علمنا بين الوصف والصفة ، وإنما الفرقان

(٢) سورة الكهف ٢٧

(٤) سورة النمل ١

(١) سورة الحجر ٤

(٣) سورة الفصيحوت ٤٥

(٥) سورة الحجر ١

في التسمية والاسم ، لا في معاني الأسماء المدلول عليها بالتسمية ، بل نُؤمن بها إيماناً مفوّضاً في علم حقيقته إليه .

قلت : وعلماء الظاهر يقولون : للاختصار وكثرة الاستعمال ، وهو من خصائص الجلالة الشريفة ، فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ في الدّرج تثبت خطأ إلا في البسملة ، وفي قوله في هود : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِيهَا ﴾ ^(١) ، ولا تحذف إلا بشرطين : أن تضاف إلى أسم الله - ولهذا أثبتت في ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) - وأن تكون قبله الباء ، ولم يشترط الكسائي الثاني ، فجوز ^(٣) حذفها كما تحذف في « بِسْمِ الْمَلِكِ » ؛ والجهور على الأول .

وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء الفاعلين مثل : « قَدَر » و « عِلْم » ، وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة .

وكذلك الألف الزائدة في الجوع السائلة والمكسرة ، مثل « القَنْتَيْنِ » ، و « الأبرار » و « الجلل » ، و « الإكرام » ، و « اِخْتِلَفَ » ، و « اسْتَكْبَرَ » ، فإنها كلها وردت لمعنى مفصل يشتمل ^(٤) عليه معنى تلك اللفظة ، فتحذف حيث يبطن التفصيل ، وتثبت حيث يظهر . وكذلك ألف الأسماء الأعجمية كما برهيم لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي ؛ لأن العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي لا ظهور له ، فحذفت ألفه .

قال أبو عمرو : ^(٥) اتفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية [المستعملة] ^(٦) كما برهيم وإسماعيل ، وإسحق ، وهرون ، ولقمن [وشبهها] ^(٧) ، وأما حذفها من : سليمان ، وصلاح ، وملك - وليست بأعجمية - فلكثرة الاستعمال ^(٨) ؛ فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية

(١) سورة هود ٤١

(٢) سورة الطق ١

(٤) م : « يشتمل »

(٦) من القنع

(٣) ت : « فيجوز »

(٥) القنع من ٢٢ وفيه : « وافق كتاب المصاحف .

(٧) (٧ - ٧) القنع : « وكذا حذفوها من سليمان ،

وصلاح ، وملك ، وخلد ، وإيست بأعجمية لما كثر استعمالها .

فبالألف^(١)، كطالوت، وجالوت، ويأجوج، ومأجوج [وشبهها]^(٢).

واختلفت المصاحف^(٣) في أربعة: هاروت، وماروت، وهامان، وقارون^(٤)؛

فأما «داود» فلا خلاف في رسمه بالألف، لأنهم قد حذفوا منه واوا فلم يحذفوا بحذف ألف أخرى^(٥)، ومثله «إسرائيل» ترسم بالألف، [في أكثر المصاحف]^(٦)؛ لأنه حذف منه الياء^(٧).

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع^(٨) السلامة، مذكرا كان كالعلمين، والصبرين، والصدقين، أو مؤنثا كالسلمات، والمؤمنات، والطيبات، والخبيثات، فإن جاء بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت^(٩) الألف، نحو: السائلين، والصائمين، والظانين، والضالين، وحاقين، ونحوه.

قال أبو العباس: وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى ملكية، هي أظهر في الاسم، فتثبت الألف؛ كالآواب، والخطاب، والعذاب، و﴿أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١٠)، و﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ﴾.

وقد تكون ملكية، وتعتبر من جهة مرتبة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم، فتحذف الألف، كالحرب، ولأجل هذا التداخل يعمض ذلك، فيحتاج إلى تدبر وفهم. ومنه ما يكون ظاهر الفرقان، «كالاخير» و«الأشرار»، تحذف من الأول دون الثاني.

(١) المقتضب: «فإنهم أثبتوا الألف فيه» (٢) من المقتضب

(٣) المقتضب: «ورأيت المصاحف تختلف في أربعة».

(٤) بعد كلمة «قارون» في المقتضب: «ففي بعضها بالألف، وفي بعضها بغير ألف، والأكثر على إثبات الألف».

(٥) المقتضب: «فلم يحذفوا لتلك الألف منه».

(٦) بعده في المقتضب: «التي هي صورة الهمزة»، وقد وجدت ذلك في بعض المصاحف المدنية والعراقية

المتن القديمة بغير ألف، وإثباتها أكثر».

(٧) المقتضب: «من الجمع السالم الكثير الدور».

(٨) سورة ص ٧٥.

(٩) «ثبتت».

ومنه ما ينبغي كالقراش ، ويطعمون الطعام ، فالقراش محسوس والطعام ثابت ، ووزنهما واحد ؛ وهما جسمان ، لكن يعتبر في الأول مكان التشبيه ، فإن التشبيه محسوس ، وصفة التشبيه^(١) غير محسوس ، فالشبه به غير محسوس في حالة الشبه ، إذا جعل جزءا من صفة المشبه به من حيث هو مستقرش مبثوث ، لا من حيث هو جسم ؛ وأما الطعام فهو المحسوس المعطى للمحتاجين .

وكذلك : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعْمُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾^(٢) ثبتت الألف في الأول ؛ لأنه سفلى^٣ بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثانى لأنه علوى^٤ بالنسبة إلى طعامهم ، لعلوا ملتنا على ملتهم .
وكذلك : ﴿ كَأَنَّا يَا كِلَانَ الطَّعْمِ ﴾^(٣) ، فحذف لعلوا هذا الطعام .

وكذلك : ﴿ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾^(٤) « غلقت » فيه التكرير في العمل ، فيدخل به أيضا ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذفت الألف لذلك ، ويدل عليه : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ﴿ وَأَلْقِيَا سِدِّهَا لَدَا الْبَابِ ﴾^(٥) ، فأفرد « الباب » المحسوس من أبواب الاعتصام .

وكذلك : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٦) ؛ محذوف لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية ، و : ﴿ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾^(٧) ملكية من حيث هي لهم ، فثبتت الألف . و ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾^(٨) ، ثابتة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية . وكذلك : ﴿ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾^(٩) من حيث حصرها العدد في الوجود ، ملكية فثبتت الألف^(١٠) .

- | | |
|---------------------|---|
| (١) ط : « الشبهة » | (٢) سورة المائدة ٥ |
| (٣) سورة المائدة ٧٥ | (٤) سورة يوسف ٢٣ |
| (٥) سورة يوسف ٢٥ | (٦) سورة الزمر ٧٣ |
| (٧) سورة م ٥٠ | (٨) سورة الزمر ٧٢ |
| (٩) سورة الحجر ٤٤ | (١٠) من كلمة « كذلك » إلى هنا ساقط من ت . |

وكذلك : « الجراد » و « الضَّفْدَع » ^(١) ، الأول ثابت ، فهو الذى فى الواحدة المحسوسة ، والثانى محذوف لأنه ليس فى الواحدة المحسوسة ، والجمع هنا ملكوتى من حيث هَوَايَة ^(٢) .

وكذلك : ﴿ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ ^(٣) حذفت لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها للفهم جهة التماثل ؛ و ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ﴾ ^(٤) ثابت الألف لأنه تعين للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ ^(٥) حذفت للعموم . و ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ ^(٦) ثابت فى الفرقان لأنها المذكورة حسية مفصلة ، ومحذوفة فى الإسراء لأنها غير مفصلة باطنية .

وكذلك : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ ذُكِّنَا ذِكْرًا وَاحِدَةً ﴾ ^(٨) الأولى محذوفة ، لأنها روحانية لاتعلم إلا إيماننا ، والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهوى .

وكذلك : [أَلْف] ﴿ كِتَابِيَّة ﴾ ^(٩) محذوفة لأنه ملكوتى و [أَلْف] ﴿ حِسَابِيَّة ﴾ ^(١٠) ثابتة ، لأنها ملكية ؛ وهما معا فى موطن الآخرة .

وكذلك : ﴿ الْقَضِيَّة ﴾ ^(١١) ملكوتية ، ﴿ وَمَالِيَّة ﴾ ^(١٢) ملكى محسوس ، فحذف الأول وثبت الثانى .

(١) من قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٣ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ ﴾

(٣) سورة الواقعة ٦١

(٢) ط : « هَوَايَة »

(٥) سورة محمد ٣

(٤) سورة الواقعة ٢٣

(٧) سورة الحاقة ١٣ ، ١٤

(٦) سورة الفرقان ٩ ، الإسراء ٤٨

(٩) سورة الحاقة ٢٦

(٨) سورة الحاقة ٢٥

(١١) سورة الحاقة ٢٨

(١٠) سورة الحاقة ٢٧

وكذلك : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ ﴾ ^(١) ، حذف لأنه الاسم ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ ^(٢) ثبت لأنه بحجة محسوس ، [فحذف الأول وثبت الثاني] .

وكذلك : ﴿ سُبْحَنَ ﴾ حذف لأنه ملكوتي إلا حرفاً واحداً ، واختلف فيه : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ ^(٣) ، فمن أثبت الألف قال : هذا تبرئة من مقام الإسلام ، وحضره الأجسام ، صُدِّرَ به مجاوبة للكفار في مواطن الرد والإنكار . ومن أسقط فلعنوا حال المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشغله عن الحضور تقلبه في الملكوت الخطاب في الملك ، وهو أولى الوجهين .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٤) ، ثبتت ألف ﴿ ثَالِثُ ﴾ لأنهم جعلوه أحداً ثلاثة مفصلة ، فثبتت ^(٥) الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الإله ، تعالى الله عن قولهم ! وحذفت ألف ﴿ ثَلَاثَةٍ ﴾ لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة .

وكذلك : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٦) ، حذف من ﴿ إِلَهٍ ﴾ وثبتت في ﴿ واحد ﴾ ألفه ، لأنه إِلَهُ في ملكوته ، تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك ، واحد في ملكه ، تنزه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك . هذا من جهة إدراكنا ، وأما من جهة ما [هي] ^(٧) عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك ، بل يُسَلَّمُ عليه إلى الله تعالى فتحذف .

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل « هاء » التنبيه في النداء ، في ثلاثة أحرف :

(٢) سورة البقرة ٢٥١

(٤) سورة المائدة ٧٣

(٦) سورة المائدة ٧٣

(١) سورة البقرة ٢٥٠

(٣) سورة الإسراء ٩٤

(٥) ت : « فثبت »

(٧) تكملة من ت .

﴿يُثَبِّتُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) ، و﴿أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾^(٢) ، و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٣) ، والباقي^(٤) يثبت الألف ، والسرفى سقوطها في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها ، وتنبيه على الاختصار والاقتصاد من حاتم والرجوع إلى ما ينبغي .

وقوله^(٥) : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٦) يدل على أنهم كل المؤمنين ، على العموم والاستغراق فيهم . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٧) وقول فرعون : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾^(٨) يدل على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ ، فإقامة الوصف مقام^(٩) الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية ، فإنها تقتضى جميع الصفات الملكوية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله في بيان النعم ليشكروا ، وبيان النقم ليحذروا .

وكذلك حذفت الألف الآتية لمد الصوت بالنداء ، مثل ﴿يَقُومُ﴾ ، ﴿يَعْبَادُ﴾ لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين ؛ وذلك أمر باطن ليس بصفة محسوسة في الوجود . قال أبو عمرو : كل ما في القرآن من ذكر «آيتنا» فبغير الألف ، إلا في موضعين : في ﴿بَايَاتِنَا﴾^(١٠) ، و﴿آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾^(١١) .

(١) سورة النور ٣١ ؛ وفي ت الآية « في الآيات الثلاث » ، تحريف .

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٤) ت : « والثاني » ، تحريف .

(٥) سورة النور ٣١

(٦) ت : « بقوله » ، تحريف

(٧) سورة الشعراء ٤٩

(٨) سورة الشعراء ٣٤

(٩) سورة البقرة ٣٩

(١٠) سورة الرحمن ٣١

(١١) سورة يونس ١٥

وكل ما فيه من ذكر « أيها » ، فبالألف ، إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف : في النور : ﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاجِرُ ﴾ ^(٢) ، وفي الرحمن : ﴿ آيَةُ الثَّقَلَانِ ﴾ ^(٣) .

وكل ما فيه من « ساحر » فبغير الألف إلا في واحد ؛ في الذاريات : ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ ^(٤) .

[القسم الثاني : حذف الواو]

الثاني حذف الواو اكتفاء بالضة قصدا للتخفيف ، فإذا اجتمع واوان والضم ، فتحذف الواو التي ليست عمدة ، وتبقى العمدة ، سواء كانت الكلمة فعلا ، مثل : ﴿ لِيَسْؤَدُوا وَجُوهَكُمْ ﴾ ^(٥) ، أو صفة مثل « الموءدة » ، و « لَيُؤْس » ، و « الفأون » ؛ أو اسما ، مثل « داود » إلا أن ينوى كل واحد منهما فتثنيان جميعا ، مثل « تبوءوا » فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام ، فنويت في الكلمة ، والواو الثانية ضمير الفاعل ، فتثنتا جميعا .

وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبيهها على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود :

أولها : ﴿ سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ ^(٦) ، فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ،

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة الذاريات ٣٩

(١) سورة النور ٣١

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٥) سورة الإسراء ٧

(٦) سورة الطلق ٨

وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ^(١) .

وثانيها : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٢) ، حذفت منه « الواو » علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ^(٣) ، وليس ﴿ يَمْنَحُ ﴾ معطوفاً على ﴿ يَخْتِمُ ﴾ ^(٤) الذى قبله ، لأنه ظهر مع ﴿ يَمْنَحُ ﴾ الفاعل ، وعطف على الفعل ما بعده ، وهو : ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقُّ ﴾ ^(٥) .

قلت : إن قيل : لم رُسِم الواو فى : ﴿ يَمْنَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِي ﴾ ^(٦) ، وحذفت فى : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٧) ؟

قلت : لأن الإثبات الأصل ، وإنما حذفت فى الثانية لأن قبله مجزوم ، وإن لم يكن معطوفاً عليه ، لأنه قد عطف عليه ﴿ وَيُحِقُّ ﴾ ، وليس مقيداً بشرط ، ولكن قد يحى بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقرب من عطف الجوار فى النحو ، والله أعلم .

وثالثها : ﴿ وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ ^(٨) ، حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه ، كما يعمل فى الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير .
ورابعها : ﴿ يَوْمَ يَذَعُ الدَّاعِ ﴾ ^(٩) حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

[القسم الثالث : حذف الياء]

الثالث : حذف الياء اكتفاء بالكسرة ، نحو « فارهبون » ، « فاعبدون » .

(٢) سورة الشورى ٢٤

(٤) سورة الرعد ٣٩

(١) سورة القمر ٥٠

(٣) سورة الإسراء ٨١

(٥) سورة الإسراء ١١

(٦) سورة القمر ٦

قال أبو العباس : الياء الناقصة في الخط ضربان : ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة ، وضرب محذوف فيهما .

فالأول هو باعتبار ملكوتي باطن ، وينقسم قسمين :
ما هو ضمير التكلم ، وما هو لام الكلمة .

فالأول إذا كانت الياء ضمير التكلم ، مثل : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ ^(١) ، ثبت [الياء] ^(٢) الأولى ، لأنه فعل ملكوتي . وكذلك ﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، حذف الياء لا اعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة ، فهو المؤتى للملكوتي من قبل الآخرة ، وفي ضمنه الجسماني للدنيا ، لأنه فاعل ، والأول ثابت .

وكذلك : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٤) ، وعلمُ هذا المسئول غيبٌ ملكوتي ، بدليل قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٤) ، فهو بخلاف قوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ^(٥) ، لأن هذا سؤالٌ عن حوادث الملك في مقام الشاهد ، كخرق السفينة ^(٦) ، وقتل الغلام ^(٧) ، وإقامة الجدار ^(٨) .

وكذلك : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ^(٩) ، فحذف الضمير في الخط .

(١) سورة القمر ١٦

(٢) سورة النمل ٣٦

(٣) من ط

(٤) سورة الكهف ٧٠

(٥) سورة هود ٤٦

(٦) سورة الكهف ٧٢ : ﴿ قَالَ أَخْرِقْنَهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا ﴾ .

(٧) سورة الكهف ٧٤ : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ .

(٨) سورة الكهف ٧٧ : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ شِئْتَ

لَا تَتَّخِذَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

(٩) سورة البقرة ١٨٦ .

دلالة على الدعاء الذى من جهة الملكوت بإخلاص الباطن .

وكذلك : ﴿ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ^(١) ، هو الاتباع العلمى فى دين الله بالجوارح المقصود بها وجهُ الله وطاعته .

وكذلك : ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ^(٢) ، ثبتت الياء فى « المقام » لاعتبار المعنى من جهة الملك ، وحذفت من « الوعيد » لاعتباره ملكوتيا ، فخاف المقام من جهة مظهر للأبصار ، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار .

وكذلك : ﴿ لَنْ أَخْرَتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٣) ، هو التأخير بالمؤاخذه ، لا التأخير الجسمى ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ لَوْلَا أَخْرَتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ^(٤) ، لأن هذا تأخير جسمى فى الدنيا الظاهرة .

وكذلك : ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ^(٥) ، سياق الكلام فى أمور محسوسة، والهداية فيه ملكوتية ، وقد هداه الله فى قصة الغار ، وهو فى العدد ﴿ ثانى اثنين ﴾ ^(٦) ، حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم ، على ما قص الله علينا فيه ، وهذه الهداية بخلاف ما قال موسى : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٧) ، فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين فى عالم الملك ، بدليل قوله : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ^(٨) .

وكذلك : ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ^(٩)

وكذلك : ﴿ وَلَا تَدْبِعَانَّ ﴾ ، هو فى طريق الهداية لا فى مسير موسى إلى ربه ؛ بدليل :

(١) سورة آل عمران ٢٠

(٢) سورة إبراهيم ١٤

(٣) سورة المنافقون ١١

(٤) سورة التوبة ٤٠

(٥) سورة الكهف ٦٣

(٦) سورة الإسراء ٦٢

(٧) سورة الكهف ٢٤

(٨) سورة القصص ٢٢

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(١) ، ولم يأمره بالمسير الحسى ، إنما أمره أن يخلفه فى قومه ويصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(٢) ، فإنه اتباع محسوس فى ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ، وهو لا أمر له إلا الحسى .

وكذلك : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(٣) حيث وقع ، لأن النكير معتبر من جهة الملكوت ، لا من جهة أثره المحسوس ، فإن أثره قد انقضى وأخبر عنه بالفعل الماضى ، والنكير اسم ثابت فى الأزمان كلها ، فيه التنبيه على أنه كما أخذ أولئك يأخذ غيرهم .

وكذلك : ﴿إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٤) خاف موسى عليه السلام أن يكذب بوه فيما جاءهم به ، وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامه لهم بالوحى ، فإنه كان على البيان ، لأنه كلم الرحمن ، فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم ، فيصير إفصاحه العالى عند فهمهم النازل عقدة عليهم فى اللسان ، يحتاج إلى ترجمان ؛ فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم ، وبه تم الحجة عليهم .

وكذلك : ﴿إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ﴾^(٥) ، هو الإرداء الأخرى الملكوتى .
وكذلك : ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾^(٦) ، ليس هو الرجم بالحجارة ، إنما هو ما يرمونه من بهتانهم .

وكذلك : ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾^(٧) ، ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(٨) ، هو الأخرى الملكوتى .

(٢) سورة طه ٩٠

(٤) سورة الشعراء ١٢٠

(٦) سورة الدخان ٢٠

(٨) سورة إبراهيم ١٤

(١) سورة طه ٩٣

(٣) سورة الملك ١٨

(٤) سورة انفصاف ٥٦

(٧) سورة ق ١٤

وكذلك: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ مِنْ﴾ ^(١)، ﴿رَبِّي أَهَانَنِي﴾ ^(٢)، هذا الإنسان يعتبر منزلته عند الله في الملكوت بما يبتليه في الدنيا، وهذا من الإنسان خطأ، لأن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، لقيام حجته على خلقه.

والقسم الثاني من الضرب ^(٣) الأول؛ إذا كانت الباء لام الكلمة، سواء كانت في الاسم أو الفعل، نحو: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ^(٤)، حذفت تنبيها على المحلص لله، الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة، لا في الدنيا.

وكذلك: ﴿الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُنْكَرُ﴾ ^(٥)، هو داعٍ ملكوتي من عالم الآخرة. وكذلك: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ^(٦) هو إتيان ملكوتي أخروي آخره متصل بما وراءه من الغيب.

وكذلك ﴿المُهْتَدِ﴾ ^(٧).

وكذلك: ﴿وَالْبَادِ﴾ ^(٨)، حذف لأنه على غير حال الحاضر الشاهد، وقد جعل الله لها سراً.

وكذلك: ﴿كَالْجَوَابِ﴾ ^(٩)، من حيث التشبيه، فإنه ملكوتي؛ إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك المسمى.

وكذلك: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ^(١٠)، و﴿التَّنَادِ﴾ ^(١١) كلاهما ملكوتي أخروي.

(٢) سورة الفجر ١٦

(٤) سورة البقرة ١٨٦

(٦) سورة هود ١٠٥

(٨) سورة الحج ٢٥

(١٠) سورة غافر ١٥

(١) سورة الفجر ١٥

(٣) ت: «الصور» تحريف

(٥) سورة القمر ٦

(٧) سورة كهف ١٧

(٩) سورة سبأ ١٣

(١١) سورة غافر ٣٢

وكذلك : ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا يَسْرٍ ﴾ ^(١) ، هو السرى الملكوتى الذى يستدلُّ عليه بآخره من جهة الاقتضاء أو بمسير النجوم .

وكذلك : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ ﴾ ^(٢) تعتبر من حيث هى آية يدلُّ ملكها على ملكوتها ، فأخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾ ^(٣) .

وكذلك حذف ياء الفعل من « يُجِئِي » إذا انفردت ، وثبتت مع الضمير ، مثل : ﴿ مَنْ يُجِئِي الْعِظَامَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ قُلْ يُجِئِيهَا ﴾ ^(٥) ، لأن حياة الباطن أظهرُ فى العلم من حياة الظاهر ، وأقوى فى الإدراك .

الضرب الثانى الذى تسقط فيه الياء فى الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبة عن باب الإدراك جملة ، واتصاله بالإسلام لله فى مقام الإحسان ، وهو قسمان : منه ضمير المتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضميرَ المتكلم فإنها إن كانت للعبد فهو الغائب ، وإن كانت للرب فالغيبية للمذكور معها ، فإن العبد هو الغائب عن الإدراك فى ذلك كله ، فهو فى هذا المقام مُسلم مؤمن بالغيب ، مكتم بالأدلة ، فيقتصر فى الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة . ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة الذات ؛ ولما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال واعتبار الآيات وضرب المثال دون التعرض لصفة الذات - كما قال : ﴿ وَيَحذَرُ كُمْ اللَّهُ نَفْسُهُ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا

(٢) سورة الشورى ٣٢

(٤) سورة يس ٧٨

(٦) سورة آل عمران ٢٨

(١) سورة الفجر ٤

(٣) سورة الشورى ٣٣

(٥) سورة يس ٧٩

لِلَّهِ الْأَمْثَالُ ﴿١﴾ - كان الحذف في خواتم الآي كثيرا؛ مثل : ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ فَارْهَبُونِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٤) ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴾ ^(٥) ، وهو كثير جدا .

وكذلك ضمير العبد ، مثل : ﴿ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ ﴾ ^(٦) غائب عن علم إرادته الرحمن ، إنما علمه بها تسليما وإيمانا برهانيا .

وكذلك قوله في العقود ^(٧) : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا النَّاسُ كَلَّى لَا يَدَلَّ عَلَى نَاسٍ بِأَعْيَانِهِمْ وَلَا مَوْصُوفِينَ بِصِفَةٍ فَهَمَّ كَلَّى ، وَلَا يَعْلَمُ الْكَلَّى ﴾ من حيث هو كَلَّى ؛ بل من حيث أثر البعض في الإدراك ، ولا يعلم الكلى ^(٨) إلا من حيث هو أثر الجزئي في الإدراك ، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة ؛ فوجب أن يكون الله أحق بذلك ، فإنه حق ، وإن لم نخط به علما ، كما أمر الله سبحانه بذلك ، ولا يُخشى غيره ، وهذا الحذف بخلاف ما جاء في البقرة : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ ^(٩) ، ضمير الجمع يعود على ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ^(١٠) من الناس ، فهم بعض لا كل ، ظهروا في الملك بالظلم ، فالخشية هنا جزئية ، فأمر سبحانه أن يُخشى من جهة ما ظهر ، كما يجب ذلك من جهة ماستر .

وكذلك حذفت الياء من : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ^(١١) و ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ ﴾ ^(١٢) فإنه خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص ، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا ، وغاب العباد كلهم عن علم ذلك ، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب ؛ لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول .

(٢) سورة البقرة ٤١ ، ٤٠ ،

(٤) سورة يس ٢٣

(٦ - ٦) ساقط من ت

(٩) سورة الزمر ١٠

(١) سورة النحل ٧٤

(٣) سورة الذاريات ٥٦ ، ٥٧

(٥) الآية ٤٤ وهي سورة المائدة

(٧) سورة البقرة ١٥٠

(٨) سورة الزمر ١٧

وهذا بخلاف قوله : ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، فإنها ثبتت ، لأنه خطاب لهم في الآخرة غير محجوبين عنه - جعلنا الله منهم - أنه منعم كريم ، وثبت حرف النداء ، فإنه أفهمهم نداءه الأخرى في موطن الدنيا ، في يوم ظهورهم بعد موتهم ، وفي محل أعمالهم ، إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخرى ، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ﴾^(٢) ثبت الضمير وحرف النداء في الخط ، فإنه دعاهم من مقام إسلامهم ، وحضرة امتثالهم إلى مقام إحسانهم ، ومثله : ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) في العنكبوت ، فإنه دعاهم من حضرتهم في مقام إيمانهم ، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم ، إلى ما لا نعلمه من الزيادة بعد الحسن .

وكذلك سقطنا في موطن الدعاء مثل : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾^(٤) حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لنقيتنا نحن عن الإدراك ، وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا . وأما قوله : ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾^(٥) فأثبت حرف النداء ؛ لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله : ﴿إِنَّ هُوَ لَآءٍ﴾^(٥) ، وأسقط حرف ضميره لمخيه عن ذاته في توجيهه في مقام الملكوت ورتبة إحسانه في إسلامه .

وكذلك في مثل : ﴿يَا قَوْمِ﴾^(٦) دلالة على أنه خارج عنهم في خطابه ، كما هو ظاهر في الإدراك ؛ وإن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود ، العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني :^(٧) إذا كانت الياء لام الكلمة في الفعل أو الاسم ؛ فإنها تسقط

(١) سورة الزخرف ٦٨ وهو غير مافي المصحف . (٢) سورة الزمر ٥٣

(٣) سورة العنكبوت ٥٦ (٤) سورة نوح ٢٨

(٥) سورة الزخرف ٨٨ (٦) سورة هود ٦٣

(٧) مما تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة .

من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن ، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً ، فيكون حذفُ الياءِ منها على ذلك ، وإن لم يكمل اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب ، مثل : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) ، هو ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(٢) وقد ابتدأ ذلك لهم في الدنيا متصلاً بالآخرة .

وكذلك : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُمَا الدِّينَ آمَنُوا ﴾ ^(٣) ؛ حذفت لأنه يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والعيبر إلى الصراط المستقيم ، برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ^(٤) . وكذلك : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْقَوْمِ ﴾ ^(٥) في الروم ، هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي التي ترقى العبد في هدايته من الأرباب ^(٦) إلى ما يدركه العيان ؛ ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان . ويدل على ذلك قوله قبلها : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغْنِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ ^(٧) الآية ، فهذا النظر من عالم الملك ^(٨) ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت ^(٩) إلى ما لا يدرك إلا إيماناً وتسليماً . وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْقَوْمِ ﴾ ^(١٠) ؛ فثبت الياء ؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ^(١١) .

وكذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُقَدِّسُ ﴾ ^(١٢) ، و﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنُ ﴾ ^(١٣) هما مبدأ التقديس واليمين

(٢) سورة الزخرف ٧١

(٤) سورة ق ٣٥

(٦) ط : « الأوثان »

(٨ - ٨) ساقط من ت

(١٠) سورة النمل ٧٩

(١٢) سورة القصص ٣٠

(١) سورة النساء ٤٦

(٣) سورة الحج ٥٤

(٥) سورة الروم ٥٣

(٧) سورة النمل ٥٠

(٩) سورة النمل ٨١

(١١) سورة طه ١٢

الذى وصفابه، فانتقل التقديس واليمن منهما إلى الجمال، ذاهبا بهما إلى مالا يحيط بعلمه إلا الله .
وكذلك : ﴿وَإِذِ النُّوحُ﴾ ^(١) هو موضع لا ابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق ،
- وهى النملة - إلى أعلاهم - وهو الهدهد والطير ، ومن ظاهر الناس وباطن الجن إلى قول
العفريت ، إلى قول الذى عنده علم من الكتاب ، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب ،
إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ ^(٢) سقطت الياء تنبيها على أنها الله
من حق إنشائها بعد أن لم تكن ، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من صفاتها .
وكذلك ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ ^(٣) حذفت الياء تنبيها على أنها تجرى من محل اتصافها
بالخناس ، إلى محل اتصافها بالكُناس ، وذلك يُفهم أنه اتصف بالخناس عن حركة
تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر ، يفهم منه وصف بالجوار فى الباطن ؛ وهذا الظاهر مبدأ
لفهمه ؛ كالنجوم الجارية داخل تحت معنى الكلمة .

فصل

[فى حذف النون]

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذى هو لام فعل ، فيحذف تنبيها على صغر مبدأ
الشيء وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد ، إلى مالا يحيط بعلمه غير الله ، مثل ﴿أَلَمْ يَكُ
نُطْفَةً﴾ ^(٤) ، حذفت النون تنبيها على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو

(٢) سورة الرجن ٢٤

(٤) سورة القيامة ٣٧

(١) سورة النمل ١٨

(٣) سورة التكوير ١٦

من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين ، ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ ^(١) ، فهو حين كان نقطة كان ناقص الكون ؛ كذلك كلُّ مرتبة ينتهى إليها كونه هى ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالوجود الدنيوى كله ناقص الكون عن كون الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ﴾ ^(٢) .

وكذلك : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ ^(٣) ، حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار ، حقيرة فى الاعتبار ، فإن إليه ترتيبها وتضاعفها . ومثله : ﴿ إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾ ^(٤) .

وكذلك : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيَكُمُ رُسُلُكُمْ ﴾ ^(٥) جاءتهم الرسل من أقرب شئ فى البيان ، الذى أقل من مبدأ فيه وهو الحس ، إلى العقل ، إلى الذكر . ورفوهم من أخفض رتبة - وهى الجهل - إلى أرفع درجة فى العلم - وهى اليقين - وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِنَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) ؛ فإن كون تلاوة الآيات قدأ كل كونه وتم . وكذلك : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا ﴾ ^(٧) هذا قد تم كونه .

وكذلك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ^(٨) ، هذا قد تم كونهم غير منفكين إلى تلك الغاية الجمولة لهم ، وهى محى البيئة .

وكذلك : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ﴾ ^(٩) ، اتقى عن إيمانهم مبدأ الارتفاع وأقله ، فاتقى أصله .

(٢) سورة النكبت ٦٤

(٤) سورة لقمان ١٦

(٦) سورة « المؤمنون » ١٠٥

(٨) سورة البينة ١

(١) سورة يس ٧٧

(٣) سورة النساء ٤٠

(٥) سورة غافر ٥٠

(٧) سورة النساء ٩٧

(٩) سورة المؤمن ٨٥ .

فصل

فما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفخيم

وذلك في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .

فالأربعة الأصول هي ﴿ الصَّلَاة ﴾ ، و ﴿ الزَّكَاة ﴾ ، و ﴿ الْحَيَاة ﴾ ، و ﴿ الرِّبَا ﴾
والأربعة الأحرف قوله في الأنعام والكهف : ﴿ بِالْفَدَاة ﴾ ^(١) ، والنور
﴿ كَيْسَكُوَّة ﴾ ^(٢) ، وفي المؤمن ﴿ النَّجْوَاة ﴾ ^(٣) ، وفي النجم ﴿ وَمَنُوَّة ﴾ ^(٤) .
فأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ ^(٦) ، ﴿ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) ،
﴿ وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ رِبَا ﴾ ^(٨) ، فالرسمُ بالألف في الكل .

والقصدُ بذلك تعظيمُ شأنِ هذه الأحرف فإن الصلاة والزكاة عمودا الإسلام ،
والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح التقوى ، ولهذا
قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ^(٩) ، إلى قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْزَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ويشتمل على أنواع الحرام ، وأنواع الخبائث ،
وضروب المفسد ؛ وهو نقيض الزكاة ؛ ولهذا قبل بينهما في قوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(١١) ، واجتنبه أصل في التصرفات المالية ؛ وإنما كتبت بالألف

(٢) سورة النور ٣٥

(٤) سورة النجم ٢٠

(٦) سورة الأنعام ١٦٢

(٨) سورة الروم ٣٩

(١٠) سورة البقرة ٢٢٩

(١) سورة الأنعام ٥٢ ، الكهف ٢٨

(٣) سورة المؤمن ٤١

(٥) سورة الأنعام ٣٥

(٧) سورة الأنعام ٢٩

(٩) سورة البقرة ٢٧٨

(١١) سورة البقرة ٢٧٦

في سورة الروم لأنه ليس العام الكلي ؛ لأن الكلي منفي في حكم الله عليه بالتحريم ، وفي نفي الكلي نفي جميع جزئياته .

فإن قلت : فلم كتب ﴿ الزكوة ﴾ هنا بالواو ؟ وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله : ﴿ وَمَا آتَيْنَا مِنْ رَبًّا ﴾ ^(١) ؟

قلت : لأن المراد بها الكلية في حكم الله ، ولذلك قال : ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ﴾ ^(٢) .

وأما كتاب ﴿ النجوة ﴾ بالواو فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَأْقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴾ ^(٣) .

وأما ﴿ الغدوة ﴾ فقاعدة الأزمان ، ومبدأ تصرف الإنسان ؛ مشتقة من الغدو .
وأما ﴿ الشكوة ﴾ فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ ^(٤) .

وأما ﴿ منوة ﴾ فقاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والإضلال وقد وصفها الله بوصفين : أحدهما يدل على تكثيرهم الإله من مثني ^(٥) ومثلث ، والثاني يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه ، تعالى الإله عما يقولون !

فصل

في مد التاء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل ، صار لها اعتباران : أحدهما من حيث هي

(٢) سورة المؤمن ٤١

(١) سورة الروم ٢٩

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى ﴾ [سورة النجم

أسماء وصفات ، وهذا ^(١) تقبض منه التاء. والثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود ، فهذا تمد فيه ؛ كما تمد في « قالت » و « حقت » . وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة ، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة .

فمن ذلك « الرحمة » مدت في سبعة مواضع للعلة المذكورة :

بدليل قوله في أحدها : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) فوضعها على التذكير ، فهو الفعل .

وكذلك : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) والأثر هو الفعل ضرورة .

والثالث : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

والرابع في هود : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾ ^(٥) .

والخامس : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ ^(٦) .

والسادس : ﴿ أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ^(٧) .

والسابع : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(٧) .

ومنه « النعمة » بالماء إلا في أحد عشر موضعا مدت بها :

في البقرة : ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٨) ، في آل عمران ^(٨) ،

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(٤) سورة البقرة ٢١٨

(٦) سورة مريم ٢

(١) ط ، م ، « وهذا »

(٣) سورة الروم ٥٠

(٥) سورة هود ٧٣

(٧) سورة الزخرف ٣٢

(٨) سورة البقرة ٢٣١ وآل عمران ١٠٣

والمائدة ^(١) . وفي إبراهيم ^(٢) موضحان . والنحل ^(٣) ثلاثة مواضع . وفي لقمان ^(٤) ، وقاطر ^(٥) ، والطور ^(٦) .

والحكمة فيها ما ذكرنا أَنَّ الحاصلة بالفعل في الوجود تُمدَّد ، نحو قوله في إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ ^(٧) بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(٧) ، فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار في تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ ^(٨) ، كتبت مقبوضة لأنها بمعنى الاسم ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٨) ، فهذه نعمة وصلت من الرب ، فهي ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك « الكلمة » مقبوضة إلا في موضع في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ ^(٩) هو ماتم لهم في الوجود الأخرى بالفعل الظاهر دليله في الملك ، وهو

(١) آية ١١ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٢) آية ٢٨ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا ... ﴾ وآية ٣٥ : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ .

(٣) آية ٧٢ : ﴿ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ، وآية ٨٣ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ ، وآية ١١٤ : ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(٤) آية ٣١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ .

(٥) آية ٣ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. ﴾ .

(٦) آية ٢٩ : ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ .

(٧) سورة النحل ١٨ .

(٨) سورة إبراهيم ٣٤ .

(٩) سورة الأعراف ١٣٧ .

الاختلاف^(١) وتعامها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل فمدت التاء .
ومنها « السُّنَّة » مقبوضة ؛ إلا في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام
الذي في الوجود :

أحدها في الأنفال : ﴿ قَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢) ويدل عليها أنها في الانتقام
قوله قبلها : ﴿ إِنْ يَنْهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٣) ، وقوله بعدها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾^(٤) .

وفي فاطر : ﴿ فَبَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ
تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٥) ، ويدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها : ﴿ وَلَا
يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٦) ، وسياق ما بعدها .

وفي المؤمن : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ ﴾^(٧) .
أما إذا كانت السنة بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تاؤها ،
كما في الأحزاب ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي حكم الله وشرعه .
[وفي الإسراء] : ﴿ سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾^(٨) .

ومنه ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾^(٩) فرد ، مدت تاؤه ؛ لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح
المحسوس ؛ لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

(١) في المفتح ٨٤ : « وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر « الكلمة » على لفظ الواحد
فهو بالهاء إلا حرفاً واحداً في الأعراف : ﴿ وَنَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ فإن مصاحف أهل
العراق انفتحت على رسمه بالياء » .

(٢) سورة الأنفال ٣٨ .

(٣) سورة الأنفال ٣٩ .

(٥) سورة المؤمن ٨٥ .

(٧) سورة هود ٨٦ .

(٤) سورة فاطر ٤٣ .

(٦) سورة الإسراء ٧٧ .

ومنه : ﴿ فِطَرَتَ اللَّهِ ﴾ ^(١) فَرَدَ ، وصفها بأنها فطر الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث ^(٢) .

ومنه : ﴿ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ ^(٣) ، فَرَدَ ، مَدَّتْ تَأَوُّهُ لَأَنَّهُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ إِذْ هُوَ خَبِرَ عَنْ مُوسَى ، وَهُوَ مُوجُودٌ حَاضِرٌ فِي الْمَلِكِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ : ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ^(٤) ، فَإِنَّهُ هُنَا بِمَعْنَى الْأَسْمِ ، وَهُوَ مُلْكُوتِي إِذْ هُوَ غَيْرُ حَاضِرٍ .

ومنه : ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ ^(٥) مَدَّتْ فِي مَوْضِعَيْنِ فِي سُورَةِ الْمَجَادِلَةِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْفِعْلَ ، وَالتَّقْدِيرَ : وَلَا تَتَنَاجَوْا بِأَنْ تَعْمُوا الرَّسُولَ ، وَنَفْسُ هَذَا النَّجْوَى الْوَاقِعُ مِنْهُمْ فِي الْوُجُودِ هُوَ فِعْلُ مَعْصِيَةِ لَوْ قُوعِ النَّهْيِ عَنْهُ .

ومنه « اللَّعْنَةُ » مَدَّتْ فِي مَوْضِعَيْنِ : فِي آيَةِ الْمُبَاهَلَةِ ^(٦) ، وَفِي آيَةِ اللَّعَانِ ^(٧) . وَكُوهُمَا بِمَعْنَى الْفِعْلِ ظَاهِرٌ .

ومنه « الشَّجَرَةُ » فِي مَوْضِعٍ : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴾ ^(٨) ، لِأَنَّهَا بِمَعْنَى الْفِعْلِ اللَّازِمِ وَهُوَ تَرْقُمُهَا بِالْأَكْلِ ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي الْبُطُونِ ﴾ ^(٨) ، فَهَذِهِ صِفَةُ فِعْلِ كَمَا فِي الْوَاقِعَةِ : ﴿ لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ﴾ ^(٩) ، وَهَذَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ تَزُولَا

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) تامله : « ... حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ، نقله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ١٥٨ ، ورواه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) سورة الفرقان ٧٤

(٤) سورة القصص ٩

(٥) سورة المجادلة ٨ ، ٩

(٦) في سورة آل عمران ٦١ : ﴿ ثُمَّ نَبْهَلُ فَنَجْعَلُ أَعْيُنَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

(٧) في سورة النور ٧ : ﴿ وَأَخْلَاصَةٌ أَنْ أَعْنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

(٨) سورة الواقعة ٥٢ .

(٩) سورة الدخان ٤٣

أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ^(١) ، فَإِنْ هَذِهِ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا : ﴿فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) ، وَأَنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ^(٣) فهو حلية للاسم ، فلذلك قبضت تأوُّها .

ومنه « الجنة » مدت في موضع واحد ، في الواقعة : ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ^(٤) لكونها بمعنى فعل التمتع بالنعيم ، بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنة ، فهذه جنة خاصة بالنعم بها . وأما ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ^(٥) و﴿أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ^(٦) ؛ فَإِنْ هَذَا بِمَعْنَى الْأَسْمِ الْكُلِّي .

ولم تمد ﴿تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ ^(٧) لأنها اسم ما يفعل بالكذب في الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ؛ فالؤمن يعلمه تصديقا ، ولا يحذف لفعل أبدا ، والضابط لذلك : أَنْ مَا كَانَ بِمَعْنَى الْأَسْمِ لَمْ تَمْدْ تَأْوُهُ ، مِثْلُ : ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٨) و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ^(٩) و﴿زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ ^(١٠) ، و﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ ^(١١) ، و﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ^(١٢) ، و﴿حَالَةَ الْحَطَبِ﴾ ^(١٣)

ومنه : ﴿وَمَرْيَمُ ابْنْتِ عِمْرَانَ﴾ ^(١٤) مدت التاء تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة ، ولم يُصَفْ في القرآن ولدٌ إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام ، لما اعتقد النصارى فيهما أنهما إلهان ، فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوثهما بعد علمهما ؛ حتى أخبر تعالى في موطنٍ بصفة

(٢) سورة الصافات ٦٣ ، ٦٤ .

(٤) سورة الشعراء ٨٥

(٦) سورة الواقعة ٩٤

(٨) سورة البقرة ١٣٨

(١٠) سورة التحريم ٢

(١٢) سورة المد ٤

(١) سورة الصافات ٦٢

(٣) سورة الواقعة ٨٩

(٥) سورة المعارج ٣٨

(٧) سورة طه ٣١

(٩) سورة الحج ١

(١١) سورة قريش ١

(١٣) سورة التحريم ١٢ .

الإضافة دون الموصوف وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ^(١) لَمَّا غَلَا فِي إِلَاهِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ أُمِّهِ ، كَمَا نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى حَاجَتِهِمَا وَتَغَيَّرِ أَحْوَالُهُمَا فِي الْوُجُودِ ، يَلْحَقُهُمَا مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ^(٢) .

ومنه « امرأة » هي في سبعة مواضع ؛ وهي خمس من النساء : « أمراء عمران » ^(٣) ، و « أمراء فرعون » ^(٤) ، و « أمراء نوح » ^(٥) ، و « أمراء لوط » ^(٥) ، و « أمراء العزيز » ^(٣) ، كلها ممدودة تنبيها على فعل التبَّعُل والصَّحْبَةِ وشدة المواصلة والمخالطة والاتِّلاَف في الوجود والمحسوس . وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن . وواحدة خاصة واصلت بعلمها باطنها وظاهرها ، وهي أمراء عمران ، فجعل الله لها ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ، وأكرمها بذلك وَفَضَّلَهَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعولتها طاعة لله ، وتوكلًا عليه وخوفًا منه ، فنجَّاهَا وَأَكْرَمَهَا ، وهي أمراء فرعون . واثنان منهن انفصلتا عن أزواجهما كَفَرًا بِاللَّهِ فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ وَدَمَرَهُمَا ، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة ؛ مع أنها أقربُ وصلة بأفضل أحبَّابِ اللَّهِ . كما لم نضر أمراء فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث عبيدِ اللَّهِ . وواحدة انفصلت عن بعولها بِالْبَاطِنِ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكُّنِهَا مِنَ الدُّنْيَا واستيلائِهَا عَلَى مَنْ مَالَتْ إِلَيْهِ بِحُبِّهَا وَهُوَ فِي بَيْتِهَا وَقَبْضَتِهَا ، فلم يغنِ ذلك عنها شيئًا . وقوتُهَا وَعِزَّتُهَا إِنَّمَا كَانَا لَهَا مِنْ بَعُولِهَا « العزيز » ، ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كَيْدِهَا . كما لم يضرَّ يوسُفَ مَا امْتَنَحَنَ بِهِ مِنْهَا ، وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ السِّجْنِ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَذَلِكَ بِطَاعَتِهِ لِرَبِّهِ . وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا شَقَاوَةَ إِلَّا بِمَعْصِيَتِهِ ؛ فَهَذِهِ كُلُّهَا عِبَرٌ وَقَعَتْ بِالْفِعْلِ فِي الْوُجُودِ ، فِي شَأْنِ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ ، فَلِذَلِكَ مُدَّتْ تَاءُ اتِّهْنٍ .

(٢) سورة المائدة ٧٥

(٤) سورة القصص ٩ والنحر ١١

(١) سورة المؤمنون ٥٠

(٣) سورة آل عمران ٣٥

(٥) سورة التحريم ١٠

فصل

في الفصل والوصل

اعلم أن الموصول في الوجود تُوصل كلمته ^(١) في الخط ؛ كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معني في الوجود يُفصل في الخط ؛ كما تفصل كلمة عن كلمة .
فنه « إنما » بالكسر ، كله موصول إلا واحدا ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ ^(٢) ، لأن حرف « ما » هنا وقع على مفصل ^(٣) ، فنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ؛ فمعنى « ما » مفصول في الوجود والعلم .

ومنه « إنما » بالفتح كله موصول إلا حرفان : ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ ^(٥) ، وقع الفصل عن حرف التوكيد ؛ إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود ؛ إنما وصلها في العدم والنفي ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن : ﴿ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ ^(٦) ، فوصل « إنما » في النفي ، وفصل في الإثبات ، لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « كلما » موصول كله إلا ثلاثة :

(١) ت ، ط : « كلمته » (٢) سورة الأنعام ١٣٤

(٣) كذا في ط ، ت ، وفي م : « مفصل » . (٤) سورة الحج ٦٢

(٥) سورة لقمان ٣٠ (٦) سورة غافر ٤٣

في النساء : ﴿ كُلِّمَ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ ^(١) فما رُدُّوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ؛ بل أنواع مختلفة في الوجود ، وصفة مردم ليست ^(٢) واحدة بل متنوعة ، فانفصل « ما » لأنه لمعوم شئ مفصل في الوجود .

وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَأَنَّا كُنْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ^(٣) ، بحرف « ما » واقع ^(٤) على أنواع مفصلة في الوجود .

وفي قد أفلح : ﴿ كُلِّمَ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ ^(٥) ، والأمة مختلفة في الوجود ، بحرف « ما » وقع على تفاصيل موجودة انفصل .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ كُلِّمَ مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ ^(٦) ؛ فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة ؛ بدليل قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ ^(٧) والمحاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشره آباؤهم ؛ لكن مذهبهم في ذلك واحد ، بحرف « ما » إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض والتوهم ، لا بالحس ، فوصلت « كل » لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهم .

وكذلك : ﴿ كُلِّمَ رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ ^(٨) ، هذا موصول ؛ لأن حرف « ما » جاء لتعميم الأزمنة ، فلا تفصيل فيها في الوجود ، وما رزقوا هو غير مختلف ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَنبِئُوا بِرِ مَنَاسِكِهَا ﴾ .

(٢) ت : « ليس »

(٤) ت : « واقع »

(٦) سورة المائدة ٧٠

(٨) سورة البقرة ٢٥ .

(١) آية ٩١

(٣) المؤمنون آية ٣٤

(٥) آية ٤٤

(٧) سورة البقرة ٩١

ومنه «أينما» موصول إذا كانت «ما» غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها؛ مثل :
 ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْ﴾ ^(١) . ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ ^(٢) . ﴿أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخِذُوا﴾ ^(٣) . ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا
 يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ﴾ ^(٤) ؛ فهذه كلها لم تخرج عن «الآين» الملكتي ، وهو متصل حتماً ،
 ولم يختلف فيه الفعل الذي مع «ما» . وتفصل «أين» حيث تكون «ما» مختلفة الأقسام في
 الوصف الذي بعدها ، مثل : ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ^(٥) . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ^(٦) .
 ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ ^(٧) .

ومنه «بئسما» موصول ، إلا ثلاثة أحرف : اثنان في البقرة : ﴿بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ﴾ ^(٨) . ﴿بِئْسَ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾ ^(٩) ، وفي الأعراف : ﴿بِئْسَ
 مَا خَلَقْتُمُونِي﴾ ^(١٠) .

نحرف «ما» ليس فيه تفصيل ، لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً
 مذموماً ؛ على خلاف حال «ما» في المائدة : ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي
 الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ^(١١) ، فحرف «ما» يشتمل
 على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل . وكذلك : ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ ^(١٢)
 حرف «ما» مفصول ؛ لأنه يشمل ما بعده من الأقسام .

(٢) سورة البقرة ١١٥

(٤) سورة النساء ٧٨

(٦) سورة الحديد ٤

(٨) سورة البقرة ٩٠ ، ٩٣

(٩) سورة الأعراف ١٥٠ ، وفي الصحف التي بين أيدينا متصلة .

(١١) سورة المائدة ٨٠

(١) سورة النحل ٧٦

(٣) سورة الأحزاب ٦١

(٥) سورة الشعراء ٩٢

(٧) سورة آل عمران ١٠

(١٠) سورة المائدة ٦٢

ومنه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ^(١) . ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ ^(٢) ، حرفان ، فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ ، وأضيف « اليوم » إلى الجملة المنفصلة عنه .

و﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ^(٣) و﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ^(٤) ، وصل الضمير لأنه مفرد ؛ فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

ومنه « في ما » مفصول أحد عشر حرفا :

في البقرة : ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ ^(٥) ، وذلك لأن « ما » يقع على فرد واحد [من] ^(٦) أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود [و] ^(٧) على البدلية أو الجمع ؛ يدل على ذلك تنكيره « المعروف » ودخول حرف التبويض عليه ؛ فهو حَسَى يُقَسَّم ، وحرف « ما » وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع ؛ وأما قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٨) فهذا موصول لأن « ما » واقعة على شيء واحد غير مفصل ، يدل ذلك عليه وصفه بالمعروف .

وكذلك : ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ^(٩) ، وهو مفصول ؛ لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة في الوجود . وكذلك فتدبره في سائرهما .

ومنه : ﴿لِكَيْلَا﴾ موصول في ثلاثة مواضع ؛ وباقيها منفصل ؛ وإِنَّمَا يُوصَل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلى فيوصل ؛ لأن نفي الكلى نفي لجميع جزئياته ، فإلّا ففيه هي علة نفي أجزائه ؛ وليس للكلى المنفى أفراد في الوجود ، وإِنَّمَا

(٢) سورة غافر ١٦ .

(٤) سورة الزخرف ٨٣ .

(٦) من ت ، ط .

(٨) سورة الأنبياء ١٠٢ .

(١) سورة الذاريات ١٣

(٣) سورة الطور ٤٥

(٥) سورة البقرة ٢٤٠

(٧) سورة البقرة ٢٣٤

ذلك فيه بالتوهم ، ويفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئى ؛ فإن نفى الجزئى لا يلزم منه نفى الكلى ؛ فلا تكون علتة نفى الجمع :

﴿ اِكْتِيْلَا يَعْْلَمَنَّ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ^(١) فى الحج . وفى الأحزاب : ﴿ اِكْتِيْلَا يَكُوْنُ عَلَيْكَ حَرْجٌ ﴾ ^(٢) . وفى الحديد : ﴿ اِكْتِيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ ^(٣) .

فهذه هى الموصولة ، وهى بخلاف : ﴿ لِكِنِّي لَا يَعْْلَمَنَّ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ^(٤) فى النحل ؛ لأن الطرف فى هذا خاص الاعتبار ؛ وهو فى الأول عام الاعتبار لدخول « من » عليه ؛ وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ ^(٥) ، اختص المظروف بقبل فى الدنيا ، ففيها كانوا مشفقين خاصة . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٦) ، فهذا الطرف عام لدعائهم بذلك فى الدنيا والآخرة فلم يختص المظروف بقبل بالدنيا .

وكذلك : ﴿ لِكِنِّي لَا يَكُوْنُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أُدْعِيَانَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ ^(٧) فهذا النفى هو حرج مقيد بظرفين .

وكذلك : ﴿ كِنِّي لَا يَكُوْنُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٨) ، فهذا النفى هو كون : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ^(٨) دولة بين الأغنياء من المؤمنين ، وهذه قيود كثيرة .

ومن ذلك « هم » ونحوه من الضمائر تدل على جملة المسمى من غير تفصيل ، والإضمار حال لا صفة وجود ، فلا يلزمها التقسيم الوجودى إلا الوهمى الشعرى والخطأ بما يرسم على العلم الحق .

ومن ذلك « مَالٍ » أربعة أحرف مفصولة ؛ وذلك أن اللام وصلة إضافية ، فقطعت حيث تقطع الإضافة فى الوجود :

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) سورة الحج ٥ | (٢) سورة الأحزاب ٥٠ |
| (٣) سورة الحديد ٢٣ | (٤) سورة النحل ٧٠ |
| (٥) سورة الطور ٢٦ | (٦) سورة الطور ٢٨ |
| (٧) سورة الأحزاب ٣٧ | (٨) سورة الحشر ٧٧ |

فأولها في سورة النساء : ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾ ^(١) ، هذه الإشارة للفريق الذين ناقضوا من القوم الذين قيل لهم : ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٢) فقطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما ، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل ؛ فقطع لأم وصلهم في الخطأ علامة ذلك . وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين ؛ وذلك في يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ^(٤) .

والثاني في سورة الكهف : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً ﴾ ^(٥) ؛ وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جعل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب ، وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله ، فلذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة ؛ ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف .

والثالث في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ ^(٦) فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام فأنكروا فقطعوا قولهم هذا ليزول عن اعتقادهم أنه رسول ، فقطع اللام علامة لذلك .

والرابع في المعارج : ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِينَ ﴾ ^(٧) ، هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات ، كما يدل عليه ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ ^(٧) ، قطعوا وصلهم في قلوبهم بحمد صلى الله عليه وسلم ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة ؛ ولذلك قطعت اللام علامة ^(٨) عليه .

(٢) سورة النساء ٧٧ .

(٤) سورة الحديد ١٣ .

(٦) آية ٧

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ت .

(١) سورة النساء ٧٨

(٣) سورة النساء ٧٨

(٥) آية ٤٩

(٧) آية ٣٦ ، ٣٧

ومن ذلك: ﴿ابْنَ أُمٍّ﴾ في الأعراف^(١) مفصول، على الأصل، وفي طه^(٢) ﴿ابْنُؤُمَّ﴾ موصول لسرّ لطيف؛ وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب^(٣) على الأصل الظاهر في الوجود، ولما تبادى ناداه بحرف النداء، ينتبه لبعده عنه في الحال، لا في المكان، مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط؛ فلذلك وصل في الخط، ويدل عليه نصب «الميم» ليجمعهما الاسم بالتعميم.

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها، وهي: الألف، والواو، والدال، والذال، والراء، والزاي؛ لأنها علامات لانفصالات ونهايات، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة.

فصل

في بعض حروف الإدغام

فته: ﴿عَنْ مَأْهُوَا عَنْهُ﴾^(٤)، فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل، لأن معنى «ما» عموم كلى تحته أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النهي عنها، ومعنى «عن» المجاوزة، والمجاوزة للكلى مجاوزة لكل واحد من جزئياته، ففصل علامة لذلك.

(١) سورة الأعراف ١٥٠: ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّوْنِي﴾.

(٢) سورة طه ٩٤: ﴿قَالَ يَا بَنُؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

(٣) كذا في ط، م. وفي ت: «قريب».

(٤) سورة الأعراف ١٦٦.

وكذلك : ﴿ مِنْ مَّآ ﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لاغير :

في النساء :- ﴿ مِنْ مَّآ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ^(١) . وفي الروم : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّآ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ^(٢) . وفي المنافقين : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّآ رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ^(٣) .

وحرف « ما » في هذه كلها مقسم في الوجود بأقسام ^(٤) منفصلة غير متساوية في الأحكام ، وهي بخلاف قوله : ﴿ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٥) ؛ فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم ؛ فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراده بالسوية .

وكذلك : « أَمْ مَنْ » بالفصل ، أربعة أحرف لاغير :

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ^(٦) . وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ ^(٧) . وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ ^(٨) . وفي السجدة : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي ﴾ ^(٩) .

فهذه الأربعة الأحرف « مَنْ » فيها تقسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها ، مثل : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي ﴾ ^(١٠) ، فهذا موصول ؛ لأنه من نوع واحد حيث يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وكذا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ ^(١١) ؛ لا تفاصيل تحتها في الوجود .

- (٢) سورة الروم ٢٨
(٤) ت : « بأنواع »
(٦) سورة النساء ١٠٩
(٨) سورة الصافات ٣
(١٠) سورة الملك ٢٢

- (١) سورة النساء ٢٥
(٣) سورة المنافقون ١٠
(٥) سورة البقرة ٧٩ .
(٧) سورة التوبة ١٠٩
(٩) سورة فصلت ٤٠
(١١) سورة النمل ٦١ .

وكذلك : ﴿ عَنْ مَنْ ﴾ مفصول :

حرفان في النور : ﴿ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(١) ، وفي النجم : ﴿ عَنْ مَنْ تَوَلَّى ﴾ ^(٢) ، حرف « مَنْ » فيهما كلي وحرف « عَنْ » للمجاورة ، والمجاورة عن الكلّي مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس ؛ فلا وصلة بين الجزأين ^(٣) في الوجود فلا يوصلان في الخط .

وكذلك « مَنْ » موصول ^(٤) كله لأن « مَنْ » بفتح الميم جزئى بالنسبة إلى « ما » ، فمعناه « أزيد » من جهة المفهوم ، ومعنى « ما » أزيد من جهة العموم ، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجودا بالخصص ، والخصّة منه لا تنفصل ، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجودا .

وكذلك : ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ ^(٥) في سورة الرعد ، فردة مفصولة ، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين : أحدهما أن الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا ، وهو البلاغ ^(٦) ؛ بخلاف قوله : ﴿ فَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ ﴾ ^(٧) فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط لأن الجواب المرتب عليه بالفاء خفيّ عنا ، وهو الرجوع ^(٨) إلى الله . والثاني أن القصة الأولى منفصلة من الشرط وجوابه ، وانقسم ^(٩) الجواب إلى جزأين : أحدهما الترتيب بالفاء وهو البلاغ ، والثاني المعطوف عليه وهو الحساب . وأحدهما في الدنيا ، والآخر في الآخرة . والأول ظاهر لنا ، والثاني خفيّ عنا .

وهذا الانقسام صحيح في الوجود ، فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين ، لانفصال

(١) سورة النور ٤٣

(٢) سورة النجم ٢٩

(٣) ت : « الحرفين » .

(٤) م : « متصل »

(٥) سورة الرعد ٤٠

(٦) من بقية الآية : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ .

(٧) سورة غافر ٧٧

(٨) ت : « والقسم » تعريف .

(٩) من بقية الآية : ﴿ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ ﴾ .

جوابها إلى قسمين متغايرين ، ففصل حرف الشرط علامة لذلك ، وإذا انفصلت لزم كُتبه على الوقف ، والشرطية الأخرى لا تنفصل ، بل هي واحدة لا يجاد جوابها ، فانفصال^(١) حرف الشرط علامة لذلك .

وكذلك : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾^(٢) فرد في القصص ثابت النون ، وفي هود : ﴿ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾^(٣) فرد بغير نون ؛ أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو ﴿ فَأَعْلَمُ ﴾^(٤) متعلق بشيء ملكوتي ظاهر ، سفل ؛ وهو اتباعهم أهواءهم^(٥) ، وأخفى في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفي ، علوي وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد^(٦) .

ومن ذلك : « أن لن » كله مفصول إلا حرفان : ﴿ أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾^(٧) في الكهف : ﴿ أَلَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾^(٨) في القيامة سقطت النون منهما في الخط تنبيها على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بعلوم نسبوه إلى الحى القيوم ، فأدغم حرف توكيدهم الكاذب في حرف النفي السالب هو ، بخلاف قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾^(٩) ، فهؤلاء لم ينسبوا ذلك لفاعل ؛ إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله ، وأقيموا فيه مقام الفاعل ، فمدّم بعنهم تصوّروه من أنفسهم ، وحكموا به عليها توهمها ، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة ، ولكونه حقا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهرا وأدغم في حرف النفي من حيث الفعل المستقبل الذى هو فيه كاذب .

(١) ت : « فصل » .

(٢) سورة القصص ٥٠

(٣) سورة هود ١٤

(٤) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

(٥) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

(٦) سورة القيامة ٣

(٧) سورة الكهف ٤٨

(٨) سورة التناين ٧

ومن ذلك كل ما في القرآن « أ ن لا » فهو موصول إلا عشرة مواضع فهي مفصلة ، تكتب النون فيها باتفاق ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة توكيد القضية ولزومها :

أولها في الأعراف : ﴿ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ ^(١) ، و ﴿ وَأَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ ^(١) .

و ﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) في التوبة .

﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٣) ، و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ خَافُ ﴾ ^(٣) في هود .

و ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ ^(٤) في الحج .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٥) في يس .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ في الدخان ^(٦) .

و ﴿ أَنْ لَا يُبَشِّرَ كُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ ^(٧) في المتحنة .

و ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا ﴾ ^(٨) في القلم .

وواحد فيه خلاف ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ ^(٩) في الأنبياء .

فتأمل كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير ، فلم يدخلها عليهم مسكين على غير ما قصدوا وتحيلوا فيه .

(٢) سورة التوبة ١١٨ .

(٤) سورة الحج ٢٦ .

(٦) سورة الدخان ١٩ .

(١) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩ .

(٣) سورة هود ١٤ ، ٢٦ .

(٥) سورة يس ٦٠ .

(٧) سورة المتحنة ١٢ .

(٨) سورة القلم ٢٤ والآية بتمامها : ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ .

(٩) سورة الأنبياء ٨٧ .

وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف -
 وشأنُ المعرّف أن يكون أبيضَ وأظهر ، لا أخفى وأستر - ظهرت ^(١) في الخط ، ووصلت
 بالكلمة ؛ لأنها صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف
 حيث يخفى معنى الكلمة مثل « الليل » فإنه ؛ بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها
 ويخفيها ، وكونه واحدا إما للجزئى أو للجنس فأخفى حرف تعريفه في مثله ، فإن تعين
 للجزئى بالتأنيث رُجع إلى الأصل . ومثل « الذى » و « التى » وتثنيتهما وجمعهما ؛ فإنه
 مُبهم في المعنى والسكْم ؛ لأن أول حده للجزئى وللجنس وكثيره للثلاث أو غيرها ؛ ففيه ظلمة
 الجمل كالليل . ومثل « الئى » ^(٢) في الإيجاب ، فإن لام التعريف دخلت على « لا » النافية
 وفيها ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يُخفى حرف التعريف .

وكذلك « الأيكة » نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل
 لتحريك اللام ، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت
 « آيكة » علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ؛ وذلك في حرفين : أحدهما في
 الشعراء ^(٣) جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة ؛ فهي آخر قصة
 في السورة بدليل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ^(٤) فأفرداها ، والثانى في ص ^(٥) ، جمع الأمم
 فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها ، ووصف الجملة ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ
 الْأَحْزَابُ ﴾ ، وليس الأحزاب وصفا لكل منهم ؛ بل هو وصفُ جميعهم .

(١) ط : « أظهرت » ، بالبناء للمجهول .

(٢) في الأصول : « إلا » ؛ وانظر المقنع ٧٢ .

(٣) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

(٤) سورة الشعراء ١٩٠ .

(٥) سورة ص ١٣ : ﴿ وَنَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين : أحدهما في الحبر : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَّالِمِينَ﴾ ^(١) أفردهم بالذكر والوصف . والثاني في ق : ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ ^(٢) ، جُمِعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كلٍّ منهم لاعلى الجملة ، قال تعالى : ﴿كُلُّ كَذَّابٍ رَاسِلٌ﴾ ^(٣) ، فحيث يعتبر فيهم التفضيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصل وصل للتخفيف .

وكذلك : ﴿لَتَتَّخِذَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ^(٤) ، حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فلزم عليه الأجر ، واتصل به حكماً ، بخلاف : ﴿لَا تَتَّخِذْ وَلَكَ خَلِيلًا﴾ ^(٥) ليس فيه وصلة الزوم .

فصل

في حروف متقاربة تختلف في اللفظ

لاختلاف المعنى

مثل : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ^(٦) ، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ ^(٧) .
﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ^(٨) ، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ ^(٩) ، فبالسين السعة ^(١٠) الجزئية كذلك علة التقيد ، وبالصاد السعة ^(١١) الكلية ؛ بدليل علو معنى

(٢) سورة ق ١٤

(٤) سورة الإسراء ٧٣

(٦) سورة الأعراف ٦٩

(٨) سورة البقرة ٢٤٥

(١) سورة الحجر ٧٨

(٣) سورة الكهف ٧٧

(٥) سورة البقرة ٢٤٧

(٧) سورة الرعد ٢٦

(٩) في الأصول : « السعة » ، تحريف .

الإطلاق ، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق .

وكذلك : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾ ^(٢) .

﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَتَفِيخَ فِي الصُّورِ ﴾ ^(٤) ، فبالسين ما يحصر الشيء خارجا عنه ، وبالصاد ما تضمنه منه .

وكذلك : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ ^(٦) ، فبالسين من السر ، وبالصاد من التماهى .

وكذلك : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ ﴾ ^(٧) و ﴿ مِنَّا يُضْحَبُونَ ﴾ ^(٨) ، فبالسين من الجر ، وبالصاد من الصحبة .

وكذلك : ﴿ نَخْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٩) و ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ ^(١٠) ، بالسين تفريق الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام .

وكذلك : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(١١) ، بالصاد منعمة بما تشهيه الأنفس ، وبالظاء منعمة بما تلذ الأعين . وهذا الباب كثير ، يكفي فيه اليسير .

فصل

[في كتابة فوائح السور]

كتبوا « آلم » و « آلمر » و « آلمر » موصولا .

- (٢) سورة الاقطار ٨
- (٤) سورة يس ٥١
- (٦) سورة الواقعة ٤٦
- (٨) سورة الأنبياء ٤٣
- (١٠) سورة الأنبياء ١١

- (١) سورة البقرة ٢٣
- (٣) سورة الحديد ١٣
- (٥) سورة هود ٥ ، ٢٠
- (٧) سورة القمر ٣٨
- (٩) سورة الزخرف ٣٢
- (١١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

إن قيل : لم وصلوه والمجاء مقطع لا ينبغي وصله ؛ لأنه لو قيل لك : ما هجاء « زيد » ؟
قلت : زاي ، ياء ، دال ، وتكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته ؟
قيل : إنما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسم معروف ؛ وإنما هي حروف اجتمعت ، يراد
بكل حرف فيها معنى .

فإن قيل : لم قطعوا « حم عسق » ولم يقطعوا « آمس » ، و « كهيمص » ؟
قيل : « حم » قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور ، فقطعت
مما قبلها .

وجوزوا في : ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ ﴾ و ﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ﴾ وجهين : من جزمهما فهما حرفان ،
ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظهما .

النوع السادس والعشرون معرفة فضائله

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، والنسائي وغيرهم . وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفي بعض السور بالتعيين . وأما حديث أبي بن كعب رضى الله عنه في فضيلة سورة سورة ، فحديث موضوع .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم .

قلت : وكذلك الثعلبي ، لكنهم ذكروه بإسناد ، فاللوم عليهم يقل بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزنجشري فإن خطاه أشد .

وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقاه أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة . ثم قد جرت عادة المفسرين ممن ذكر الفضائل أن يذكروها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزنجشري فإنه يذكروها في أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرماني : سألت الزنجشري عن العلة في ذلك فقال : لأنها صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف .

وقد روى البخارى رحمه الله حديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وروى أصحاب السنن في حديث إلهي : « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل

ما أُعْطِيَ السَّائِلِينَ . و « فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ » . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ » قَالَ أَبُو النَّضْرِ : يَعْنِي الْقُرْآنَ . وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » . وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(١) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إِنْ اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ » . وَقَدَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَتْلِ أَحَدٍ فِي الْقَبْرِ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا .

(١) فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسْفِرِينَ وَقَصْرَ مَا ١ : ٥٥٩ .

النوع السابع والعشرون معرفة خواصه

وقد صنف فيه جماعة منهم التيمي، وأبو حامد الغزالي. قال بعضهم: وهذه الحروف التي في أوائل السور جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

وذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع، فيحفظ.

وأخبر رجل من أهل الموصل قال: كان الكيا المراسي^(٢) الإمام رحمه الله إذا ركب في رحلة يقول هذه الحروف التي في أوائل السور، فسئل عن ذلك فقال: ما جُعل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا لحفظ تاليها وماله، وأمين في نفسه من التآلف والفرق. وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه شكا إليه رجل رمداً، فكتب إليه في رقعة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٣). ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(٤)؛ فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ.

وكان سفيان الثوري يكتب للمطلقة رقعة تعلق على قلبها: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٥).

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد الطبري أحد فقهاء الشافعية، وصاحب كتاب أحكام القرآن. توفي سنة ٥٠٤ هـ (ابن خلكان ١: ٣٢٧).

(٤) سورة فصلت ٤٤.

(٣) سورة ق ٢٢.

(٥) سورة الانشقاق ١ - ٤.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ . ﴿ فَأَخْرَجَ مِنْهَا ﴾ ^(١) . ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ ^(٢) .

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتنقل عليه ، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿ مَدَدًا ﴾ ^(٤) ، ثم أضير . في أى وقت أضمرت فإنك تقوم فيه ، قال : ففعلت ففعلت في الوقت المعين .

قال الفراء : وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول ، فكتب في صحيفة : **بِسْمِ اللَّهِ وَبُسْتِ الْجِبَالِ بَسًا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا** ^(٥) . ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٦) . ﴿ دَكَا دَكَا ﴾ ^(٧) ، وألقى عليه الماموش به فيستر عليه البول ، وألقى الحصى .

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٨) يُكْتَبُ على كاغد ، ويوضع على شِقِّ الضرس الوجع ، يبرأ بإذن الله تعالى .

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالى أراك محزوناً ؟ فقال : ولدى قد مرض ، واشتد عليه الحال ، فقال له : أين أنت عن آيات الشفاء : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(٩) . ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(١٠) . ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

(٢) سورة القصص ٧٩ .

(٥) سورة الحاقة ١٤

(٧) سورة الأنعام ٦٧

(٩) سورة يونس ٥٧

(١) سورة الحجر ٣٤

(٣) سورة الكهف ١٠٩

(٤) سورة الواقعة ٥ ، ٦

(٦) سورة النجم ٢١

(٨) سورة التوبة ١٤

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾. ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿٢﴾. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٣﴾. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾. ﴿٤﴾ ! فقرأ هذه الآيات عليه ثلاث مرات فبرأ .

وحكى ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية (٥) رضى الله عنها قالت : آذانا جار لنا ، فصليت ركعتين ، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمره ، ثم نمت وفتحت عيني ؛ وإذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه ، فسقط ومات .

وحكى عن ابنها أنه كان في دارها حائط له جوف ، فقالت : هات رقعة ودواة ، فناولتها ، فكتبت في الرقعة شيئاً ، وقالت : دعه في ثقب منه ، ففعلت ، فبقى نحو من عشرين سنة ، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس ، فقلت فأخذه فوق الحائط ، فإذا في الرقعة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (٦) ، ياعمسك السموات والأرض ، أمسكه .

تنبيه

هذا النوع والذي قبله لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيتته ، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه ، وعمر به قلبه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميره في ليله ونهاره ، وتمسك به وتدبره . هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب ؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله

(٢) سورة الإسراء ٨٢

(٤) سورة فصلت ٤٤

(١) سورة النحل ٦٩

(٣) سورة الشعراء ٨٠

(٥) من التبعيدات (وانظر التاج) .

(٦) سورة فاطر ٤١

مكذباً لقوله ؛ كما روى أن عارفا وقعت له واقعة ، فقال له صديق له : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر ، وقد صليتها . قال صديقه : وأين هذا من هذا ؟ قال : لأنى قلت فى الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) فإن استعنتُ بغيره كذبت ، والكذب فى الصلاة يبطلها ، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجم لا تكون إلا مع تحقق العداوة ، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله ، فبطل ذكره .

النوع الثامن والعشرون
هل في القرآن شيء أفضل من شيء

وقد اختلف الناس في ذلك ، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض ؛ لأن الكل ^(١) كلام الله ، وكذلك أسمائه تعالى لا تفاضل بينها . وروى معناه عن مالك ؛ قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تُردّد دون غيرها ، واحتجوا بأنّ الأفضل يُشعر بنقص المفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه .

قال ابن حبان في حديث أبي بن كعب رضى الله عنه : « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، إنّ الله لا يعطى لقارىء التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطى لقارىء أم القرآن إذا الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ، وأعطاه من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه » . قال : وقوله : أعظم سورة ، أراد به في الأجر ، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا ، وقيل بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وآية الكرسي وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجودا مثالا في ﴿ تَبَّتْ يَدَا

أَبِي لَهَبٍ ^(١) وما كان مثلها بالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها؛ لامن حيث الصفة، وهذا هو الحق.

وممن قال بالتفضيل إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء.

وتوسط الشيخ عز الدين فقال: كلامُ الله في الله أفضلُ من كلام الله في غيره، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، وعلى ذلك بنى الغزالي كتابه المسمى بجواهر القرآن، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي لحديث أبي سعيد بن الملق في صحيح البخاري: «إني لأعظم سورة هي أعظم السور في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾». ولحديث أبي بن كعب في الصحيحين قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبى، أتدرى أى آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(٢)، قال: فضرب في صدرى وقال: ليهنك العلم أبا المنذر.

وأخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن أبى هريرة: «سيدة آى القرآن آية الكرسي».

وفى الترمذى غريباً عنه مرفوعاً: «لكل شىء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي».

وروى ابن عيينة فى جامعه عن أبى صالح عنه: «ففى آية الكرسي وهى سنام آى القرآن ولا تقرأ فى دار فيها شيطان إلا خرج منها»؛ وهذا لا يعارض ما قبله بأفضلية الفاتحة، لأن تلك باعتبار السور وهذه باعتبار الآيات.

وقال القاضي شمس الدين الخوئى: كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين، وهل يجوز

أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض ؟ جوزه بعضهم لقصور نظرهم . وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حسن ولطف ، وذلك في موضعه له حسن ولطف ، وهذا الحسن في موضعه أكل من ذاك في موضعه . فإن من قال : إِنَّ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) أبلغ من ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ^(٢) يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغي أن يقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ دعاء عليه بالخسران ، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) لا توجد عبارة تبدل على الوجدانية أبلغ منها ، فالعالم إذا نظر إلى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ^(٢) في باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الآخر ، وهذا القيد يَفْعَلُ عنه بعض من لا يكون عنده علم البيان .

قلت : ولعل الخلاف في هذه المسألة يلفت عن الخلاف المشهور إن كلام الله شيء واحد أولاً ؛ عند الأشعرى أنه لا يتنوع في ذاته ، إنما هو بحسب متعلقاته .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(٣) ، فجعله شيتين ، وأنتم تقولون بعدمه ، وأنه صفة واحدة ؟

قلنا : من حيث أنه كلام الله لا مزية لشيء منه على شيء . ثم قولنا : « شيء منه » يوم التبويض ، وليس لكلام الله الذي هو صفته بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع الخطابات ، ولولا تنزله في هذه المواقع لما وصلنا إلى فهم شيء منه .

وقال الحلبي^(١) : قد ذكرنا أخبارا تدلُّ على جواز المفاضلة بين السور والآيات .
وقال الله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾^(٢) ؛ ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء :
أحدها أن تكون آيتا عمل ثابتتان في التلاوة ؛ إلا أن إحداها منسوخة والأخرى
ناسخة ، فنقول : إن الناسخ خيرٌ ، أى أن العملَ بها أولى بالناس وأعوذُ عليهم ، وعلى هذا
فيقال : آياتُ الأمر والنهى والوعد والوعيد خيرٌ من آيات القصص لأن القصص إنما أريد
بها تأكيد الأمر والنهى والتبشير ، ولا يخفى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغفون
عن القصص ، فكل ما هو أعوذُ عليهم وأنفعُ لهم مما يجرى مجرى الأصول خيرٌ لهم مما
يحصل تبعاً لما لا بدّ منه .

والثاني أن يقال : إن الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته
والدلالة على عظمته وقديسيته أفضلٌ أو خيرٌ ؛ بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجلُّ قدراً .
والثالث أن يقال : سورةٌ خيرٌ من سورة ، أو آيةٌ خيرٌ من آية ؛ بمعنى أن القارىء
يتعجلُ بقراءتها فائدةً سوى الثواب الآجل ، ويتأذى منه بتلاوتها عبادةً ، كقراءة آية
الكرسى ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ؛ فإن قارئها يتعجلُ بقراءتها الاحتراز مما
يُخشى ، والاعتصام بالله جل ثناؤه ، ويتأذى بتلاوتها منه لله تعالى عبادةً ، لما فيها من
ذكر اسم الله تعالى جده بالصفات العُلا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى
فضل الذكر وبركته ؛ فأما آياتُ الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما
يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل فى الجملة : إن القرآنَ خيرٌ من التوراة والإنجيل والزبور ، بمعنى أن
التعبُّد بالتلاوة والعمل واقع به دونها ، والثواب يحسب بقراءته لا بقراءتها ، أو أنه من

(١) الحلبي ، بفتح الحاء ؛ وهو أبو عبد الله حسن بن الحسن الحلبي الشافعي صاحب التهاج على شعب
الإيمان المتوفى سنة ٤٠٣ . وانظر كشف الظنون (٢) سورة البقرة ١٠٦ .

حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها ؛ وكان ذلك أيضا نظير ماضى .

وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا ، كما يقال : إن قوماً أفضل من قوم ، وشهراً أفضل من شهر ؛ بمعنى أن العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره ، والذنب يكون أعظم من الذنب منه فى غيره . وكما يقال : إن الحرم أفضل من الحِلّ ، لأنه يُتأذى فيه من المناسك ما لا يتأذى فى غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره . والله أعلم .

فصل

[فى أعظمية آية الكرسي]

قال ابن العربى : إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها ، فإن الشئ إنما يشرفُ بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته ، وهى فى آى القرآن كقل هو الله أحد فى سورة ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين : أحدهما أنها سورة وهذه آية ، فالسورة أعظم من الآية ، لأنه وقع التحدى بها ، فهى أفضل من الآية التى لم يُتحدَّ بها . والثانى أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفاً وآية الكرسي اقتضت التوحيد فى خمسين حرفاً ، فظهرت القدرة فى الإعجاز بوضع معنى معبر عنه ، مكتوب مددّه السبعة الأبحر ، لا ينفد ، عدد حروفه خمسون كلمة ، ثم يعبر عن معنى الحسين كلمة خمسة عشر كلمة وذلك كله بيان لعظم القدرة والافتراء بالوحدانية .

وقال أبو العباس أحمد بن المنير المالكي : كان جدى رحمه الله يقول : اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه أسم من أسماء الله تعالى ؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر

موضعا فيها أسم الله ظاهرا في بعضها ، ومستكتفا في بعض ؛ ويظهر للكثير من العاذين فيها ستة عشر إلّا على حاد البصيرة لدقة استخراجها : ١ - الله ، ٢ - هو ، ٣ - الحى ، ٤ - القيوم ، ٥ - ضمير « لا تأخذه » ، ٦ - ضمير « له » ، ٧ - ضمير « عنده » ، ٨ - ضمير « إلّا بإذنه » ، ٩ - ضمير « يعلم » ، ١٠ - ضمير « علمه » ، ١١ - ضمير « شاء » ، ١٢ - ضمير « كرسية » ، ١٣ - ضمير « يؤوده » ، ١٤ - وهو ، ١٥ - العلى ، ١٦ - العظيم . فهذه عدّة الأسماء .

وأما الخفى في الضمير الذى اشتمل عليه المصدر في قوله : « حفظهما » فإنه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولا بدّ له من فاعل وهو والله ، ويظهر عند فكّ المصدر ، فتقول : ولا يؤوده أن يحفظهما هو .

قال : وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجّد ، فقال : يمكن أن تعدّ مافى الآية من الأسماء المشتقة كلّ واحد منها باثنين ، لأن كلّ واحد منها يحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا ، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله وهو باعتبار ظهورها اسم ، وقد اشتملت على آخر مضمّر ، فتكون جملة العدد على هذا أحدا وعشرين اسما ، فأجريت معه وجها لطيفا ، وهو أن الاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح ، وهذه الصفات كلّها أسماء الله تعالى . ثم ولو فرضناها محتملة للضماير بعد التسمية على سبيل التنزل ، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمّله ضميره ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم وجدت « كريما » إنما يقع على « زيد » لأن فيه ضميره ؛ حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد ، بل لك أن توقعه على كلّ موصوف بالكرم من الناس ، ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره ، فليس المشتق إذا مستقلا بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه ، فلا يمكن أن تجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين البتة . قال : فرضى عن هذا البحث وصوّبه .

وقال الغزالي في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء قلبا ، وقلب القرآن يس » :
إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه ،
فجعلت قلب القرآن لذلك . واستحسنه فخر الدين الرازي .

قال الجويني : سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام .
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : آل حم ديباج القرآن .
وقال ابن عباس : لكل شيء لباب ولباب القرآن آل حم - أو قال : الحواميم .
وقال مسعر بن كدام : كان يقال لهنّ العرائس .
روى ذلك كله أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن ^(١) .

وقال حميد بن زنجويه : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق
عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا ،
فرّ بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمنات ، فقال : عجبت
من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب ، فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ،
وإن مثل هذه الروضات الدمنات مثل آل حم في القرآن . أورده البغوي .

وروى أبو عبيد عن بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - كراهة أن يقال : الحواميم ،
ولأنما يقال : آل حم .

وفي الترمذي عن ابن عباس قال : قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله ، قد شبت ، قل : « شيتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ،
وإذا الشمس كورت » . خصّ هذه السور بالشيب لأنهنّ أجمعن لكيفية القيامة وأهوالها من

(١) كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد ، باب فضل آل حم لوحة ٣١

غيرهنّ . ولهذا قال في حديث آخر : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ رَأَى الْعَيْنَ فَلْيَقْرَأْ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ » (١) .

وروى الترمذی من حديث ابن عباس ومن حديث أنس : « إِذَا زَلَزْتَ تَعْدِلْ نَصْفَ الْقُرْآنِ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلْ رُبْعَهُ » . وقال : في كل منهما غريب .
 . وقد تكلم ابنُ عبد البر على حديث : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) تعدل ثلث القرآن ، وحكى خلاف الناس فيه ، فقيل : لأنه سمع شخصا يكررها تكراراً من يقرأ ثلث القرآن . فخرج الجواب على هذا .

وفيه بعد عن ظاهر الحديث .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وقيل هو الله أحد كلها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار . واعترض على ذلك باستلزام كون آية الكرسي وآخر الحشر ثلث القرآن ولم يرد فيه .

وقيل : تعدل في الثواب ، وهو الذي يشهد لظاهر الحديث .

قلت : ضعف ابن عقيل هذا وقال : لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » .

ثم قال ابن عبد البر : على أني أقول : السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور ، قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلْ ثُلُثُ الْقُرْآنِ » ما وجهه ؟ فلم يبق لي فيها على أمر . وقال لي إسحاق بن راهويه : معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضاً فضلاً

(١) سورة التكويد ١

(٢) سورة الإخلاص ١

في الثواب لمن قرأه تحريراً على تعلمه ؛ لا أن من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة .

قال أبو عمرو : وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة .

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن .

فائدة

[في أى آية في القرآن أرحى]

اختلف في أرحى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً :

الأول : آية « الدين » ^(٢) ومأخذه أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير ، فبمقتضى ذلك يُرَجَى عفو الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم ، حتى في مصلحتهم الحقيرة .

الثاني : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٣) ، وهذا رواه مسلم في الصحيح أثر حديث الإفك ، عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك .

الثالث : قال الشبلي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

(١) سورة الاخلاص ١

(٣) سورة النور ٢٢ .

سَلَفَ ﴿^(١)﴾ ، فَاللهُ تَعَالَى لَمَّا أَذِنَ الْكَافِرِينَ بِدُخُولِ الْبَابِ إِذَا أَتَوْا بِالتَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ أَتَرَاهُ يُخْرِجُ الدَّاحِلَ فِيهَا وَالْقِيمَ عَلَيْهَا !

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ ^(٢) .

الخامس : قوله : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ^(٣) .

السادس : قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ^(٤) .

السابع قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(٥) .

الثامن قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُمْطِرُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ^(٦) .

حكى هذه الأقوال الجليلة الأخيرة الشيخ محي الدين في رموس المسائل .

التاسع : رأيت في مناقب الشافعي للإمام أبي محمد اسماعيل المروزي صاحب الحاكم بإسناده عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعي : أي آية أرجى ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ^(٧) . قال : وسألته عن أرجى حديث للمؤمن ؟ قال : حديث : « إذا كان يوم القيامة يُدْفَعُ إلى كل مسلم رجلٌ من الكفار فيذهب به إلى النار » .

العاشر والحادي عشر : روى الحاكم في مستدركه عن محمد بن المنكدر قال : التقى ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس : أي آية في كتاب الله أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٨) ، قال :

(٢) سورة سبأ ١٧ .

(٤) سورة الشورى ٣٠ .

(٦) سورة الضحى .

(٨) سورة الزمر ٣٣ .

(١) سورة الأنفال ٣٨

(٣) سورة طه ٤٨

(٥) سورة الإسراء ٨٤

(٧) سورة البلد ١٥ ، ١٦

لكن قول إبراهيم : ﴿ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ^(١) هذا لما في الصدور من وسوسة الشيطان ، فرضى الله تعالى من إبراهيم بقوله : ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ ﴾ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال النحاس في سورة الأحقاف : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) فقال : إن هذه الآية من أرجى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية في القرآن : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وأما أخوف آية فعن الإمام أبي حنيفة أنه قال : هي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ولو قيل إنها ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ تَقْلَانِ ﴾ ^(٥) لكان له وجه ؛ ولهذا قال بعضهم : لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم .

(١) سورة البقرة ٢٦٠

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٤) سورة آل عمران ١٣١

(٣) سورة الرعد ٦

(٥) سورة الرحمن ٣١

النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته وكيفيتها

^(١) اعلم أنه ينبغي لمح موقع النعم على مَنْ عَلَّمَهُ الله تعالى القرآن العظيم أو بعضه ، بكونه أعظم المعجزات ، لبقائه بقاء دعوة الإسلام ، ولكونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كل عصر وزمان ، لأنه كلام رب العالمين ، وأشرف كتبه جلّ وعلا ، فَلَيْزَ مَنْ عنده القرآن أن الله أنعم عليه نعمة عظيمة ، وليستحضر من أفعاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكف عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة فصاروا عبرة للمعتبرين حين زاغوا فآزاع الله قلوبهم ، وأهلكوا ما عصوا ، وليحذر مَنْ علم حالهم أن يعصى ، فيصير مآله ما لم ؛ فإذا استحضر صاحب القرآن علوّ شأنه بكونه طريقا لكتاب الله تعالى ، وصدره مصحفاً له انكفّت نفسه عند التوفيق عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح الهائل . وأكبر معين على ذلك حُسن ترتيله وتلاوته ^(٢) ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ ^(٤) ، فحق على كل أمرئ مسلم قرأ القرآن أن يرتّله ، وكال ترتيله تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، والإفصاح لجميعة بالتدبر حتى يصل بكل ما بعده ،

(١ - ١) ساقط من ت .

(٢) سورة الإسراء ١٠٦ .

(٣) سورة الزمل ٣

وأن يسكت بين النفس والنفس حتى يرجع إليه نفسه ، وألاَّ يُدغم حرفاً في حرف ؛ لأن أقلّ ما في ذلك أن يسقط من حسناته بعضها ، وينبغي للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم ؛ فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل .

وقيل : أقلُّ الترتيل أن يأتي بما يُبين ما يقرأ به ، وإن كان مستعجلاً في قراءته ، وأكملُه أن يتوقف فيها ، ما لم يخرجها إلى التمديد والتمطيط ؛ فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأ على منازله ، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ^(١) به لفظ التهديد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم .

وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه ، فيعرف من كل آية معناها ، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ، فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها ، واستبشر إلى ذلك ، وسأل الله برحمته الجنة . وإن قرأ آية عذاب وقف عندها ، وتأمّل معناها ؛ فإن كانت في الكافرين^(٢) اعترف بالإيمان ، فقال : آمنا بالله وحده ، وعرف موضع التخويف ، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار .

وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال : « يا أيها الذين آمنوا » وقف عندها . وقد كان بعضهم : يقول لبيك ربّي وسعديك - ويتأمّل ما بعدها ممّا^(٣) أمر به ونهى عنه ؛ فيعتقد قبول ذلك . فإن كان من الأمر الذي قد قصر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت ، واستغفر ربه في تقصيره ، وذلك مثل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٤) .

وعلى كل أحد أن ينظر في أمر أهله في صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم

(٢) م : « الكافرين » .

(٤) سورة التحريم ٦ .

(١) م : « يلفظ » .

(٣) م : « فيما » .

وجناباتهم ، وحيض النساء ونفاسهن . وعلى كلِّ أحدٍ أن يتفقد ذلك في أهله ، ويراعيهـم بمسألتهم عن ذلك ^(١) ، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألتُه تذكيرا له وتأكيدا لما في قلبه ، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعليما له ، ثم هكذا يراعى صفار ولده ويعلمهم إذا بلغوا سبعا أو ثمان سنين ، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك ؛ فمن كان من الناس قد قصّر فيما مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيما يستقبل ، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه ^(٢) إذا مر به تأمله وتفهمه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ ^(٣) ، فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعاله في نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره من الظلمات والغيبية وغيرها ، ورد ظلامته ، وأستغفر من كل ذنب قصّر في عمله ، وتوى أن يقوم بذلك ويستحل كل من بينه وبينه شيء من هذه الظلمات ، من كان منهم حاضرا ، وأن يكتب إلى من كان غائبا ، وأن يرد ما كان يأخذه على من أخذه منه ، فيعتد هذا في وقت قراءة القرآن حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع ؛ فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكامل ترتيل القرآن ؛ فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ؛ ليكون متعلما لذلك طالبا للعمل به ، وإن كانت الآية قد اختلف فيها اعتقد من قولهم أقل ما يكون ، وإن احتاط على نفسه بأن يعتقد أوكد ما في ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه .

وإن كان ما يقرؤه من الآي فيما قصّ الله على الناس من خبر من مضى من الأمم فليُنظر في ذلك ، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه ، فيجدد الله على ذلك شكرا .

(١) ت : عنه .

(٢) ساقطة من ت

(٣) سورة التحريم ٨ .

وإن كان ما يقرؤه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام، والانتها عن المنهى والاجتناب له . فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيدا وعد الله به المؤمنين فلينظر إلى قلبه ، فإن جنح إلى الرجاء فزعه بالخوف ، وإن جنح إلى الخوف فسح له في الرجاء ؛ حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين ، فإن ذلك كمال الإيمان .

وإن كان ما يقرؤه من الآي من المتشابه الذي تفرّد الله بتأويله ، فليعتقد الإيمان به كما أمر الله تعالى فقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ^(١) يعني عاقبة الأمر منه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

وإن كان موعظةً اتّظ بها ، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل .

وقال بعضهم : الناس في تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

الأول : من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه ، فينظر إليه من كلامه ، وتكلمه بخطابه ، وتعليه بمناجاته ، وتعرفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبئ ^(٣) عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة ، أو فعل ؛ لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف ، ويدل على الموصوف ، وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعم عليه ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مُستغرق بمشاهدة المتكلم ؛ ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق : لقد تجلّى الله خلّقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

ومن كلام الشيخ أبي عبد الله القرشي : لو طهرت القلوب لم تشبع من التلاوة للقرآن .

الثاني : من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بألفاظه ، ويتملقه بإنعامه

وإحسانه ، فمقام هذا الحياء والتعظيم ، وحالُه الإصغاء والفهم ، وهذا لعموم المقرين .
 الثالث : مَنْ يرى أنه يناجى ربه سبحانه ، فمقام هذا السؤال والتمكّن^(١) ، وحالُه الطلب ؛
 وهذا المقام لخصوص أصحاب اليقين ؛ فإذا كان العبد يلقى السمع من بين يدي سميعة ، مصغيا
 إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفاته ، ناظرا إلى قدرته ، تاركا لمعقوله ومعهود
 علمه ، متبرئا من حوله وقوته ، معظما للمتكلم ، متفرغا إلى الفهم ، بحال مستقيم ، وقلب
 سليم ، وصفاء ، يقين ، وقوة علم ، وتمكين سمع - فصل الخطاب وشهد غيب الجواب ؛ لأن
 الترتيل في القرآن ، والتدبّر لمعانى الكلام ، وحسن الاقتصاد إلى المتكلم في الإفهام ،
 والإيقاف على المراد ، وصدق الرغبة في الطلب - سبب للاطلاع على المطمع من السر المكتون
 المستودع . وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات ، للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات :
 أولها الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ،
 والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها . فهذه المقامات العشر هي
 مقامات^(٢) المتقين ، وهي منطوية في كل كلمة يشهدها أهل التمكين والمناجاة ، ويعرفها
 أهل العلم والحياء ، لأن كلام المحبوب حياة للقلوب ، لا يُنذَر به إلّا حيّ ، ولا يحيا به إلّا
 مُستجيب ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾^(٤) . ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلّا من يتنقل في العشر المقامات
 المذكورة في سورة الأحزاب ، أولها مقام المسلمين ، وآخرها مقام الذاكرين^(٥) ، وبعد مقام

(١) ت : « التلق »

(٣) سورة يس ٣٦ .

(٢) ط ، م : « نهايات » .

(٤) سورة الأنفال ٢٤ .

(٥) يشير إلى ماورد في سورة الأحزاب ٣٥ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّالِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ... ﴾ .

الذكر هذه المشاهدات العشر ، فعندها لا تملّ المناجاة ، لوجود المصافاة ، وعلم كيف تجلّى له تلك الصفات الإلهية في طيّ هذه الأدوات ، ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف ، لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولا تمكّن لفهم عظيم الكلام إلا على حدّ فهم الخلق ، فكلّ أحدٍ يفهم عنه بفهمه الذى قُسمَ له ، حكمةً منه .

قال بعض العلماء : فى القرآن ميادين وبساتين ، ومقاصير وعرائس ، وديابيج ورياض ، فالبيئات ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصير القرآن ، والمسبّحات عرائس القرآن ، والحواميم ديابيج القرآن ، والمفصل رياضه ، وما سوى ذلك . فإذا دخل المريد فى الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزه فى الرياض ، وسكن غرفات المقامات اقتطعه عما سواه ، وأوقفه ما يراه ، وشغله المشاهد له عما عداه ؛ ولذلك قال النّبى صلى الله عليه وسلم : « اعرفوا القرآن والتسوا غرائبه ، وغرائب فروضه وحدوده ؛ فإن القرآن أنزل على خمسة : حلال ، وحرام ، ومحكم ، وأمثال ، ومتشابه ، فخذوا الحلال ، ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال » .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور^(١) القرآن .

قال ابن سبع^(٢) فى كتاب "شفاء الصدور" : هذا الذى قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر ؛ وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقى من فهمه أكثر . وقال آخرون : القرآن يحتوى على سبعة وسبعين ألف علم ، إذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعا ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومطلع . وبالجملة فالعلوم كلّها داخلية فى أفعال الله وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله .

(١) فليثور : أى لينقر عنه ويفكر فى معانيه . (التهاية لابن الأثير) .

(٢) هو الإمام الخطيب أبو الربيع سليمان البستي (ذكره فى كشف الظنون) .

فصل

[في كراهة قراءة القرآن بلا تدبير]

تَعَرَّه قراءة القرآن بلا تدبير ، وعليه حمل حديث عبد الله بن عمرو : لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليله : أهذا كهذا الشعر ^(١) ! وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم » ^(٢) ذمهم بإحكام ألفاظه ، وترك التفهم لمعانيه .

فصل

في تعلم القرآن

ثبت في صحيح البخاري ^(٣) من حديث عثمان : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وفي رواية « أفضلكم » ^(٤) . وعن عبد الله يرفعه : « إن القرآن مأدبة الله فتمتعوا مأدبته ما استطعتم » ، رواه البيهقي .

(١) الهذ والهذذ : سرعة القراءة ؛ والخبر في اللسان منسوب إلى ابن عباس : « قال له رجل : قرأت الفصل الليلة ؟ فقال : أهذا كهذا الشعر ! » . قال : أراد أنهذا القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ؛ ونصبه على المصدر . (وانظر صحيح البخاري ٣ : ٢٣٤) .

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ١ : ٦٢ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم في آخر الزمان - أو في هذه الأمة - يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم - أو حلوقهم - إذا رأيتهم - أو إذا لقيتهم - فاقتلوهم » .

(٣) في كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٢

(٤) نقضه : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .

وروى أيضا عن أبي العالية قال : « تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمسا خمسا » ، وفي رواية : « مَنْ تعلمه خمسا خمسا لم ينسه » .

قال أصحابنا : تعليم القرآن فرض كفاية ، وكذلك حفظه واجب على الأمة ، صرح به الجرجاني في " الشافي " ،^(١) والعبادي وغيرهما . والمعنى فيه كما قاله الجويني ألا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقي ، وإلا فالكل آثم . فإذا لم يكن في البلد أو القرية مَنْ يتلو القرآن أئمنوا بأسرهم ، ولو كان هناك جماعة يصلحون للتعليم وطُلب من بعضهم وامتنع لم يأثم في الأصح ؛ كما قاله النووي في " التبيان " ،^(٢) وهو نظير ما صححه في كتاب السير أن المفتي والمدرس لا يأثم بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره . وصورة المسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير ؛ فإن كانت تفوت لم يحز الامتناع ، كالمصلّي يريد تعلم الفاتحة ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ، ولضييق الوقت عن التعليم .

وينبغي تعليمه على التأليف المعهود ؛ فإنه توقيفي ؛ وقد ورد عن ابن مسعود : سئل عن الذي يقرأ القرآن منكوسا قال : ذاك منكوس القلب .

قال أبو عبيد : وجهه عندي أن يبتدىء من آخر القرآن من آخر المعوذتين ؛ ثم يرتفع إلى البقرة ؛ كنعو ما تفعل الصبيان في الكتاب ، لأن السنة خلاف هذا ؛ وإنما وردت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما .

(١) كتاب الشافي في فروع الشافعي ، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني التوفي سنة ٤٨٢ ، كتاب كبير في أربع مجلدات (كشف الظنون ١٠٢٣) .

(٢) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ؛ للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي التوفي سنة ٦٧٦ ؛ ذكره كشف الظنون ٣٤٠ .

مسألة

[في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

ويجوز أخذ الأجرة على التعليم ، ففي صحيح البخارى ^(١) : « إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرا كتابُ الله » . وقيل : إن تعين عليه لم يجز ، واختاره الحلبي ، وقال : استقصر الناس المعلمين لقصرهم زمانهم على معاشر الصبيان ثم النساء حتى أثر ذلك في عقولهم ، ثم لابتغائهم عليه الأجمال ^(٢) وطمعهم في أطعمة الصبيان ، فأما نفسُ التعليم فإنه يوجب التشريف والتفضيل .

^(٣) وقال أبو الليث في كتاب " البستان " ، ^(٤) : التعليم على ثلاثة أوجه : أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضاً . والثاني أن يعلم بالأجرة . والثالث أن يعلم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبل .

فالأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : مختلف فيه ، قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عني ولو آية » . وقال جماعة من المتأخرين : يجوز ، مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وأبي نصر بن سلام . وغيرهم قالوا : والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفظ

(١) في كتاب الطب ٤ : ١٦ من حديث ابن عباس .

(٢) الأجمال : جم جعل ؛ ما يجعل على العمل من أجر ؛ ومثله الجمالة والجميلة .

(٣) من هنا إلى آخر هذا الفصل ساقط من ت

(٤) هو بستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد المرقندي التوفي سنة ٣٧٥ ؛ في الأحاديث

الواردة في آداب الشريعة والمصالح والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية . (كشف الظنون ٢٤٣) .

وتعليم الكتابة ، فإن شرط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

وأما الثالث فيجوز في قولهم جميعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلما للخلق وكان يقبل الهدية . ولحديث اللديغ لما رقبوه بالفاتحة ، وجعلوا له جملا^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « واضربوا لى معكم فيها بسهم » .

فصل

[في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه]

وليدمن على تلاوته بعد تعلمه ، قال الله تعالى مُثْنِياً عَلَى مَنْ كَانَ دَابَّةً تِلَاوَةَ آيَاتِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾^(٢) وسماء ذِكْرًا ، وتوعد المعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه . وفي الصحيحين : « تعاهدوا القرآن »^(٣) ؛ فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلثاً من الإبل في عقالها^(٤) . « وقال : « بشئنا لأخدم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي^(٥) » [و]^(٦) استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيلاً في صدور الرجال من النعم في عقالها^(٧) .

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٦ ، كتاب الطب ، من حديث ابن عباس .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

(٣) تعاهدوا القرآن : أى جددوا عهداً بإلازمة تلاوته لثلاث تنسوه .

(٤) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٤٥ ، من حديث أبي موسى .

(٥) صحيح البخارى : « بل نسي » بحذف كلة « هو » .

(٦) تكملة من صحيح البخارى .

(٧) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٣ ، من حديث عبد الله .

مسألة

[في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة]

يستحب الاستياك وتطهيره ، والطهارة للقراءة باستياكه ، وتطهير بدنه بالطيب المستحب تكريماً لحال التلاوة ، لباساً من الثياب ما يتجمل به بين الناس ؛ لكونه بالتلاوة بين يدي النعم المتفضل بهذا الإيناس ، فإن التالي للكلام ، بمنزلة المكالم لذي الكلام ، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام . ويستحب أن يكون جالساً مستقبل القبلة ؛ مثل سعيد بن المسيب عن حديث وهو متكئ ؛ فاستوى جالساً وقال : أكره أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكئ ، وكلام الله تعالى أولى . ويستحب أن يكون متوضئاً ؛ ويجوز للمحدث ، قال إمام الحرمين وغيره : لا يقال إنها مكروهة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث وعلى كل حال سوى الجنابة . وفي معناها الحيض والنفاس . وللشافعي قول قديم في الحائض ، تقرأ خوف النسيان .

وقال أبو الليث : لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة . قال : وإذا أرادت الحائض التعلم فينبغي لها أن تلقن نصف آية ، ثم تسكت ولا تقرأ آية واحدة بدفعة واحدة . وتكره القراءة حال خروج الريح ؛ وأما غيره من النواقض كاللأس والمس ونحوه فيحتمل عدم الكراهة ؛ لأنه غير مستقذر عادة ، ولأنه في حال خروج الريح يبعده بخلاف هذه .

مسألة

[في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة]

يستحب التعوذ قبل القراءة ، فإن قطعها قطع ترك وأراد العوذ جدد ، وإن قطعها لعذر عازما على العوذ كفاه التعوذ الأول ما لم يطُل الفصل . ولا بد من قراءة البسملة أول كل سورة تحرزا من مذهب الشافعي^(١) ؛ وإلا كان قارئا بعض السور لا جميعها ؛ فإن قرأ من^(٢) . أثنائها استحب له البسملة أيضا ، نص عليه الشافعي رحمه الله فيما نقله العبادي .

وقال الفاسي^(٣) في شرح القصيدة : كان بعض شيوخنا يأخذ علينا في الأجزاء القرآنية بترك البسملة ، ويأمرنا بها في حزب : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) ؛ وفي حزب : ﴿ إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(٥) لما فيهما بعد الاستعاذة من قبح اللفظ . وينبغي لمن أراد ذلك أن يفعله ؛ إذا ابتداء مثل ذلك ، نحو : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي

(١) اختلف العلماء في البسملة على ثلاثة أقوال : الأول ليست بآية ؛ لا من الفاتحة ولا من غيرها ؛ وهو قول مالك . والثاني أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك . والثالث قول الشافعي : قال : إنها آية في الفاتحة ، وتردد قوله في سائر السور ، فرة قال : إنها آية من كل سورة ، ومرة قال : ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٣)

(٢) م : هـ في

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي المقرئ المتوفى سنة ٦٧٢ ؛ شرح القصيدة الشاطبية ؛ سماه الآتي الفريدة ، في شرح القصيدة ، منها نسخة بدار السكتب رقم ٥٠ قراءات ، وانظر طبقات القراء ٢ : ١٢٢ وكشف الظنون ٦٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة الروم ٥٤

(٥) سورة فصلت ٤٧

أَنْشَأَ جَنَّتٍ^(١) ؛ لوجود العلة المذكورة . وقد كان مكي^(٢) يختار إعادة الآية قبل كل حزب من الحزبين المذكورين للعلة المذكورة .

مسألة

^(٣) ولتكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتيان لهذا الشأن ، الجامعين بين الدراية والرواية ، والصدق والأمانة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن .

مسألة

[في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة في المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟
ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من المصحف أفضل ؛ لأن النظر فيه عبادة ، فتجتمع القراءة والنظر ، وهذا قاله القاضي الحسين والقزالي ، قال : وعلة ذلك أنه لا يزيد على^(٤) ... وتأمل المصحف وجمله^(٥) ، ويزيد في الأجر بسبب ذلك . وقد قيل : الختمة في المصحف يسبغ ؛ وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم لم ينظروا في المصحف .

(١) سورة الأنعام ١٤١

(٢) مكي بن أبي طالب بن حيوس القرني أبو محمد الفيواني ، صاحب التبصرة والكشف والوجز وغيرها من كتب القراءات . توفي سنة ٤٣٧ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .

(٣) هذا الفصل ساقط من ت

(٤) يابض في جميع الأصول بمقدار كلمتين .

(٥) م : « ونحوه »

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال : شغلکم الفقه عن القرآن ؛ إني لأصلي العتمة ، وأضع المصحف في يدي فما أطبقه حتى الصباح .

وقال عبد الله بن أحمد ^(١) : كان أبي يقرأ في كل يوم سُبعا من القرآن لا يتركه نظرا .

وروى الطبراني من حديث أبي سعيد بن عون المكي عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة . وأبو سعيد قال فيه ابن معين : لا بأس به .

وروى البيهقي في شعب الإيمان من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قرأ القرآن في المصحف كانت له ألفا حسنة ، وَمَنْ قرأه في غير المصحف - فأظنه - قال - كألف حسنة » . وفي الطريق الأخرى قال : « درجة » ، وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف .

وروى ابن أبي داود بسنده عن أبي الدرداء مرفوعا : « من قرأ مائتي آية كل يوم نظراً شُفِعَ في سبعة قبور حول قبره ، وخُفِّفَ العذاب عن والديه وإن كانا مشركين » .
وروى أبو عبيد في فضائل القرآن ^(٢) بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فضل القرآن نظرا على من قرأ ظاهرا كفضل القرية على النافلة » . وبسنده عن ابن عباس قال : كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه .

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) فضائل القرآن لوحة ٨ .

وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعاً : « النظر إلى السكبة عبادة ، والنظر في وجه
الوالدين عبادة ، والنظر في المصحف عبادة » .

وعن الأوزاعي كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنية . قال بعضهم :
وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات بسيرة ولا يتركه مهجوراً .

والقول الثاني : أن القراءة على ظهر القلب أفضل ، واختاره أبو محمد بن عبد السلام^(١) ،
فقال في أماليه : قيل القراءة في المصحف أفضل ؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين ؛ وهما اللسان
والعين ، والأجر على قدر المشقة . وهذا باطل ؛ لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى :
﴿ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾^(٢) ؛ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود ،
فكان مرجوحاً .

والثالث : واختاره النووي في الأذكار^(٣) : إن كان القارئ من حفظه يحصل له من
التدبر والتفكير وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ،
وإن استويا فمن المصحف أفضل ، قال : وهو مراد السلف .

مسألة

[في استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة ؛ صحّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واستحب به

(١) هو الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، شيخ الإسلام ، توفي سنة ٦٦٠
(شذرات الذهب ٥ : ٣١٠) .

(٢) سورة م ٢٩

(٣) هو كتاب حلية الأبرار وشمس الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار ، المشتهر بأذكار النووي .
(كشف الظنون ٦٨٨ - ٦٨٩) .

الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المسرّ قد يملّ ، فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار ؛ إلا أن مَنْ قرأ بالليل جهر بالأكثر ؛ وإن قرأ بالنهار أسرّ بالأكثر^(١) ؛ إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صخب ، ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن ، ثم روى بسنده عن معاذ بن جبل يرفعه : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالسرّ بالصدقة » . نعم من قرأ والناس يصلّون فليس له أن يجهر جهرًا يشغلهم به ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد ، فقال : « يأيتها الناس كلّمكم يناجي ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة » .

مسألة

[في كراهة القرآن لمكالملة الناس]

ويكره قطع القرآن لمكالملة الناس ؛ وذلك أنه إذا انتهى في القراءة إلى آية وحضره كلام فقد استقبله التي بلغها والكلام ، فلا ينبغي أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن ، قاله الحلبي ، وأيده البيهقي بما رواه البخاري : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفرغ منه .

مسألة

[في حكم قراءة القرآن بالعجمية]

لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة وخارجها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾^(٣) .

(٢) سورة يوسف ٢

(١) ت : « الأكثر »

(٣) سورة فصلت ٤٤

وقيل عن أبي حنيفة: تجوز قراءته بالفارسية مطلقا ، وعن أبي يوسف : إن لم يحسن العربية ؛ لكن صحَّ عن أبي حنيفة الرجوعُ عن ذلك ، حكاه عبد العزيز^(١) في " شرح البرزوى " ،^(٢).

واستقرَّ الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلَّق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه ، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذى اختص به دون سائر الألسنة . وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربى لمكان التحدى بنظمه ، فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره ؛ ومن ها هنا قال القفال^(٣) من أصحابنا : عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتى بالقرآن بالفارسية ، قيل له : فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك ؛ لأن هناك يجوز أن يأتى ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ؛ أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتى بجميع مراد الله ، أى فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير . وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس فى فقه العربية^(٤) أيضا فقال : « لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن ؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتسع فى الكلام اتساع العرب ؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(٥) لم تستطع أن

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخارى ؛ له تصانيف مقبولة ؛ أشهرها شرح أصول البرزوى ، سماه كشف الأسرار ؛ طبع بإستانبول سنة ١٣٠٧ ، وتوفى عبد العزيز سنة ٧٣٠ . الفوائد البهية ٩٤ .

(٢) هو على بن محمد بن الحسين البرزوى الفقيه بماوراء النهر ؛ وكتابه كنز الوصول إلى معرفة الأصول ؛ طبع مع شرحه فى إستانبول سنة ١٣٠٧ . وتوفى البرزوى سنة ٤٨٢ . الفوائد البهية ١٢٤ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعى الشافى المعروف بالفعال الكبير ؛ صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، توفى سنة ٣٦٥ . شذرات الذهب ٣ : ٥٢ .

(٤) م ١٣ . (٥) سورة الأنفال ٥٨

تأتى بهذه الألفاظ مؤدية ^(١) عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ، فحقت منهم خيانة ونقصاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنبهم بالحرب ؛ لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على سواء ^(٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ^(٣) انتهى .

فظهر من هذا أن الخلاف فى جواز قراءته بالفارسية لا يتحقق لعدم إمكان تصوّره . ورأيت فى كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ؛ فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة ، وينبغى أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه ، والغريب المعنى بمقدار الضرورة ؛ من التوحيد وأركان العبادات ؛ ولا يتعرض لما سوى ذلك ، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربى ؛ وهذا هو الذى يقتضيه الدليل ، ولذلك لم يكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة لمعنى واحد ؛ وهو توحيد الله والتبرى من الإشراك ؛ لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى المترجم عنده واحداً قل وقوع التقصير فيه ؛ بخلاف المعانى إذا كثرت ؛ وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لضرورة التبليغ ؛ أو لأن معنى تلك الآية كان عندهم مُقرّراً فى كتبهم ؛ وإن خالفوه .

وقال الكواشى ^(٤) فى تفسير سورة الدخان : أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية بشرطة ؛ وهى أن يؤدى القارى المعانى كلها من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً . قالوا : وهذه الشرطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة ؛ لأن كلام العرب - خصوصاً القرآن الذى هو

(١) فقه اللغة : « المؤدية » .

(٢) سورة الكهف ١١

(٣) فقه اللغة : « على استواء »

(٤) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى ، المتوفى سنة ٦٨٠ (كشف الظنون ٥٧) .

ممعجز - فيه من لطائف المعاني والإعراب مالا يستقل به لسان من فارسية وغيرها .

وقال الزمخشري : ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية ؛ فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل صاحبيه في القراءة بالفارسية .

مسألة

[في عدم جواز القراءة بالشواذ]

ولا تجوز قراءته بالشواذ ، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على منعه ^(١) ؛ فقد سبق في الحديث : كان يُد مدًّا ؛ يعني أنه يمكن الحروف ولا يحذفها ، وهو الذي تسميه القراء بالتجويد في القرآن ، والترتيل أفضل من الإسراع ، فقراءة حزب مرتل مثلاً في مقدار من الزمان ، أفضل من قراءة حزبين في مثله بالإسراع .

مسألة

[في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما يروى : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحلبي : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه كلام النساء ، قال : ولا يدخل في كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ؛ فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل عليه السلام .

وروى البيهقي من حديث ابن عمر : « من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » .

(١) نقل السيوطي عن موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالنعى ؛ وانظر الإقنان : ١ ، ١٠٩ .

مسألة

[في فصل السور بعضها عن بعض]

وأن يفصل كل سورة عما قبلها ، إما بالوقف أو التسمية ، ولا يقرأ من أخرى قبل الفراغ من الأولى ؛ ومنه الوقف على رؤوس الآي ، وإن لم يتم المعنى . قال أبو موسى المديني : وفيه خلاف بينهم ؛ لوقفه صلى الله عليه وسلم في قراءة الفاتحة على كل آية وإن لم يتم الكلام . قال أبو موسى : ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه ؛ وقد يتعلق بعضها ببعض ؛ كما في سورة الفيل مع قريش .

وقال البيهقي رحمه الله وقد ذكر حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية » : ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد .

ومنها أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه إذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر عَرْض الدنيا أجمع [في جنب ما] ^(١) ما خوله الله تعالى ، ويجتهد في شكره . ومنها ترك المباهاة فلا يطلب به الدنيا ؛ بل ما عند الله ؛ وألا يقرأ في المواضع القذرة ، وأن يكون ذا سكينَةٍ ووقار ، مجانباً للذنب ، محاسباً نفسه ، يُعرف القرآن في سمته وخلقِه ؛ لأنه صاحب كتاب الملك والمطلع على وعده ووعيده ، [وليتجنب القراءة في الأسواق ، قاله الحلبي ، وألحق به الحمام . وقال النووي : لا بأس به في الطريق سرّاً حيث لا لغو فيها] ^(٢) .

مسألة

[في ترك خلط سورة بسورة]

عدّ الحلبيُّ من الآداب ترك خلط سورة بسورة ؛ وذكر الحديث الآتي . قال البيهقي : وأحسن ما يحتاج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة

(٢) تكملة من ط ، م .

(١) تكملة من ت

النبي صلى الله عليه وسلم وأخذَه عن جبريل ، فالأولى بالقارى أن يقرأ على التأليف المنقول المجتمع عليه ؛ وقد قال ابن سيرين : تأليفُ الله خيرٌ من تأليفكم . ونقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . « وقد روى أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأبى بكر وهو يقرأ يخفّض صوته ، وبِعمرٍ يجهّر بصوته وذكر الحديث ، وفيه فقال : وقد سمعتُك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة » فقال : كلامٌ طيبٌ يجمعه الله بعضه إلى بعض ؛ فقال : « كلكم قد أصاب » .

وفى رواية لأبى عبيد فى " فضائل القرآن " ،^(١) قال بلال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال : « اقرأ السورة على وجهها » - أو قال على نحوها - وهذه زيادة مليحة . وفى رواية : « إذا قرأت السورة فأنفذها » .

وروى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف ، فقال : شغلنى الجهاد عن تعلم القرآن .

وروى المنع عن ابن سيرين . ثم قال أبو عبيد : الأمرُ عندنا على الكراهة فى قراءة القراء هذه الآيات المختلفة ؛ كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ، وللكراهة ابن سيرين له . ثم قال : إن بعضهم روى حديث بلال ، وفيه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كل ذلك حسن » ، وهو أثبت وأشبه بنقل العلماء . انتهى . ورواه الحكيم الترمذى فى " نواذر الأصول " ، وزاد : « مثل بلال كمثل نخلة غدت تأكل من اللؤلؤ والمرّ ، ثم يصير حلوا كله » .

قال : وإنما شبهه بالنخلة فى ذلك ؛ لأنها تأكلُ من الثمرات : حلوها وحامضها ، ورطبها ويابسها ، وحارها وباردها ؛ فتخرج هذا الشفاء ؛ وليست كغيرها من الطير تقتصر على اللؤلؤ فقط لحظ شهوته فلا جرّم أعاضها الله الشفاء فيما تلقّيه ؛ وهذا كقوله : « عليكم

بألبن البقر فإنها ترم من كل الشجر فتأكل . فبلال رضى الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة ؛ فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت متميزة ؛ كما أنزل الله تعالى ؛ فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء لصنّفها أصنافا ، كل صنّف على حدة ؛ ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يملّ ، قال : ولقد أذهلنى يوما قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُزَلِّ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا . الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ ﴾ (١) فقلت : يا لطيف ؛ علمت أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتترأى لهم تلك الأحوال لا تمالك ؛ فلطفت بهم فنسبت ﴿ الْمَلِكُ ﴾ إلى أعم اسم فى الرحمة ، فقلت : ﴿ الرحمن ﴾ ليلاقى هذا الاسم تلك القلوب التى يحل بها الهول ، فيمازج تلك الأحوال ، ولو كان بدله اسماً آخر ، من « عزيز وجبار » لتفطرت القلوب ، فكان بلال يقصد لما تطيب به النفوس ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين ؛ فهو أعلم بالشفاء .

مسألة

[فى استحباب استيفاء الحروف عند القراءة]

يستحب استيفاء كل حرف أثبتته قارى . قال الحليمي : هذا ليكون القارى قد أتى على جميع ما هو قرآن ؛ فتكون ختمة أصح من ختمة إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بهما . ألا ترى أن صلاة كل من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلاته أجمع من صلاة من ترخص بحذف منها ما لا يضر حذفه .

فصل

[فى ختم القرآن]

ويستحب ختم القرآن فى كل أسبوع ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن فى

كل سبع ولا تزدد». رواه أبو داود . وروى الطبراني بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله صلى الله عليه : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ، قال : كان يجزئه ثلاثاً وخمساً ، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث ، وحملوا عليه حديث : « لا يفته من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » رواه الأربعة ، وصححه الترمذي ، والختار . وعليه أكثر المحققين . أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة ؛ لأنه روى عن عثمان رضي الله عنه ؛ كان يختمه في ليلة واحدة . ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً . رواه أبو داود .

وقال أبو الليث في كتاب " البستان " : ينبغي أن يختم القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرّضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين . انتهى .

وقال أبو الوليد الباجي^(١) : أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم في سبع أو ثلاث . يحتمل أنه الأفضل في الجملة أو أنه الأفضل في حق ابن عمرو لما علم من ترتيبه في قراءته ، وعلم من ضعفه عن استدامته أكثر مما حدّله . وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه . وسئل مالك عن الرجل يختم القرآن في كل ليلة فقال : ما أحسن ذلك ! إن القرآن إمام كل خير .

وقال بشر بن السري : إنما الآية مثل التمرة كلما مضفتها استخرجت حلاوتها . فحدث به أبو سليمان ، فقال : صدق ؛ إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتداء السورة أراد آخرها .

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي المالكي الأندلسي الباجي ، ولد سنة ٤٠٣ بمدينة بطليوس ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٢٦ أو نحوها . فأقام في مكة وبغداد ودمشق وغيرها ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ . ابن خلكان : ١ ، ٢١٥ .

مسألة

[في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف]

يُسَنُّ خَتْمُهُ فِي الشَّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ ؛ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ لِأَحَدٍ ؛ فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ . وَيَجْمَعُ أَهْلُهُ عِنْدَ خَتْمِهِ وَيَدْعُو .
وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا خَتَمَ أَوَّلَ النَّهَارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمَسِيَ ، وَإِذَا خَتَمَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

مسألة

[في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى]

يَسْتَحَبُّ التَّكْبِيرُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى ؛ إِلَى أَنْ يَخْتَمَ ؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ أَخَذَهَا ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَمُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي ، وَأَبِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ وَقَوَّاهُ وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ مُوقُوفًا عَلَى أَبِي بَسْنَدٍ مَعْرُوفٍ ^(١) ؛ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ عَلَى عَادَتِهِ [فِي] ^(٢) التَّشْدِيدِ ؛ وَاسْتَأْنَسَ لَهُ الْحَلِيمِيُّ بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَبْعَاضٍ

(١) نقله ابن كثير في التفسير ٤ : ٥٢١ ؛ قَالَ : « رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرَةَ الْقُرَيْشِيِّ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى عِكْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينٍ وَشَيْبَةَ بْنِ عَبَادٍ فَلَمَّا بَلَغَتْ « وَالضُّحَى » قَالَا لِي : كَبِّرْ حَتَّى تَخْتَمَ مَعَ خَاتَمَةِ كُلِّ سُورَةٍ ، فَإِنَا قَرَأْنَا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ فَأَمَرْنَا بِذَلِكَ ؛ وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ أَبُو أَبِي بَرَةَ أَنَّ قُرْآنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ »

(٢) تكملة من ط .

متفرقة ؛ فكانه ^(١) كصيام الشهر ؛ وقد أمر الناس أنه إذا أكلوا العدة أن يكبروا الله على ما هدام . فالقياس أن يكبر القارى إذا أكمل عدة السور .

وذكر غيره أن التكبير [كان] لا استشعار انقطاع الوحي ؛ قال : وصفته في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة ، ثم قال : الله أكبر ، ثم وقف وقفة ثم ابتداء السورة التي تليها إلى آخر القرآن . ثم كبر كما كبر من قبل ، ثم أتبع التكبير الحمد ، والتصديق ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء .

وقال ^(٢) سليم الرازى ^(٣) في تفسيره : يكبر ^(٤) القارى بقراءة ابن كثير إذا بلغ « والضحي » بين كل سورتين تكبيرة ؛ إلى أن ينجم القرآن ولا يصل آخر السورة بالتكبير ؛ بل يفصل بينهما بسكتة ؛ وكأن المعنى في ذلك ما روى أن الوحي كان تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس : إن محمدا قد ودّعه صاحبه وقلاه ، فنزلت هذه السورة ، فقال : الله أكبر ، قال : ولا يكبر في قراءة الباقيين ؛ ومن حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن ؛ بأن زيد عليه فيتوهم أنه من القرآن فيثبتوه فيه ^(٥) .

مسألة

[في تكرير سورة الإخلاص]

مما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ؛ نص الإمام أحمد على

(١) م : « فكانت » (٢) من هنا إلى آخر الفصل ساقط من ت .

(٣) هو أبو الفتح سليم بن أيوب الرازى المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ؛ صاحب التفسير المسمى ضياء القلوب في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٠٩١ . (٤) نقله القرطبي في التفسير ٢٠ : ١٠٣ .

(٥) ذكر ابن الجزرى اختلاف القراء في ابتداء التكبير : هل هو من أول الضحى أو من آخرها ؛ وفي انتهائه هل هو من أول السورة أو آخرها . وانظر النشر ٢ : ٤٠٠ .

المنع ؛ ولكن عمل الناس على خلافه ؛ قال بعضهم : والحكمة في التكرير ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن ؛ فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فعلى هذا كان ينبغي أن يقرأ ثلاثا بعد الواحدة التي تضمنتها الختمة ؛ فيحصل ختمتان .

قلنا : مقصود الناس ختمة واحدة ؛ فإن القارىء إذا قرأها ثم أعادها مرتين كان على يقين من حصول ختمة ؛ إما التي قرأها من الفاتحة إلى آخر القرآن ، وإما [التي حصل] ^(١) ثوابها بقراءة سورة الإخلاص ثلاثا ، وليس المقصود ختمة أخرى .

مسألة

[فيما يفعله القارىء عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم وقرأ الموعزين قرأ الفاتحة وقرأ خمس آيات من البقرة إلى قوله : ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) لأن « آلم » آية عند الكوفيين ، وعند غيرهم بعض آية . وقد روى الترمذى : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال ^(٣) المرتحل ، قيل المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة ؛ وليس فيه ما يدل على أن الدعاء لا يتعقب الختم .

(٢) سورة البقرة هـ .

(١) تكملة من ت

(٣) نقله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٣ : سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الحال المرتحل ، قيل : وما ذاك ؟ قال : الخاتم المفتوح ؛ وهو الذى يختم القرآن بتلاوته ؛ ثم يفتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ثم يفتح سيره ؛ أى يبتدئه ؛ وكذلك قراء مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتداء وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى : « وأولئك هم المفلحون » . ثم يقطعون القراءة ، ويسمون بأغل ذلك الحال المرتحل ، أى ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل : أراد بالحال المرتحل الغازى الذى لا يقفل عن غزو إلا عقبه بآخر .

فائدة

روى ^(١) البيهقي في دلائل النبوة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند ختم القرآن : اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لى أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل ، واجعله لى حُجّة يارب العالمين . رواه فى شعب الإيمان بأطول من ذلك ، فليُنظر فيه .

مسألة

[فى آداب الاستماع]

استماعُ القرآن والتفهّم لمعانيه من الآداب المَحْتَوِث عليها ، ويكره التحدّث بحضور القراءة ، قال الشيخُ أبو محمد بن عبد السلام : والاشتغالُ عن السماع بالتحدّث بما لا يكون أفضلَ من الاستماعِ سوءُ أدب على الشرع ، وهو يقتضى أنه لا بأس بالتحدّث للمصلحة .

مسألة

[فى حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن]

وأفتى الشيخ أيضاً بالمنع من أن يشرب شيئاً كُتِبَ من القرآن ، لأنه تلاقيه النجاسة الباطنة .

وفى ما قاله نظر ؛ لأنها فى معنيتها لا حكم لها .

(١) هذا الفصل ساقط من ت ؛ وهو فى م وحواشى ط ؛ نقله عن خط المؤلف .

ومن صرح بالجواز من أصحابنا العماد النيهي^(١) تلميذ البغوي^(٢) فيما رأيته بخط ابن الصلاح .

قال : لا يجوز ابتلاع رُقعة فيها آية من القرآن ، فلو غَسَلَهَا وشرب ماءها جاز . وحزم القاضي الحسين ،^(٣) والرافعي^(٤) بجواز أكل الأطعمة التي كتب عليها شيء من القرآن . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي في ذكر منصور بن عمار^(٥) : أنه أوى الحكمة : وقيل إن سبب ذلك أنه وجد رُقعة في الطريق مكتوبا عليها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فأخذها فلم يجد لها موضعا ، فأكلها ، فأرى فيما يرى النائم كأن قائلا [قد] قال له : قد فتح الله عليك باحترامك لتلك الرُقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة .

مسألة

[القيام للمصاحف بدعة]

وقال الشيخ أيضا في ” القواعد “،^(٦) : القيام للمصاحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول ،

-
- (١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد النيهي الفقيه ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ تفقه على القاضي حين بن محمد ؛ وسمع الحديث من أستاذه عبد الله بن محمد البغوي ؛ توفي في حد سنة ٤٨٠ .
الآب ٣ : ٢٥٣ ، ومعجم البلدان ٨ : ٣٦٩ .
- (٢) هو عبد الله محمد البغوي .
- (٣) هو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الروزي ؛ شيخ الشافعية في زمانه ؛ وصاحب الفتاوى المشهورة توفي سنة ٤٦٢ هـ فتراث الذهب ٣ : ٣١٠ .
- (٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي المتوفى سنة ٦٢٣ ، صاحب الشرح على الوجيز في فقه الشافعية (كشف الظنون) .
- (٥) هو أبو السري منصور بن عمار ؛ البصري ؛ الزاهد الواعظ ؛ قال ابن حجر : كان إليه المنتهى في بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك الهمم . لسان الميزان ٥ : ٩٨ .
- (٦) هو المعروف بالقواعد الكبرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ . كشف الظنون ١٣٥٩ .

والصواب ما قاله النووي في " التبيان " (١) ؛ من استحباب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . وسئل العباد بن يونس الموصلي عن ذلك : هل يستحب للتعظيم أو يكره خوف الفتنة ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نقل مسموع ، والكل جائز ، ولكل نيت وقصد .

مسألة

[في حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعه في شق أو غيره ليحفظ . لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ؛ وفي ذلك إضرار بالمكتوب - كذا قاله الحلبي ؛ قال : وله غسلها بالماء ، وإن أحرقتها بالنار فلا بأس ، أحرقت عثمان مصاحف فيها آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه .

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل ؛ لأن الغسالة قد تقع على الأرض ، وجزم القاضي الحسين في " تعليقه " بامتناع الإحراق ؛ وأنه خلاف الاحترام ، والنووي بالكرهية ، فصل ثلاثة أوجه .

وفي " الواقعات " (٢) من كتب الحنفية أن المصحف إذا تلى لا يحرق بل تحفر له في الأرض ، ويدفن .

ونقل عن الإمام أحمد أيضا . وقد يتوقف فيه لتعرضه للوطء بالأقدام .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ؛ للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي التوفي سنة ٦٧٦ ، (كشف الظنون) .

(٢) الواقعات في الفروع ، لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني الحنفي التوفي سنة ٤٥٦ ، وللجصاص أيضا ، ولطاهر بن أحمد البخاري صاحب الخلاصة التوفي سنة ٥٤٢ ، ولأبي اليسر وللامام فخر الدين حسين ابن منصور المعروف بقاضيخان التوفي سنة ٥٩٢ (كشف الظنون) .

مسألة

[في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله]

ويستحب تطيبُ المصحف وجعله على كرسى ، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح ، روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفا فقال : حدثني أبي عن جدّي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضى الله عنه ، وأنهم فضّضوا المصاحف على هذا ونحوه : وأما بالذهب فالأصحّ يباح للمرأة دون الرجل ، وخصّ بعضهم الجواز بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه ؛ والأظهر التسوية .

ويَحْرُمُ توشد المصحف وغيره من كتب العلم ؛ لأن فيه إذلالاً وامتهانا ، وكذلك مدّ الرجلين إلى شيء من القرآن أو كتب العلم .

ويستحب تقبيلُ المصحف ؛ لأنّ عكرمة بن أبى جهل كان يقبّله ، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ؛ ولأنه هدية لعباده ، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيلُ الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف .

وإن كان فيه رفعة وإكرام ؛ لأنه لا يدخله قياس ؛ ولهذا قال عمر في الحجر : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ويحرم السفر بالقرآن إلى أرض العدو للحديث فيه : خوف أن تناله أيديهم . وقيل : إن كثّر القراءة وأمين استيلاؤهم عليه لم يمنع ؛ لقوله : « مخافة أن تناله أيديهم » .

ويحرم كتابة القرآن بشيء نجس؛ وكذلك ذكر الله تعالى؛ وتسكبه كتابته في القطع الصغير؛ رواه البيهقي عن عليّ وغيره. وعنه تنوّق رجل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فغفر له.

وقال الضحاك بن مزاحم: ليتني قد رأيت الأيدي تقطع فيمن كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. يعني لا يجعل له سنّات. قال: وكان ابن سيرين يكره ذلك كراهة شديدة. ويستحب تجريد المصحف عمّا سواه. وكرهوا الأعشار والأخماس معه، وأسماء السور وعدد الآيات. وكانوا يقولون: جردوا المصحف. وقال الحلبي: يجوز، لأن النقط ليس له قرار فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنا؛ وإنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه في الصلاة وفي فضائل القرآن: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله بن مسعود: جردوا القرآن. وفي رواية: لا تلتحقوا به ما ليس منه. ورواه عبد الرزاق في مصنفه في أواخر الصوم. ومن طريقه رواه الطبراني في معجمه، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه إبراهيم الحربي في كتابه "غريب الحديث". وقال: قوله: «جردوا»، يحتمل فيه أمران: أحدهما أي جردوه في التلاوة ولا تخلطوا به غيره، والثاني أي جردوه في الخط من النقط والتشوير.

قلت: الثاني أولى لأن الطبراني أخرج في معجمه عن مسروق عن ابن مسعود أنه كان يكره التشوير في المصحف. وأخرجه البيهقي في كتاب "المدخل"، وقال: قال أبو عبيد: كان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف. ويروى عن عبد الله أنه كره التشوير في المصحف. قال البيهقي: وفيه وجه آخر أبين منه، وهو أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى؛

وليسوا بآمنين عليها . وقويَ هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي عن قرظة بن كعب قال :
لما خرجنا إلى العراق خرج معنا عمر بن الخطاب يشيعنا فقال : إنكم تأتون أهلَ قرية لهم
دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تشغلوم بالأحاديث فتصدوم ، وجرّدوا القرآن .
قال : فهذا معناه أى لا تخلطوا معه غيره .

خاتمة

روى البخارى فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع
منه ، لُعن بكل حرف عشر لعنات » .

النوع السلاشون
في أنه هل يجوز في النصائيف والرسائل والنخطب
استعمال بعض آيات القرآن

وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير

وحركة إعراب

جوزَ ذلك بعضهم للمتمكن من العربية؛ وسئل الشيخ عز الدين فقال : ورد عنه
صلى الله عليه وسلم : « وجهت وجهي » ، والتلاوة ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ ^(١) .

وما روى البخاري في كتاب ^(٢) إلى هرقل : « سلام على من اتبع الهدى » ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ ^(٣) .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم آتنا في الدنيا حسنة » .

وفي حديث آخر لابن عمر : « قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » ^(٤) .

وقال عليه السلام : « اللهم فالق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر
حسابنا ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر » .

(١) في باب كيف بدأ الرحي .

(٢) سورة الأنعام ٧٩

(٣) سورة آل عمران ٦٤ ، وقد ورد الحديث في الأصول مقتضيا ؛ والذي في البخاري : « سلام على
من اتبع الهدى » ؛ أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت
فإن عليك إثم الأريسين ؛ وأهل الكتاب تمالوا إلى كلمة سواء ... »

(٤) كلمة « حسنة » ساقطة من ت .

وفي سياق كلامه ^(١) لأبي بكر : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٢) ،
 مقصد الكلام ولم يقصد التلاوة .

وقول علي رضي الله عنه : إني مبايع صاحبكم ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(٣) .

وقول ^(٤) الخطيب ابن نباتة : ^(٥) هنالك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع
 من له الثواب ، وحق عليه العذاب ، فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورَةً لَهُ بَابٌ ^(٦) .

وقال النووي رحمه الله : إذا قال : ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ ^(٧) وهو جُنُبٌ ، وقصد

غير القرآن جازأله ، وله أن يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ^(٨) .

قال إمام الحرمين : إذا قصد القرآن بهذه الآيات عصى ، وإن قصد الذِّكْرَ ولم يقصد

شيئا لم يعص .

والطرطوشي ^(٩) :

رحل الظاعنون عنك وأبقوا في حواشي الأحشاء وجدا مقيا

قد وجدنا السلام يراد سلاما إذ وجدنا التوى عذابا أليما

وثبت عن الشافعي :

(١) من كلمته حينما عهد لعمر بالخلافة ، وانظر السكامل للبرد - بشرح الرصني ١ : ٦٢ .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٧ (٣) سورة الأقال ٤٢ .

(٤) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الحناتقي الفارقي صاحب الخطب المشهورة في
 المواعظ ؛ وكان خطيب حلب ؛ وفيها اجتمع سيف الدولة ؛ وأغلب خطبه تدور حول الجهاد والحض عليه .
 توفي سنة ٣٧٤ . ابن خلكان ١ : ٢٨٣ .

(٥) قلها صاحب المثل السائر في باب التضمين ٢ : ٣٤٧ .

(٦) تضمين لآية الحديد ٣

(٧) سورة مريم ١٢ (٨) سورة الزخرف ١٣ .

(٩) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي ، الزاهد العابد ، صاحب كتاب
 سراج اللوك . توفي سنة ٥٢٠ . ابن خلكان ١ : ٤٧٩ .

أُنلني بالذي استقرضت خطاً وأشهدُ معشراً قد شاهدوه ^(١)
فإن الله خـلّاق البرايا عنت لجلال هيئته الوجوه
يقول « إذا تداینتم بدین إلى أجلٍ مُسمًى فاكتبوه » ^(٢)

ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني أن تضمين القرآن في الشعر مكروه ، وأئمة البيان
جوزوه وجعلوه من أنواع البديع ، وسمّاه القدماء تضميناً والتأخرون اقتباساً ، وسمّوا
ما كان من شعر تضميناً .

مسألة

[يكره ضرب الأمثال بالقرآن]

يكره ضربُ الأمثال بالقرآن، نص عليه من أصحابنا الإمام النّهيّ صاحب البغوى ، كما
وجدته في ” رحلة ابن الصلاح “ ^(٣) بخطه .
وفي كتاب ” فضائل القرآن “ لأبي عبيد عن النّخعيّ قال : كانوا يكرهون أن يتلوا
الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا .

قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بحاجته ، فيأتيه من غير طلب ،
فيقول كالمزاح : ﴿ حِثَّ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ ^(٤) ؛ فهذا من الاستخفاف بالقرآن ؛ ومنه
قول ابن شهاب : ^(٥) لا تُناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيراً من القول ولا الفعل .

(١) ط « عاينوه » .

(٢) تضمين قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٢ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

(٣) رحلة ابن الصلاح فوائدهما الشيخ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بالصلاح ؛
المتوفى سنة ٨٤٣ ؛ في رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائده في سائر العلوم . كشف الظنون ٨٣٦ .

(٤) سورة طه ٤٠ .

(٥) هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ؛ أحد الأئمة من التابعين .

تنبيه

[لا يجوز تعدى أمثلة القرآن]

لا يجوز تعدى أمثلة القرآن؛ ولذلك أنكر على الحريري في قوله في مقامته الخامسة عشرة^(١) « فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا أُخْرِجُ^(٢) مِنَ النَّابُوتِ ، وَأَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْمَنْكِبُوتِ » ، فأنى معنى أبلغ من معنى أ كده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْمَنْكِبُوتِ ﴾^(٣) فَأَدْخَلَ إِيَّاهُ ، وَبَنَى أَفْضَلَ التَّفْضِيلِ ، وَبَنَاهُ مِنَ الْوَهْنِ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْجَمْعِ ، وَعَرَفَ الْجَمْعَ بِاللَّامِ ، وَأَتَى فِي خَيْرِ إِنْ بِاللَّامِ ! وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾^(٤) ؛ وَكَانَ اللَّاتِي بِالْحَرِيرِيِّ أَلَّا يَتَجَاوَزَ هَذِهِ الْمِبَالَةَ وَمَا بَعْدَ تَمَثِيلِ اللَّهِ تَمَثِيلًا ؛ وَقَوْلُ اللَّهِ أَقْوَمُ قِيلَ ، وَأَوْضَحُ سَبِيلَ ؛ وَلَكِنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ ﴾^(٥) ، وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا لَمَّا دُونَ ذَلِكَ قَال : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرَنَ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْضَةٍ ... »^(٦) وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾^(٧) فَقَدْ جَمَلَ وَلَوِجَ الْجَمَلِ فِي السَّمِّ غَايَةَ لِنَفْيِ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ ، وَتِلْكَ غَايَةٌ لَا تَوْجِدُ ، فَلَا يَزَالُ دُخُولُهُمُ الْجَنَّةَ مَنْفِيًّا ، وَهَذَا الشَّاعِرُ وَصَفَ جَسْمَهُ بِالنَّحْوِ ، بِمَا يَنْقُضُ الْآيَةَ . وَمِنْ هَذَا جَرَتْ

(١) هي المقامة القرصية ١ : ٢٣٠ - بشرح الشريشي .

(٢) سورة النكبت ٤١ .

(٣) أخرج : أضيق

(٤) سورة البقرة ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام ١٥٢

(٦) قتله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٢٧١ عن الترمذي ولفظه فيه : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ

الله جَنَاحَ بَعْضَةٍ مَاسِي كَافِرًا مِنْهَا شَرِبَ مَاءً » .

(٧) سورة الأعراف ٤٠ .

مناظرة بين أبي العباس أحمد بن سريج^(١)، ومحمد بن داود الظاهري^(٢)؛ قال أبو العباس له :
 أنت تقول بالظاهر وتنكر القياس ، فما تقول في قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
 يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(٣) فمن يعمل مثقال نصف ذرة ما حكمة ؟ فسكت
 محمد طويلا وقال : أبلغني ربي ؛ قال له أبو العباس : قد أبلغتك دجلة ، قال : أنظرني
 ساعة ، قال : أنظرتك إلى قيام الساعة ، وافترقا ، ولم يكن بينهما غير ذلك .

وقال بعضهم : وهذا من مغالطات ابن سريج وعدم تصور ابن داود ؛ لأن الذرة ليس
 لها أبعاد فتمثل بالنصف والربع وغير ذلك من الأجزاء ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنْ أَلَّهَ
 لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾^(٤) فذكر سبحانه ما لا يتخيل في الوهم أجزاءه ، ولا يدرك تفرقه .

(١) هو القاضي أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس البغدادي الشافعي ، شيخ المذهب ؛ وحامل لوائه ؛
 ذكره السبكي وأورد المناظرة التي قامت بينه وبين داود الظاهري في طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصمهاني المعروف بالظاهري ؛ الفقيه الأديب الشاعر ؛
 توفي سنة ٢٩٧ ، ابن خلكان ١ : ٤٧٨ .

(٤) سورة النساء ٤٠ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

النوع الحادى والثلاثون معرفة الأمثال

الكائنة فيه

وقد روى البيهقى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال .

وقد عدّه الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المثبتة لا جتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل . انتهى .

وقد صنف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره . ؛ وحقيقته إخراج الأغص إلى الأظهر ؛ وهو قسمان : ظاهر وهو المصرّح به ، وكامن وهو الذى لا ذكر للثقل فيه ، وحكمه حكم الأمثال .

وقسمه أبو عبد الله البكراباذى إلى أربعة أوجه : أحدها إخراج ما لا يقع عليه الحسن إلى ما يقع عليه ، وثانيها إخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة ، وثالثها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، ورابعها إخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة . انتهى .

وضرب الأمثال فى القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ،

والزجر، والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تخفيفه، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ ^(١)، فامتّن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ^(٢)، وقال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ^(٣).

والأمثال مقادير الأفعال، والمثّل كالصانع الذي يقدر صناعته، كالخياط يقدر الثوب على قامة الخيط، ثم يفرّقه، ثم يقطع. وكل شيء له قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال.

وقال الخفاجي: سمي مثلاً لأنه ماثّل ^(٤) بخاطر الإنسان أبداً، أي شاخص، فيتأثّر به ويتمطّ، ويخشى ويرجو، والشاخص المنتصب. وقد جاء بمعنى الصفة، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ التَّمَثُّلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٥) أي الصفة العليا، وهو قول « لا إله إلا الله »، وقوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٦) أي صفها.

ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أغوّن شيء على البيان.

فإن قلت: لماذا كان المثل عوناً على البيان، وحاصله قياس معنى بشيء، من عرف ذلك القيس نفقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة!

(٢) سورة الروم ٥٨.

(٤) ت: « يماثل » تحريف.

(٦) سورة الرعد ٣٠.

(١) سورة إبراهيم ٢٥.

(٣) سورة النكوت ٤٣.

(٥) سورة النحل ٦٠.

والجواب أن الحكم والأمثال تصوّر المعاني تصوّر الأشخاص ؛ فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان ، لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المعقولة ؛ فإنها مجردة عن الحس ولذلك دقت ؛ ولا ينظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل للضروب مجرّبا مسلما عند السامع .

وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى ؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والشاهد بالغائب ، فالمرغّب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكّد في قلبه المقصود ، والمرهّد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكّد قبحه في نفسه .

وفيه أيضا تبيّنت الخضم ، وقد أكثر تعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال وفي سوز الإنجيل سورة الأمثال ^(١) .

قال الزمخشري : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني ، وإدناء المتوهم من المشاهد ؛ فإن كان التمثيل له عظيما كان التمثيل به مثاه ، وإن كان حقيرا كان التمثيل به كذلك ؛ فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له ، ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور ، وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة ، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلا في الوهن والضعف .

والمثل هو المستغرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٣) ؛ ولما كان المثل السائر فيه غريبة استعير لفظ المثل للحال ، أو الصفة ، أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غريبة .

(٢) سورة النحل ٦٠

(١) لعله أراد أمثال سليمان من كتب العهد القديم .

(٣) سورة الرعد ٣٥

أما استعارته للحال فكقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(١)؛ أي حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٢) أي الوصف الذي له شأن، وكقوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(٣)، وكقوله: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾^(٤) وقوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٦) .

وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٧) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة؛ ثم أخذ في بيان عجائبها .

لا يقال: إن في هذه الأقسام الثلاثة تداخلاً؛ فإن حال الشيء هي وصفه، ووصفه هو حاله؛ لأننا نقول: الوصف يُشعرُ ذكره بالأمور الثابتة الذاتية أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم، فتغايروا. وإن أطلق أحدُهما على الآخر فليس ذلك إطلاقاً حقيقياً. وقد يكون الشيء مثلاً له في الجرم، وقد يكون ما تعلقه النفس ويتوهم من الشيء مثلاً، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٨)؛ معناه أن الذي يتحصّل في النفس الناظر في أمرهم، كالذي يُتحصّل في نفس الناظر من أمر المستوقد؛ قاله ابن عطية، وبهذا يزول الإشكال الذي في تفسير قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾^(٩) وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١٠)؛ لأن ما يحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفي ما لا يجوز عليه ليس بمثاله فيه شيء؛

(٢) سورة الحل ٦٠
(٤) سورة البقرة ٢٦٤
(٦) سورة الجمعة •
(٨) سورة البقرة ١٧

(١) سورة البقرة ١٧
(٣) سورة الفتح ٢٩
(٥) سورة العنكبوت ٤١
(٧) سورة الرعد ٣٥
(٩) سورة الشورى ١١

وذلك المتحصل هو المثل الأعلى ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(١) ، وقد جاء : ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) ففسر بجهة الوجدانية .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ ^(٣) : هي الأمثال ، وقيل : العقوبات .

وقال الزجاجي : المثل في الأصل بمعنى المثل ، أى النظير ؛ يقال : مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه . ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة . انتهى .

وظاهر كلام أهل اللغة أن « المثل » ، بفتحين : الصفة كقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(٤) ، وكذا ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٥) . وما اقتضاه كلامه من اشتراط الغرابة يخالف أيضاً لكلام اللغويين . وما قاله من أن المثل والمثل بمعنى ينبى أن يكون مراده باعتبار الأصل وهو الشبه ؛ وإلا فالحققون — كما قاله ابن العربي — على أن المثل (بالكسر) عبارة عن شبه المحسوس ، وبفتحها عبارة عن شبه المعانى المعقولة ؛ فالإنسان يخالف للأسد في صورته مشبه له ^(٦) في جرائته وحدته ، فيقال للشجاع أسد ، أى يشبه الأسد في الجرأة ، ولذلك يخالف الإنسان الفيت في صورته ^(٧) ، والكريم من الإنسان يشابهه في عموم منفعته .

وقال غيره : لو كان المثل والمثل سيان للزم التناقى بين قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٨) ، وبين قوله : ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٩) فإن الأولى نافية له والثانية مثبتة له .

(٢) سورة محمد ١٩

(١) سورة النحل ٦٠

(٣) سورة الرعد ٦

(٥) سورة الرعد ٣٥

(٤) سورة البقرة ١٧

(٧) سورة الشورى ١١

(٦ - ٦) ساقط من ت

(٨) سورة النحل ٦٠

وفرق الإمام فخر الدين بينهما بأن المثل هو الذي يكون مساويا للشيء في تمام الماهية ، والمثل هو الذي يكون مساوياً له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية .

وقال حازم في كتاب " منهاج البلغاء " : وأما الحكم والأمثال ؛ فإما أن يكون الاختيار فيها بجرمي الأمور على المعتاد فيها ، وإما بزوالها في وقتٍ عن المعتاد ؛ عن جهة الغرابة أو الندور فقط ، لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه ؛ إذ لا يحسنُ منها التحرز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها تستقر به ؛ وليبين لها أسباب الأمور ، وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها ؛ فهذه قوانين الأحكام والأمثال ؛ قلما يشدّ عنها من جزئياتها شيء .

فنه قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرَقٌّ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنْ أَلَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَوُضَّهَ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعْتًا ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ... ﴾ ^(٦) الآيات .

(١) سورة البقرة ١٧

(٢) سورة البقرة ٢٦

(٥) سورة الجمعة ٥

(٢) سورة البقرة ١٩

(٤) سورة العنكبوت ٤٩

(٦) سورة التحريم ١٠ ، ١٢

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾ ^(١) الآية .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ... ﴾ ^(٣) الآية .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَدَنٍ قُوَّةً أَنْكَارًا ﴾ ^(٤) .

فهذه أمثال قصار وطوال مقتضبة من كلام الكشف .

فإن قلت : في بعض هذه الأمثلة تشبيه أشياء بأشياء لم يذكر فيها المشبهات ، وهلا صرح بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥) ؟

قلت : كما جاء ذلك تصريحاً فقد جاء مطوياً ، ذكره على طريق الاستعارة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ ^(٦) ، وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ ^(٧) .

والصحيح الذي عليه علماء البيان أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة المقربة لا يتكلف لكل واحد شيء بقدر شبهه به ؛ بناء على أن العرب تأخذ أشياء فردى معزولة بعضها من بعض ، تشبهها بنظائرها ، كما جاء في بعض الآيات ^(٨) من القرآن . وقد تشبه أشياء قد تضامت وتلاحقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها ، وذلك كقوله

(٢) سورة النور ٣٩ .

(٤) سورة النحل ٩٢ .

(٦) سورة قاطر ١٢ .

(٨) ط : « في القرآن » .

(١) سورة البقرة ٢٦٤

(٣) سورة النور ٤٠

(٥) سورة غافر ٥٨

(٧) سورة الزمر ٢٩

تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(١) ، فإن الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذي يحمل أسفار الحكمة ، وليس له من حملها إلا الثقل ^(٢) والتعب من غير فائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْخَيْاتِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(٣) ، المراد قلة ثبات زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر .

وقد ضرب الله تعالى لما أنزله من الإيمان والقرآن مثلين ، مثله بالماء ، ومثله بالنار ، فثله بالماء لما فيه من الحياة ، وبالنار لما فيه من النور والبيان ؛ ولهذا سماه الله روحا لما فيه من الحياة ، وسماه نورا لما فيه من الإنارة ؛ ففي سورة الرعد قد مثله بالماء فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ﴾ ^(٤) الآية ، فضرب الله الماء الذي نزل من السماء قنديل الأودية بقدرها ، كذلك ما ينزله من العلم والإيمان فتأخذ القلوب كل قلب بقدره ، والليل يحتمل زبدا رايا ، كذلك مافي القلوب يحتمل شبهات وشهوات . ثم قال : ﴿ وَبِمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ﴾ ^(٥) ؛ وهذا المثل بالنار التي توقد على الذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فيختلط بذلك زبد أيضا كالزبد الذي يعلو السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٦) ، كذلك العلم النافع يمسك في القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ؛

(٢) ت : « الثقل » .

(١) سورة الجمعة .

(٣) سورة الكهف . ٤٥ .

(٤) سورة الرعد ١٧ .

يقول. كما اضمحل هذا الزبد فصار جُفاء لا يُنتفع به ولا تُرْجى بَرَكتُه، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ^(١).

وفي الحديث الصحيح : « إنَّ مثلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأُنبَت الكَلأُ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيمان لا تُمْسك ماءً، ولا تُنْبِت كَلأً، وذلك مَثَلٌ مَنْ قِيه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً، ولم يَقْبَلْ هَدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلَتْ بِهِ » .

وقد ضرب الله للمناققين مثلين: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر، فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ ^(٢) الآية ، يقال : أضاء الشيء وأضاءه غيره فيستعمل لازماً ومتعدياً ، فقوله : ﴿ أَضَاءَتْ مَاحُولُهُ ﴾ هو متعدٍ ؛ لأن المقصود أن تضيء النار ما حول من يريد بها حتى يراها ، وفي قوله في البرق : ﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) ، ذكر اللازم ؛ لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان ؛ فإذا أضاء البرق سار ، وقد لا يضيء ما حول الإنسان ، إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان ، فجعل سبحانه المناققين كالنار أو قد نارا فأضاءت ثم ذهب ضوءها ، ولم يقل «انطفأت» ، بل قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ^(٤) ؛ وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها فتضرر . وهذا المثل يقتضى أن المناقق حصل له نور ثم

(١) قوله ابن جرير الطبري في التفسير ١٣ : ٩١ (طبعة بولاق) .

(٢) سورة البقرة ١٧

(٤) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠

ذهب ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(١) .

[تم بمون التوجيه توفيقه الجزء الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشي .
ويليه الجزء الثاني ، وأوله : النوع الثاني والثلاثون - معرفة أحكامه] .



فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة	
٣	مقدمة المؤلف
١٣	فصل في علم التفسير
١٦	فصل في علوم القرآن

النوع الأول

٢٢	معرفة أسباب النزول
٢٩	فصل فيما نزل مكررا
٣٢	فصل في خصوص السبب وعموم الصيغة
٣٢	تقدم نزول الآية على الحكم
٣٣	فائدة من كتاب الأدب المفرد في بر الوالدين

النوع الثاني

٣٥	معرفة المناسبات بين الآيات
٤٠	أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض
٥٠	فصل في اتصال اللفظ، والمعنى على خلافه

النوع الثالث

٥٣	معرفة القواصل وروس الآي
٦٠	إيقاع المناسبة في مقاطع القواصل
٦٨	تقریعات

صفحة

٦٨

ختم مقاطع القواصل بحروف المد واللين

٦٩

مبنى القواصل على الوقف

٧٢

المحافظة على القواصل لحسن النظم والثناء

٧٢

تقسيم القواصل باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف

٧٥

» » » المتوازي والمتوازن والمتطرف

٧٨

اكتلاف القواصل مع ما يدل عليه الكلام

٨٤

فصل : قد تجتمع قواصل في موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك في مواضع

٨٦

تنبيه : اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد

٨٨

تنبيه : اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف

٨٨

تنبيه : تمكين المعنى الذي سبقت له الفاصلة

٩٣

تنبيه : قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن

٩٨

فصل في ضابط القواصل

النوع الرابع

١٠٢

في جمع الوجوه والنظائر

النوع الخامس

١١١

علم التشابه

الفصل الأول : التشابه باعتبار الأفراد

١٣٣

» الثاني : ما جاء على حرفين

١٣٧

» الثالث : ما جاء على ثلاثة أحرف

١٤٠

» الرابع : ما جاء على أربعة حروف

صفحة

١٤٤	الفصل الخامس	: ما جاء على خمسة حروف
١٤٥	» السادس	: ما جاء على ستة حروف
١٤٦	» السابع	: ما جاء على سبعة حروف
١٤٧	» الثامن	: ما جاء على ثمانية حروف
١٤٨	» التاسع	: ما جاء على تسعة حروف
١٤٨	» العاشر	: ما جاء على عشرة حروف
١٤٩	» الحادى عشر	: ما جاء على أحد عشر حرفاً
١٥١	» الثانى عشر	: ما جاء على خمسة عشر حرفاً
١٥١	» الثالث عشر	: ما جاء على ثمانية عشر وجهاً
١٥٢	» الرابع عشر	: ما جاء على عشرين وجهاً
١٥٣	» الخامس عشر	: ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

النوع السادس

١٥٥ علم البهيات

١٦٠ تنبيهات

النوع السابع

١٦٤ فى أسرار القوامح والسور

١٦٤ ١ - الاستفتاح بالثناء

١٦٥ ٢ - الاستفتاح بحروف التهجى

١٧٠ تنبيهات

١٧٧ فصل

١٨٢ ٣ - الاستفتاح بالنداء

صفحة

١٧٩

٤ - الاستفتاح بالجلل الخبرية

١٧٩

٥ - الاستفتاح بالقسم

١٨٠

٦ - الاستفتاح بالشرط

١٨٠

٧ - الاستفتاح بالأمر

١٨٠

٨ - الاستفتاح بالاستفهام

١٨٠

٩ - الاستفتاح بالدعاء

١٨٠

١٠ - الاستفتاح بالتعليل

النوع الثامن

١٨٢

في خواتم السور

١٨٥

فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها

١٨٦

فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها

النوع التاسع

معرفة للمكي والمدني ، وما نزل بمكة وما نزل

١٨٧

بالمدينة وترتيب ذلك

١٩١

فصل

١٩٢

فصل

١٩٣

ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

١٩٤

ذاكر ترتيب ما نزل بالمدينة

١٩٥

ذاكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

١٩٥

ذاكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكي

١٩٦

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

صفحة

١٩٦

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

١٩٧

ما نزل بالحنة

١٩٧

ما نزل ببيت المقدس

١٩٧

ما نزل بالطائف

١٩٧

ما نزل بالحديبية

١٩٨

ما نزل ليلا

١٩٩

ما نزل مشعا

١٩٩

الآيات المدنية في السور المدنية

٢٠٢

الآيات المدنية في السور المدنية

٢٠٣

ما حل من مكة إلى المدينة

٢٠٣

ما حل من المدينة إلى مكة

٢٠٥

ما حل من المدينة إلى الحبشة

النوع العاشر

٢٠٦

معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

النوع الحادي عشر

٢١١

معرفة على كم لغة نزل

٢١٣

القول في القراءات السبع

النوع الثاني عشر

٢٢٩

في كيفية إنزاله

صفحة

النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة

- ٢٣٣ جمع القرآن على عهد أبي بكر
٢٣٥ نسخ القرآن في المصاحف
٢٤٠ فائدة في عدد مصاحف عثمان
٢٤١ فصل : في بيان من جمع القرآن حفظاً من الصحابة على عهد الرسول

النوع الرابع عشر

معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها

- ٢٤٤ تقسيم القرآن بحسب سوره
٢٤٩ فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه
٢٩٣ فصل : أنصاف القرآن ثمانية
٢٩٣ فائدة
٢٦٠ تنبيه : أسباب ترتيب وضع السور في المصحف
٢٦٢ فائدة : سبب سقوط البسملة أول براءة
٢٦٣ فائدة في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحاً
٢٦٦ فائدة في بيان معنى الآية لغة واصطلاحاً
٢٦٩ خاتمة في تعدد أسماء السور
٢٧٠ خاتمة أخرى في اختصاص كل سورة بما سميت به

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقاتها

أسماء القرآن

تفسير هذه الأسماء

فائدة

فائدة أخرى

النوع السادس عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

النوع السابع عشر

معرفة ما فيه من غير لغة العرب

النوع الثامن عشر

معرفة غريبه

النوع التاسع عشر

معرفة التصريف

النوع العشرون

معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها

تنبيه في تجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد

تنبيه آخر في بيان مراتب الكلام

النوع الحادي والعشرون

معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح

تنبيه فيما يجب على المفسر من مراعاة نظم الكلام

صفحة

النوع الثاني والعشرون

معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر ٣١٨

فائدة في مراجع القراءات السبع ٣٣٨

فائدة فيما يفعل القارئ حينما يشك في حرف من الحروف ٣٣٨

النوع الثالث والعشرون

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ماذهب إليه كل قارئ ٣٣٩

فصل في توجيه القراءة الشاذة ٣٤١

النوع الرابع والعشرون

معرفة الوقف والابتداء ٣٤٢

حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم ٣٤٣

أقسام الوقف ٣٥٠

مسألة في أحوال الصفة ٣٥٦

مسألة في الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ٣٥٦

مسألة في الوقف على الجملة الندائية ٣٥٧

قاعدة في الذي والذين في القرآن ٣٥٧

فصل في تقسيمات الوقف ٣٥٩

فصل متى ، يحسن الوقف الناقص ؟ ٣٦٤

فصل : خواص الوقف التام ٣٦٥

فصل : انقسام الناقص بانقسام خاص ٣٦٦

فصل في الكلام على « كلا » في القرآن ٣٦٨

منحة

٣٧٣

الكلام على « بلى »

٣٧٥

الكلام على « نعم »

النوع الخامس والعشرون

٣٧٦

علم مرسوم الخط

٣٨٠

مسألة في كتابة القرآن بغير الخط العربي

٣٨٠

اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه

٣٨١

الزائد وأقسامه :

٣٨١

القسم الأول : زيادة الألف

٣٨٦

القسم الثاني : زيادة الواو

٣٨٦

القسم الثالث : زيادة الياء

٣٨٨

الناقص وأقسامه :

٣٨٨

القسم الأول : حذف الألف

٣٩٧

القسم الثاني : حذف الواو

٣٩٨

القسم الثالث : حذف الياء

٤٠٧

فصل في حذف النون

٤٠٩

فصل فيما كتبت الألف فيه ولو اعلی لفظ التنخيم

٤١٠

فصل في مد التاء وقبضها

٤١٧

فصل في الفصل والوصل

٤٢٣

فصل في بعض حروف الإدغام

٤٢٩

فصل في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

٤٣٠

فصل في كتابة فوائح السور

صفحة

النوع السادس والعشرون

٤٣٢

معرفة فضائله

النوع السابع والعشرون

٤٣٤

معرفة خواصه

٤٣٦

تنبيه

النوع الثامن والعشرون

٤٣٨

هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

٤٤٢

فصل في أعظمية آية الكرسي

٤٤٦

فائدة في أي آية في القرآن أرجى؟

النوع التاسع والعشرون

٤٤٩

في آداب تلاوته وكيفيتها

٤٥٥

فصل في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر

٤٥٥

فصل في تعلم القرآن

٤٥٧

مسألة في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن

٤٥٨

فصل في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه

٤٥٩

مسألة في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة

٤٦٠

مسألة في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة

٤٦١

مسألة

٤٦١

مسألة في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب

٤٦٣

مسألة في استحباب الجهر بالقراءة

٤٦٤

مسألة في كراهة قطع القرآن لمصلحة الناس

صفحة

٤٦٤

مسألة في حكم قراءة القرآن بالعجمية

٤٦٧

مسألة في عدم جواز القراءة بالشواذ

٤٦٧

مسألة في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم

٤٦٨

مسألة في فصل السور بعضها عن بعض

٤٦٨

مسألة في ترك خلط سورة بسورة

٤٧٠

مسألة في استحباب استيفاء الحروف عند القراءة

٤٧٠

فصل في ختم القرآن

٤٧٢

مسألة في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف

٤٧٢

مسألة في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى

٤٧٣

مسألة في تكرير سورة الإخلاص

٤٧٤

مسألة فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن

٤٧٥

فائدة

٤٧٥

مسألة في آداب الاستماع

٤٧٥

مسألة في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن

٤٧٦

مسألة : القيام للمصاحف بدعة

٤٧٧

مسألة في حكم الأوراق البالية من المصحف

٤٧٨

مسألة في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله

٤٨٠

خاتمة

النوع الثلثون .

٤٨١

في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب

استعمال بعض آيات القرآن؟

صفحة

٤٨٣

مسألة : يكره ضرب الأمثال بالقرآن

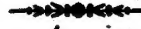
٤٨٤

تنبيه : لا يجوز تعدى أمثلة القرآن

النوع الحادى والثلاثون

٤٨٦

معرفة الأمثال الكائنة فيه



نصريات واستدراكت

الصواب	س	س
وأحكامه	١٥	١٤
سورة البقرة ٩٧	٦	٢١
﴿لَكَارْهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾	١	٥١
﴿كَاثِمًا يَسْأَلُونَ﴾		
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾	٧	٩٤
سورة الفيل ٥	١٢	١٨٦
المعروف بالحكم	١٣	١٩٠
أسند الزبيدي	١٦	٢٥٠
كما اقترحوا	١١	٢٥٩
﴿وَلْيُنْذَرُوا﴾	٥	٢٨٢
أبو عبيدة	٣	٢٩١
طارىء	٧	٢٩٧
يحتاج إليها	١١	٢٩٧
ما أحسن زيدا	٨	٢٩٩
ملاحظة	٢	٣٠٤
بم انتصب ؟	١١	٣٠٦
لحذف الواو	١٢	٣١٢
وابنه عبد الباقي	٨	٣٢٣

الصواب	س	س
أبو عمر الطلمنكي	٣	٣٢٤
ابن مامويه	٣	٣٢٥
الكسائي على	١	٣٢٩
{ لا تيشوا }	٢	٣٨٢
{ أظن مات }	١	٣٨٧
سورة الكهف	١٩	٤٠٢
{ فاعلموا ... }	٢١	٤٢٦
في كراهة قطع القرآن	٨	٤٦٤